نظريـــــــة

الاكتمال اللغوى عند العرب

منهج شامل لتعليم اللغة العربية
(الأصوات - الصرف - المعاجم - النحو)

دكتـــور
أحمد طاهر حسنين
دكتوراه فى اللغة والنقد
جامعة برنستون - الولايات المتحدة الأمريكية

القاهــرة

نظريـــــــة

الاكتمال اللغوي عند العرب

نظريـــــــة

الاكتمال اللغوى عند العرب

منهج شامل لتعليم اللغة العربية
(الأصوات ـ الصرف ـ المعاجم ـ النحو)

دكتـــور
أحمد طاهر حسنين
دكتوراه فى اللغة والنقد
جامعة برنستون ـ الولايات المتحدة الأمريكية

القاهــرة

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م

هجر

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر ـــ المهندسين ـــ جيزة
المطبعة : ٢ ش عبد الفتاح الطويل ـــ أرض اللواء
ت ٣٤٧٧٧٥١ ـــ ص. ب ٦٣ إمبابة

الإهـداء

إلى زوجتى صباح

وأولادى : مها ، ومحمود ، ومى

أهدى هذا الكتاب .

أحمد طاهر حسنين

الفهـرس

الموضوعات	الصفحات

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة

تقاس حضارات الأمم بمدى ماوصلت إليه فى تطورها المادى والفكرى على حد سواء . ولاجدال فى أن النهضة الفكرية تقوم على حصيلة ما أنتجه شعب ما ، فى مجال العلوم والمعارف بوجه عام ، وتزداد هذه النهضة قيمة كلما عرف الشعب طريقه الفكرى من خلال نظام أيديولوجى ينتهجه ، أو نظريات يبتدعها ويتوفر عليها ، ويظل يعدّل فيها أو يقوّم منها حتى تستوى وتنضج وتمتزج بتاريخ الأمة كله لدرجة تجعله يستمد كيانه منها ، يشير إليها ولكنه لا يُعرف إلا بها .

وتاريخ العالم حافل بشتى النظريات من لغوية وفكرية وأدبية وفلكية وعلمية وما إليها . والعرب – شأنهم شأن كل الأجناس الأخرى – كان لهم تاريخهم وكانت لهم نظرياتهم فى شتى المجالات .

ولقد اتجهت الدراسات التى قننت التاريخ الفكرى عند العرب اتجاها رأسيا وآخر أفقيا ، وقد ظهر الأول فى العديد من الدراسات التاريخية التى تتبعت بعض الظواهر وصاغتها فى قالب زمنى راعت فيه ماطرأ على هذه الظواهر من تطور ، وماعسى أن يكون قد طرأ عليها من تغيير ، على حين ظل البعض الآخر من الدراسات يدور فى فلك الدراسة الأفقية أو الوصفية منبسطا على رقعة قد تمتد وقد تنحسر حسب المنهج الذى اختطه مؤلفوها أو الغاية التى قصدوا إليها .

ولاينفى هذا بحال وجود دراسات حديثة زاوجت بين الدراسة الرأسية والأفقية ، أو نقول : التاريخية والوصفية ولكنها ظلت أسيرة التقليد ، بعيدة عن النظرة التجميعية الشمولية . وغياب هذه النظرة – مع الأسف – يظلم تراثنا العربى ، ويظلم بالتالى هذه الصفوة المثقفة من روادنا العرب : قدامى

ومحدثين على حد سواء .

هذا وليست غيرتنا لإنصاف هؤلاء الرواد بأقل منها لإحقاق الحق ووضع هذا التراث فى مكانته اللائقة تجاه الحضارات الأخرى .

لقد ابتدع العرب العديد من الفروض والمقولات والنظريات على الأقل فى المجال اللغوى ولكنها ظلت مستقلة بعضها عن بعض ليس فقط على مستوى الجانب الفكرى بمعناه العام ، بل تعدى ذلك أيضا إلى الكتب المدرسية التى درجت على تشقيق المادة اللغوية الواحدة ففصلت دروس النحو عن دروس الصرف ، وأهملت العناية بجانب النطق أو دراسة الأصوات دراسة تطبيقية متأنية واكتفت فى جانب المعنى بتقريب المراد إلى الطالب دون إقداره على استفتاء القاموس العربى وتشجيع المهارات الفردية فى هذا الصدد . بل الأعجب من هذا أننا نجد فى جامعاتنا على سبيل المثال أن علم النحو يدرس فى قسم ، وعلم الأصوات أو اللغة بمعناها العام يكون مسئولية قسم آخر ، ولكل قسم أساتذته واختصاصاته التى لاينبغى أن تجور واحدة منها على الأخرى .

يرجع سبب هذا – كما أشرت – إلى غياب النظرة التجميعية وفقدان شمولية المنهج . وكانت الحقيقة المرّة : ليس فقط فى مجىء التراث العربى فى لوحات منفصلة دون أن يضمها شريط متلاحق ، بل أيضا فى البقاء على هذه الحال حتى يومنا هذا .

إن أحدا لم يجرؤ أن يسقط الحواجز ، أو يجذب الخيوط الأفقية والرأسية معاً ، ربما لأنه قد ظن أن هذا نوع من العبث يؤدى بالضرورة إلى تشويه السدى أو اللحمة أو هما معا . من هنا ظلت الحواجز قائمة بين كل خيط ومايليه : الرأسى فى ذلك والأفقى سواء . وبتتابع الزمن ظلت هناك قدسية لترتيب الخيوط ونظامها على نحو ينفصل فيه كل خيط عن الآخر ، وكانت النتيجة مقولات جزئية هنا وهناك .

من قراءاتى للتراث اللغوى عند العرب وجدت ضروريا أن أجذب الخيوط بأداء جديد ، أستوحى فيه إزالة الحواجز بين المقولات التى ظن أن لكل منها مملكته المستقلة ، فتبين لى التمييز بين نظريتين رئيستين تتكاملان ولاتنفصلان ، لكل منهما حدودها الواضحة وأبعادها المميزة ولكنهما تتغلغلان سويا فى إطار متصل . وهاتان النظريتان هما :

نظرية الاكتمال اللغوى
ونظرية الجمال البلاغى

وفى نطاق **النظرية الأولى** نستطيع أن نضم المعطيات التى قدمتها علوم القراءات والتجويد والأصوات والصرف والمعاجم ثم النحو بمعناه العام على هذا الترتيب ، على حين تضم النظرية الثانية علوم البلاغة وبصفة خاصة علمى البيان والبديع (يقف فرع علم المعانى متأرجحا بين النحو والبلاغة ، وبالتالى فما يزال نهبا بين النظريتين ، يغذيهما ويفيدان منه – سنناقش هذا بالتفصيل فى الباب الأخير من هذا الكتاب) .

النظرية اللغوية أصيلة فى جوهرها ومكوناتها ، وهى نتاج طبيعى لجهود قراء ولغويين ونحويين وبلاغيين وفلاسفة . إنها باختصار : نتاج محاولات عديدة منها المباشر وغير المباشر . صحيح إن العرب لم يضعوا نظرية كاملة متكاملة أطلقوا عليها الاكتمال اللغوى ، ولكنهم درسوا وحللوا وكتبوا وصنفوا فإذا نحن أمام نتاج غزير يمكن حين يضم شتاته – وهذا ماحاولنا تحقيقه هنا – أن يمثل نظرية قائمة بذاتها .

إن النظرية فى أبسط تعريفاتها ما هى إلا مجموعة من النظرات والآراء التى تقوم على أسس موضوعية لا ذاتية .وهى التى تشكل جميعها فرضيات ثبت اختبارها وصحتها . وأن تجىء عناصرها متآلفة وأن يكون ثمة تناسق بين أبعادها دون قسر أو اعتساف .

فى هذه الدراسة سوف ألقى الضوء على أبعاد نظرية الاكتمال أو الصحة اللغوية كما جاءت أبعادها فى تصورات اللغويين القدماء وسيجىء العرض هنا من خلال منظور تجميعى أضم فيه الجهود التى ساهم بها الأقدمون والمحدثون على سواء ، محاولاً جمع الأشياء بعضها إلى بعض مع اختصار التفصيلات ما أمكن ، ومضيفا ما تقضيه المناقشة من تحليلات ضرورية .

ولقد اخترت أن تجىء هذه الدراسة **وثائقية** إلى حد كبير ، ومن هنا فقد اعتمدت اعتمادا كبيرا على المصادر الأولى وكذلك النصوص الأساسية التى توضح الأفكار وتوثقها فى الوقت نفسه .

لقد كان أمامى مصطلحان يصلحان للعنونة على ماأقصده بهذه النظرية : **مصطلح الاكتمال اللغوى ، ومصطلح الصحة اللغوية** . وقد آثرت الأول منهما لقربه – فى رأيى – من الظاهرة المطروحة ، ولأنه يمثلها أكثر من المصطلح الآخر .

الصحة اللغوية تنصرف عادة إلى استقامة الجملة بمعناها النحوى على وجه الخصوص ، هذا فضلا عن أن الأسلوب قد يكون صحيحا من الناحية اللغوية ولكن هذا لايعنى أنه مطابق للسياق فى كل مرة .

ولكن **الاكتمال** كما يوحى به جذر الكلمة إنما يحمل فى مضمونه فكرة الطبقة أو المستوى أو البعد الذى يوصل كل منها إلى مايليه ، وهكذا – كما أتصور – كانت حالة تلك العلوم اللغوية إذ يعمل كل منها على بلورة طبقة ما ، تندرج إلى أخرى وأخرى على نحو متغلغل ومتسلسل .

ويغلب على ظنى أنه **فى الأسلوب المتكامل** نستطيع أن نتميز عددا من المستويات المترابطة ، **فالصوت** الصحيح بتجاوره مع غيره من أصوات صحيحة (سهلة على اللسان مقبولة فى الأذن ، والمعيار هنا لذوق العصر الذى نتحدث عنه) – إنما يرفع الكلمة إلى أن تكون مقبولة على مستوى **صيغة** ما ،

والصيغة المقبولة لابد وأن يكون لها معنى (**أو معان**) متعارف عليها . وتوالى هذه الصيغ مع غيرها عبر أدوات مناسبة قد يجعل التركيب مقبولا على مستوى **النحو** ، وصب كل ذلك فى إطار يتمشى مع السياق إنما يعمق من وظيفة النحو ويجعل من التعبيرة أو العبارة أو الجملة أو الفقرة أو الأسلوب بوجه عام نمطا مقبولا ، وصحيحا فى تكامله اللغوى بوجه عام .

أبعاد نظرية الاكتمال اللغوى على ذلك ، هى :

البعد الصوتى

البعد الصرفى

البعد المعجمى

البعد النحوى

وهى فى رأيى تتضافر فى الأسلوب الجيد بشكل عام وتبدو كأنها عنصر واحد ، ولكن التحليل قد يرجع بكل منها إلى عوامله الأولية إن صح هذا التعبير .

لقد تتبعت الأبعاد الرئيسية لكل من **الأصوات والصرف والمعاجم والنحو** ، وعرضت كلا منها عرضا يكشف عن الأسس والجذور ، ويتيح ، فى نفس الوقت ، الفرصة للتعرف على تطور الأفكار . وهذا – دون شك – سوف يعمل على تصوير النظرية فى حركتها المتطورة .

ومن أجل إقامة كيان أساسىّ لهذه النظرية ، قمت باستقصاء المصادر الأولى فى كل بعد من أبعادها ، واحتكمت إلى الأسس الشمولية فى النظرة إلى جهد اللغويين العرب : قدامى ومحدثين ، محاولا التعرف على الحوافز والدوافع التى حدت بهم للمساهمة فى هذه الأبعاد المختلفة ، مشيرا إلى الجوانب الإيجابية ــ وما أكثرها ــ والجوانب السلبية ــ وما أقلها ــ وذلك حسبما سمحت به النصوص على نحو لاتعسف فيه ولااقتسار

هذا وسيجيء عرض كل من هذه الأبعاد فى باب مستقل ، وينبغى أن يعلم هنا أن عرضها على هذا النحو لايخدم فقط فى بلورة النظرية ، بقدر ماهو تأصيل ونشر للتراث القديم فى صورة عصرية .

إن نشر التراث لايعنى فى رأيى مجرد تحقيق الكتب أو إعادة نشر كتاب قديم وحسب ، ولكنه يعنى – إلى جانب ذلك – نقل أو تلخيص جهود القدماء وعرض آرائهم بلغة العصر .

إن المنهج هنا أساسا منهج تاريخى هدفه الكشف عن الصلة العضوية بين فروع علم اللغة ومعطيات العلوم الأخرى التى أضافت إلى مفاهيمه الشيء الكثير .

ولقد اعتمدنا فى توضيح الأفكار منهج السرد أكثر من المناقشة والتحليل ، وإذا كانت هناك مناقشة أو تحليل فقد كان ذلك يجيء « لازمة » للسرد واستكمالا لتوضيحه .

ومن هنا فإنى آمل أن يخرج القارىء والدارس لهذا البحث بفكرة واضحة عن أبعاد هذه النظرية ، وأن يحاط علما بأهم القضايا التى تحتويها والآثار التى ساعدت عليها أو نتجت عنها .

إن العرب لم يكتبوا تراثهم هذا دون خطة مسبقة ، ولا أعتقد أن المؤلفين العرب القدماء كانوا يكتبون مثلا كتابا فى الأصوات أو كتابا فى النحو أو آخر فى الصرف دون أن يكون لذلك غاية أسمى من شهية التأليف أو الاستجابة لرغبة صديق أو مجاملة حاكم . يشهد لذلك مقدماتهم فى أوائل كتبهم وهى زاخرة بأن المؤلف قد ألف كتابه هذا أو ذاك لأنه وجد الناس يخطئون فى مسائل كذا أو كذا . ومعنى ذلك أن جمهور القراء والمتعلمين كانوا مقصودين ، مهما كانت هناك أسباب أخرى أكثر مباشرة فى تأليف الكتب .

التراث العربى إذًا قد نشأ – فى المقام الأول – لغاية تربوية هدفها

الأساسى – وربما غير الواضح أو المنوه عنه صراحة – تثقيف الناس وتعليمهم . أما نجاح المؤلف أو إخفاقه فى تنفيذ منهجه لخدمة هذا الغرض فذلك أمر آخر .

نقول هذا ، لأننا نقصد بهذه الدراسة أن تزاوج بين الهدفين :

بلورة النظرية وعرضها عرضا موضوعيا بصورة تكشف عن ماهيتها عبر تاريخها الطويل . وقد اقتضى ذلك أن نبين فى كل بعد نشأته وتطوره وطريقة أو طرق اتصاله بالعوامل المحيطة والظروف المصاحبة وما إلى ذلك ، بالإضافة إلى التعريف بكل من هذه الأبعاد ودراستها على المستويين : النظرى والتطبيقى على حد سواء . وجاءت النماذج الشارحة والأمثلة تأييدا للمقولات ، وتعزيزًا للنتائج . وإلى جانب هذا كله ، يستطيع القارىء أو الدارس أن يتعرف على الأعلام الذين ساهموا فى كل فرع وأن يتبين أثرهم فى تطوره .

هذا هدف ، وهدف آخر هو الاحتفاظ للنظرية بالجوهر الذى كانت عليه ونشأت أبعادها المستقلة من أجله . وما هذا الجوهر إلا الجانب التعليمى أو التربوى بوجه عام .

وإن كان من كلمة أخيرة ، فهى أن هذه الدراسة وإن كانت قد ركزت على « **الاكتمال** » ، فلن تزعم لنفسها « **الكمال** » ، وعذرها فيما قد يعنّ فيها من قصور أنها ليست الكلمة الأخيرة عن أحد جوانب تراثنا اللغوى الذى نعتزبه ، ونقدره ، ونسعى مخلصين إلى خدمته . والله هو الموفق ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .

أحمد طاهر حسنين

الباب الأول

البُعد الصوتى

الباب الأول : البعد الصوتى

الصوت مصدر صات الشيء يصوت صوتا فهو صائت ، وصوّت تصويتا فهو مصوّت . . ويقال : رجل صاتٌ أى شديد الصوت ، وقولهم لفلان صيت إذا انتشر ذكره ، من لفظ الصوت ، إلا أن واوه انقلبت ياءً لسكونها وانكسار ماقبلها ، كما قالوا : قيل ، من القول(١)

ويهمنا أن تعرف أنه على النقيض من دراسة الأصوات فى اللغات الأخرى غير العربية ، نجد أن الاهتمام بالأصوات عند العرب قد أتى من قبل طوائف عدة هم :

قراء القرآن وعلماء التجويد واللغويون والبلاغيون وأيضا الفلاسفة – كما سنرى – ومن جهودهم المتضافرة نستطيع أن نحصل على دراسات متكاملة عن الجانبين : النطقى والسمعى على حد سواء .

١ – الأصوات وقراءة القرآن الكريم

الذى يتتبع دراسة الأصوات عند العرب يجدها قد نشأت أولا على أيدى المهتمين بالإقراء والتجويد على عهد الصحابة رضوان الله عليهم . وقد اشتهر من هؤلاء الصحابة سبعة هم :

عثمان ، على ، أبى بن كعب ، زيد بن ثابت ، ابن مسعود ، أبو الدرداء، أبو موسى الأشعرى . وهؤلاء هم الأساتذة أو الشيوخ الأول لفن الإقراء على عهد الرسول ﷺ ، وعنهم أخذ العديد من الصحابة ، وبعدهم خلق من التابعين فى أمصار عدة . وعلى سبيل المثال نذكر :

فى المدينة : سعيد بن المسيّب ، عروة ، سالم ، عمر بن عبد العزيز ، ابن شهاب الزهرى .

---

(١) ابن سنان : سر الفصاحة ص ٦ ، ٧

في مكة : عطاء بن أبي رباح ، طاوس ، مجاهد ، عكرمة .
من الكوفة : علقمة ، مسروق ، عبيدة ، عمرو بن شرحبيل ، سعيد بن جبيْر ، النخعيّ ، الشّعبى .
من البصرة : أبو العالية ، نصر بن عاصم ، الحسن ، ابن سيرين ، قتادة .
من الشام : المغيرة بن أبي شهاب المخزومى صاحب عثمان (ض) ، خليفة بن سعد صاحب أبي الدرداء .[1]

ثم تجرد قوم واعتنوا بضبط القراءة أتم عناية حتى صاروا أئمة يقتدى بهم ويُرحل إليهم فكان بالمدينة : أبو جعفر يزيد بن القعقاع

وبمكة : عبد الله بن كثير

وبالكوفة : يحيى بن وثاب ثم حمزة فالكسائى

وبالبصرة : عبد الله بن أبي إسحاق ، عيسى بن عمر ، أبو عمرو بن العلاء

وبالشام : عبد الله بن عامر ، ثم شريح بن يزيد الحضرمى

واشتهر من هؤلاء فى الآفاق الأئمة السبعة للقراءات :

نافع ، ابن كثير ، أبو عمرو ، ابن عامر ، عاصم ، حمزة ، الكسائى ثم انتشرت القراءات فى الأقطار .[2]

لم تقف المسألة عند حد وجود الظاهرة فقط ، بل تعدى الأمر إلى عملية التصنيف والتقنين نظرًا لأهمية هذا الفن ، وحينئذ قام جهابذة الأمةوبالغوا فى الاجتهاد وجمعوا الحروف والقراءات وعزوا الوجوه والروايات وميزوا الصحيح

---

(١) السيوطى : الإتقان جـ١ ع ٤ ص ٢٥١
(٢) السابق : ص ٢٥٢

والمشهور والشاذ بأصول أصلوها وأركان فصلوها .

وكان أول من صنف فى القراءات أبو عبيد الله القاسم بن سلام ثم أحمد ابن جبير الكوفى ، ثم إسماعيل بن إسحاق المالكى ، ثم أبو جعفر بن جرير الطبرى .

وقد صنف طبقات أئمة القراءات :

حافظ الإسلام أبو عبد الله الذهبى ، ثم حافظ القراءات : أبو الخير بن الجزرى[1]

والقراءات أنواع متواترة ومشهورة وأحاد ، والقراءات تعنى اختلاف ألفاظ الوحى المذكور فى الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما . ويدخل فى ذلك ماكان من قبيل الأداء كالمد والإمالة وتحقيق الهمز .[2]

هذا وقد أفرد بعض القدماء الوقف والابتداء فى القرآن بالتصنيف ، ومن ذلك :

أبو جعفر النحاس ، ابن الأنبارى ، الزجّاج ، الدانى وغيرهم .

يقول عبد الله بن عمر :

« لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا ليؤتى الإيمان قبل القرآن وتنزل السورة على محمد ﷺ فنتعلم حلالها وحرامها وما ينبغى أن يوقف عنده منها كما تتعلمون أنتم القرآن اليوم »

ومعنى ذلك أنهم كانوا يتعلمون أماكن الوقف ، وعن على رضى الله عنه

---

(١) السيوطى : الإتقان ص ٢٥٣

(٢) السابق : ص ٢٦٤ ، ٢٧٣

فى قوله تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا »[1] قال : الترتيل : تجويد الحروف ومعرفة الوقوف . وقال ابن الأنبارى : من تمام معرفة القرآن معرفة الوقف والابتداء فيه .[2]

اشترط كثير من الخلف على المجيز ألا يجيز أحدا إلا بعد معرفته الوقف والابتداء . ويضيف ابن الجزرى فى النشر :

« وكان أئمتنا يوقفوننا عند كل حرف ويشيرون إلينا فيه ، بالأصابع : سنة أخذوها كذلك عن شيوخهم الأولين »[3]

قال ابن الجزرى فى النشر :

كل ماأجازوا الوقف عليه أجازوا الابتداء بما بعده[4] هذا ويورد السيوطى ثلاث كيفيات لقراءة القرآن :

١ – التحقيق :

إعطاء كل حرف حقه من إشباع المد وتحقيق الهمزة وإتمام الحركات واعتماد الإظهار والتشديدات وبيان الحروف وتفكيكها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترتيل والتؤدة ، وملاحظة الجائز من الوقوف .

ويستحب الأخذ به على المتعلمين من غير أن يتجاوز فيه إلى حد الإفراط بتوليد الحروف من الحركات وتكرير الراءات وتحريك السواكن وتطنين النونات بالمبالغة فى الغنات [5]

---

(١) سورة المزمل ، آية ٤

(٢) السيوطى ، الإتقان جـ١ ع ٤ ص ٢٨٢

(٣) السيوطى ، الإتقان جـ١ ع ٥ ص ٢٨٣

(٤) السابق ص ٣٠٥

(٥) السابق ص ٣٤٤ هذا هو مايطلق عليه ابن الجزرى الترتيل انظر النشر جـ١ ص ٢٠٧ – ٢١٠

وقد قال حمزة لبعض من سمعه يبالغ فى ذلك :

أما علمت أن مافوق البياض برص ، ومافوق الجعودة قطط ، وما فوق القراءة ليس بقراءة .[1]

٢ – الحَذْر :

إدراج القراءة وسرعتها وتخفيفها بالقصر والتسكين والاختلاس والبدل والإدغام وتخفيف الهمزة ، مع مراعاة إقامة الإعراب وتقويم اللفظ وتمكن الحروف بدون بتر واختلاس أكثر الحركات وذهاب صوت الغنَّة .

٣ – التدوير :

التوسط بين المقامين من التحقيق والحدر . وهذا هو المختار عند أكثر أهل الأداء[2]

وفى كتاب النشر لابن الجزرى نجد كيفية رابعة هى التجويد من الجودة ضد الرداءة بمعنى الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ بريئة من الرداءة فى النطق.[3] ولعل هذه الكيفية يشتمل عليها التحقيق ، ولهذا فلم يسردها السيوطى مستقلة .

هذا وقد تحدث ابن قتيبة فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » عن سبعة وجوه للاختلاف فى القراءة ، يهمنا منها ما يمس الجانب الصوتى وهو النوع الخامس منها ، وهو الذى قال فيه :

---

(١) السيوطى : الإتقان جـ ١ ع ٦ ص ٣٤٥

(٢) السيوطى : السابق ص ٣٤٥

(٣) ابن الجزرى : النشر فى القراءات العشر . حـ ١ صفحات ٢١٠ ، ٢١٢ ومابعدها

أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها على نحو قوله تعالى : « وطلع منضود » فى موضع « وطلح منضود » .

فالحرف الحلقى هنا قد تعاور على حلقى آخر وحل محله ، وبرغم اتحاد المخرج نوعا كان الاختلاف على نحو ماتصوره ابن قتيبة .

ويورد ابن قتيبة أمثلة أخرى للاختلاف فى القراءة (وهذه ليست القراءات السبع أو العشر المشهورة) بل إن هذه القراءات جزء من الأحرف السبعة أو ألسن القبائل الذين رُخّص لهم بذلك تخفيفا عليهم . وإليك ما أشار إليه ابن قتيبة :

الهذلى يقرأ : عتى حين ، وغيره : حتى حين ، والأسدى يقرأ بكسر حرف المضارعة فى : يِعملون ، تِعملون ، تِسود وجوه ، ألم إعهد إليكم .

والتميمى يهمز ، والقرشى لايهمز . والآخر يقرأ : وغيض الماء بإشمام الضم مع الكسر . ويقرأ أحدهم : عليهم وفيهم بضم الهاء فيهما . وهذا يقرأ : قد أفلح ، وقل أوحى ، بالنقل ، وآخر يقرأ : موسى وعيسى ودنيا بالإمالة ، وغيره يلطف . وذاك يقرأ : خبيرا ، وبصيرا بترقيق الراء ، والآخر يقرأ : الصلاة والطلاق بالتفخيم .

وكل ذلك ثابت بالوحى المنزل على نبيه ﷺ[(١)]

كذلك كانت هناك اختلافات صوتية ربما مردها مجىء الحرف العربى غفلا من نقط الإعجام كما فى قراءة جذوة مثلثة الجيم ، يسيركم ، ينشركم .[(٢)]

---

(١) انظر فى هذا عدا كتاب ابن قتيبة المذكور : ابن الجزرى ، النشر حـ١ ص ٢٢ ، ٢٣ ، خديجة الحديثى : دراسات فى كتاب سيبويه ، عبد الحميد الشلقانى : الأعراب الرواة ص ٤٧ ، لبيب السعيد : الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم ص ١٦٢

(٢) لبيب السعيد : الجمع الصوتى ص ٥٤ ، ٥٥

من أجل هذا كان تجويد القرآن مهمة عظيمة . وقد قال القراء : إن التجويد حلية القراءة وهو إعطاء الحروف حقوقها وترتيبها ، ورد الحرف إلى مخرجه وأصله ، وتلطيف النطق به على كمال هيئته من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف .

ولقد عدّ العلماء القراءة بغير تجويد لحنا .[1]

وأما **مخارج الحروف** فالصحيح عند القراء ومتقدمى النحاة كالخليل أنها سبعة عشر

وقال كثير من الفريقين : ستة عشر ، فأسقطوا مخرج الحروف الجوفية وهى حروف المد واللين وجعلوا مخرج الألف من أقصى الحلق والواو من مخرج المتحركة وكذا الياء .

وقال قوم (ذكرهم ابن الجزرى فى النشر : قطرب ، الجرمى ، الفراء ، ابن دريد ، ابن كيسان) ، إنها أربعة عشر ، فأسقطوا مخرج النون واللام والراء وجعلوها من مخرج واحد .

قال ابن الحاجب : وكل ذلك تقريب وإلا فلكل حرف مخرج على حدة .

قال الفراء :

واختيار مخرج الحروف محققا أن تلفظ بهمزة الوصل وتأتى بالحرف بعدها بقوة ساكنا أو مشددا وهو أبين ملاحظا فيه صفات ذلك الحرف[2]

ومن قصيدة الشيخ علم الدين فى التجويد ومن خطه نقل السيوطى : الأبيات التالية عن فن التجويد القرآنى :

لاتحسب التجويد مدا مفرطا ... أو مدّ مالا مدّ فيه لوانِ
أو أن تشدد بعد مدٍّ همزةً ... أو أن تلوك الحرف كالسكران

---

(١) السيوطى ، الإتقان حـ ١ ع ٦ ص ٣٤٦

(٢) السابق ص ٣٤٧ وأيضا : ابن الجزرى ، النشر جـ ١ص ١٩٨ وابن الجزرى يجعل المخارج سبعة عشر

أو أن تفوه بهمزة متهوّعا   فيفُّر سامعُها من الغثيان
للحرف ميزان فلاتك طاغيا   فيه ولاتك مخسر الميزان
فإذا همزت فجىء به متلطفا   من غير مابُهر وغير توان
وامداد حروف المد عند مسكن   أو همزة حسنا أخا إحسان[1]

٢ ـــ النطق والسمع

اهتم الباحثون العرب بالأصوات اهتماما شديدا ، ولاغرو فهى اللبنات الأولى فى المعمار اللغوى ، ومن خلال ماكتبوه نستطيع أن نرى جهدهم فى التحليل الفسيولوجى لكيفية إصدار الأصوات ودراسة جهاز النطق ومناقشة مخارج الحروف وتوزيع الأصوات عليها ثم وصف لطريقة إخراج كل صوت وكذلك وصف الصوت فى نفسه مع تبرير للمصطلحات الصوتية للعنونات والتسميات .

واهتمام العرب بالأصوات جاء ليشمل دراستهم للسان والأذن على حد سواء بوصفهما الأداتين الرئيستين للإرسال والاستقبال ، وبهما سويا تحقق الرسالة الكلامية الغرض منها .

وقد نفهم السر وراء هذا الاهتمام إذا كنا بصدد لغة منطوقة يتداولها أصحابها كلاما واستماعا . أما إذا كنا أمام لغة مكتوبة فإن حاسة البصر قد تتناوب المسئولية بدلا من حاسة السمع ، وهو مالم يحدث فى تاريخ اللغة العربية حتى الآن ، بمعنى أننا لا نجد اهتماما بالعين كوسيلة استقبال أو أداة للقراءة بقدر ما نجد الاهتمام منصبا على أعضاء النطق والقليل من هذا الاهتمام قد أعطى للأذن أو لحاسة السمع كما سنوضح ذلك فيما بعد .

جهود **سيبويه** ، **ابن جنى** ، **الأخفش** ، **ابن سينا** ، **ابن يعيش** ، **ابن الجزرى** وأخيرا **السيوطى**[2] ، ومن المحدثين الأساتذة الدكاترة : **إبراهيم أنيس** ، **محمود السعران** ، **على عبد الواحد وافى** ، **كمال بشر** ، **عبد الصبور شاهين**

---

(١) السيوطى ، الإتقان جـ ١ ع ٦ ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .
(٢) د / أحمد مختار عمر ، البحث اللغوى عند العرب (تحدث فيه عن نقاط التشابه بين سيبويه=

دراسة أعضاء النطق وبيان وظيفة كل منها إنما شغل العلماء بوصفه الأدوات الأساسية التى تعين على توصيل الرسالة ذاتها وهى هنا اللغة من أول وحدة فيها : صوت الحرف (أو الحركة) فالأصوات المتتابعة فى الكلمة الواحدة ثم فى أخرى وأخرى حتى يستوى للبناء سمته من الصحة والسلامة . هذا الجانب الإرسالى قد أفاض فيه العلماء ، وإن كنا نرى أن جانب الاستقبال قد حظى هو الآخر بعناية علماء العصور الوسطى .

معنا إذن جانبان مهمان فى المجال الصوتى للغة هما : جانب النطق وجانب السمع ، وقد لا نشغل البال هنا بالوسط أو الموجات الهوائية التى تساعد على نقل الرسالة من المنبع إلى المصب أى من أعضاء النطق إلى الأذن ، لأن ذلك فى رأينا وسيلة غير لغوية .

وأعضاء النطق أو أجهزة الإرسال بطبيعة تكوينها وفى حالاتها الطبيعية قادرة على إصدار كم هائل وعدد غير محدود من الأصوات[1] ولكنا سنقصر كلامنا هنا على قدرتها المتواضعة جدًّا والتى تتمثل فى إصدار أصوات اللغة (مابين حروف وحركات) والتى نستطيع تلمسها فى شكل الأبجدية العربية المألوفة (٢٩ حرفا) التى قصد بها أن تؤدى وظيفة الدلالة على أصوات اللغة التى تتألف منها الكلمات .

والحروف جمع حرف والحرف فى كلام العرب يراد به حدُّ الشيء وحدته ومن ذلك حرف السيف إنما هو حده وناحيته ، وطعام حريف : يراد به الحدة . وسميت الحروف حروفا لأن الحرف حد منقطع الصوت ، وقد قيل : إنها سميت بذلك لأنها جهات للكلام ونواحٍ لها ، تماما كحروف الشيء وجهاته .[2]

=فى الكتاب وابن جنى فى سر صناعة الإعراب وابن سنان فى أسباب مخارج الحروف)

(١) يرى الأستاذ الدكتور كمال بشر أن التسمية بأعضاء النطق تسمية مجازية ، فاللسان لذوق الطعام والأسنان للقضم والطحن ، والأنف للشم وهكذا . انظر كتابه : علم اللغة العام ، الأصوات ص ٦٥

(٢) ابن سنان ، سر الفصاحة ص ١٥

وحروف العربية تسعة وعشرون حرفا وهى : الهمزة والألف والهاء والعين والحاء والغين والخاء والقاف والكاف والضاد والجيم والشين والياء واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاى والسين والظاء والذال والثاء والفاء والباء والميم والواو . فهذا ترتيبها على المخارج(١)

والأبجدية العربية أو بمعنى أصح الألفبائية العربية شأنها شأن أبجديات اللغات جميعها تكاد تكون قاصرة وناقصة من حيث الوفاء بهذه المسئولية ، ذلك لأن بعض الحروف سواء فى هذه الأبجدية أو تلك تنطق بأكثر من طريقة كما هو الحال مثلا فى حروف c، g، f ومعظم الحروف الصائتة مثل :a ، e ، i إلى آخره باللغة الإنجليزية بحيث تصبح هناك هوة واسعة بين نطق الكلمة وتهجئتها .

وفى اللغة العربية مثلا لا توجد حروف تدل على بعض الأصوات كصوت الفتحة أو صوت الضمة لأن استعمال الحركات نفسها فى اللغة حديث العهد نسبيا ، هذا بالإضافة إلى أن بعض الخصائص الصوتية الهامة كالنبر والتنغيم لا يوجد لها رموز أبجدية تدل عليها . وربما كان هذا هو السبب فى اهتمام الدارسين اليوم بالكلام أكثر من اهتمامهم باللغة المكتوبة(٢) وهو فى رأينا الموقف الذى حدث مثيله فى تاريخ تراثنا اللغوى القديم (سنعود فيما بعد لمناقشة هذه النقطة بالتفصيل) .

معاملة اللغة العربية على أنها لغة منطوقة كان الدافع ــ فيما يبدو ــ لاهتمام المؤلفين العرب بالتركيز على مسألة النطق لامسألة الاستهجاء . هدف الأولى هو الكلام وهدف الثانية هو الكتابة ــ والكلام كان فى رأيهم أهم أو هكذا يشهد به ذلك النتاج الذى وصل إلينا .

---

(١) ابن سنان : سر الفصاحة ص ١٩ كما سنرى عند عرض جهد سيبويه فى هذا المجال أن هذا الترتيب كان مأخوذا عنه إلا فى أنه قدم الكاف على القاف .

(٢) د / نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص ٢٦٤

اصطلح القدامى فى تعريفهم للغة على أنها : أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، مع أن المحدثين رأوا أن ثمة ثلاثة وجوه للغة :

اللغة المنطوقة ووسيلتها الأصوات

اللغة المكتوبة ووسيلتها الحروف

واللغة الصامتة ووسيلتها الإشارات والرسوم(١)

على أية حال ، فمادمنا بصدد عملية الكلام والنطق فإننا أمام عملية غاية فى التعقيد ، فهناك العديد من الأعضاء التى تساهم بدرجات متفاوتة فى هذا الشأن بدءا من المخ فالرئتين وحركتى الشهيق والزفير (التنفس بوجه عام) وحركة ضغط الهواء وتحرك الحجاب الحاجز وما إلى ذلك .

هذا وقد استخدم مصطلح أعضاء النطق ليشمل : **القصبة الهوائية ، الحنجرة ، الوترين الصوتيين ، الحلق ، لسان المزمار ، اللهاة ، الحلق ، الحنك ، اللسان ، الأسنان ، الشفتين ، والأنف .**

تتراسل هذه الأجهزة بعضها مع بعض لإصدار الأصوات ، وواحد منها فقط لا يعمل منفردا بل يعمل متعاونا وإن كان بعضها يضطلع بدور أكثر من البعض الآخر ، فاللسان مثلا قسيم مشترك يتعاون مع غيره من الأعضاء لإصدار العديد من الأصوات اللغوية .

وتأتى أهمية أعضاء النطق من حقيقة أن بعض الأصوات تُنسبت إليها فيقال : الأصوات اللهوية ، الشجرية ، الغارية ، الأسلية ، النطعية وغير ذلك حيث يعنى بكل منها تلك الأصوات الصادرة عن هذه الأعضاء أو تلك من مواضع نطقية معينة .

وبالمثل تأتى أهمية السمع وأداته الرئيسية وهى الأذن . والسمع جهاز حساس لأبعد غاية ولولاه لما كان شيئا كل ما يصدر من جهاز النطق ، وعلى ذلك فإن الشخص المصاب فى جهاز سمعه لا يستطيع أن يميز ما يقال .

---

(١) د / إسحاق الحسينى : اللغة الصامتة ص ٢٣ وما بعدها

وجهاز **السمع** أداة للاستقبال وهو بهذا حاسة ضرورية وأساسية لا غنى عنها على الإطلاق وهى الحاسة التى تستطيع ممارسة وظيفتها فى ظروف قد تفوق ظروف حاسة البصر مثلا ، إذ هو كما يشير الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس يستغل « ليلا ونهارا و فى الظلام وفى النور فى حين أن المرئيات لا يمكن إدراكها إلا فى النور »[1]

ولا غرور « فالسمع أبو الملكات اللسانية » كما يقول ابن خلدون .

أداة السمع الطبيعية هى **الأذن** ، وهى معقدة التركيب يقسمها علماء التشريح إلى ثلاثة أقسام :

أ ـــ الجزء الخارجى ويتكون من صوان الأذن والصماخ ، وفى نهايته منطقة رقيقة وحساسة للغاية يطلق عليها طبلة الأذن

ب ـــ الجزء الأوسط وفيه ثلاث عظمات صغيرة يطلق عليها : المطرقة والسندان والركاب

جـ ـــ الجزء الداخلى وفيه تكمن أعضاء الاستقبال أو أعضاء السمع الحقيقة وفيه تنتشر ألياف العصب السمعى بأجزائها ، كما يحتوى هذا الجزء السائل « التيهى » الذى ترتكز فيه الأعصاب السمعية .

انتقال الصوت من مصادره ـــ كلامية أو غيرها ـــ إنما يمرّ عبر الهواء الخارجى محدثا تموجات سريعة عنيفة تصل إلى صوان الجزء الخارجى للأذن ثم تعدو إلى القناة السمعية الخارجية وحتى غشاء الطبلة فتتلاقى الموجات الوافدة من الخارج إلى الهواء الراكد فى الصماخ فتموجه حيث يهتز هذا الغشاء اهتزازات تتناسب وقدر التموجات الوافدة بفعل الهواء ، وهنا تقوم العظمات الثلاث (المطرقة ، السندان ، والركاب) بنقلها إلى الجزء الداخلى للأذن فى صورة تموجات أخرى ، وهنا تستجيب الأعصاب المرتكزة فى هذه المنطقة

---

(١) د / إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ص ١٣

وتقوم بإرسال ذلك فورا إلى المراكز السمعية فى المخ وتحدث عملية السمع ولكن هذه العمليات تحدث بأسرع ما يمكن[1]

يقول ابن سينا : « فإذا أتت الموجات من قبل جهاز النطق بهيئات مخصوصة وصلته بالتالى على هذه الهيئات التى هى فى الحقيقة الحروف والحركات أو أصوات الكلام الإنسانى »[2]

٣ ــ مخارج الحروف

المخارج هى الأماكن التى تخرج منها الحروف اللغوية (والحركات) فكل محل يخرج منه حرف أو حركة يسمى مخرجا .

هذا ولم يوجد إجماع لا فى القديم ولا فى الحديث حول عدد المخارج ، ولهذا نقرأ أن عددها ١٤ أو ١٦ أو ١٧ أو حتى ٢٩ بعدد الحروف نفسها.[3]

والمخرج فى الحقيقة هو موضع الخروج فى الأصل ولكنه هنا عبارة عن الحيز المولد للحرف ، كذا قال جماعة من الشراح . والأظهر أنه موضع ظهور الحرف وتمييزه عن غيره .

لذا قالوا فى تعريف الحرف إنه صوت معتمد على **مقطع محقق** وهو أن يكون اعتماده على جزء معين من أجزاء الحلق واللسان والشفة أو **مقطع مقدر** وهو هواء الفم ، إذ الألف لا معتمد له فى شئ من أجزاء الفم بحيث أنه ينقطع فى ذلك الجزء ولذا يقبل الزيادة والنقصان .

ثم المراد بالحرف : حرف المبنى هنا من الحروف الهجائية لا حرف المعنى مما هو مذكور فى الكتب العربية .

---

(١) د / أنيس : الأصوات ص ١٥

(٢) ابن سينا : أسباب حدوث الحروف ص ٤

(٣) يجعلها ابن الجزرى سبعة عشر ، انظر النشر فى القراءات العشر حـ ١ صفحات ١٩٨ ــ ٢٠١

وأصل الحرف كما سبق أن أشرنا ـــ الطرف ، وإنما سمى حرفًا لأن حرف التهجى طرف الأصوات وبعضها منها وحرف المعنى طرف أى جانب مقابل لمعنى الاسم والفعل حيث يقعان عمدة فى الكلام ، وهو لا يقع إلا فضلا فى المرام .

والحرف يختص بالإنسان وضعا بخلاف الصوت الذى قد يصدر عن إنسان أو غيره .

ثم إن الأصول فى الحروف العربية تسعة وعشرون حرفا باتفاق البصريين إلا المبرد فإنه جعل الألف والهمزة واحدا ، محتجا بأن كل حرف يوجد مسماه فى أول اسمه والألف أوله همزة . وأجيب بلزوم أن الهمزة تكون هاء لأنها أول اسمها والتحقيق فى التفرقة بينهما أن الألف لا تكون إلا ساكنة ولا يتصور أن يوجد لها اسم يكون مسماه ساكنا والهمزة إنما تكون متحركة أو مجزومة فكان حقها أن يقال لها أمزة لكنها أبدل منها ها ، ولذا قيل دليل تعددهما إبدال أحدهما من الآخر ، كما حقق فى الآل والأهل وأراق وهراق والشىء لا يبدل من نفسه .

ويحصر هذه المخارج : **الحلق واللسان والشفة** ، وزاد جماعة منهم الشاطبى والجزرى : **الجوف والخيشوم** .[1]

سبب التضارب فى عدّ المخارج إنما يرجع بصفة مبدئية إلى الاختلاف حول :

ا ـــ عد الجوف مخرجا مستقلا للحركات أو أن هذه الحركات يمكن توزيعها مع نظائرها من الحروف (وفى الحالة الأولى يكون عدد المخارج ١٧ وفى الثانية يكون عددها ١٦ مخرجا .) .

ب ـــ الاقتصار على ثمانية مخارج للسان وجعل مخرج واحد لحروف اللام والراء والنون (وفى هذه الحالة تكون المخارج ١٤ مخرجا)

---

(١) القارى ، على بن سلطان محمد : كتاب المنح الفكرية على متن الجزرية ص ٩

يقول سيبويه فى الكتاب :

ولحروف العربية ستة عشر مخرجا :

فللحلق منها ثلاثة ، فأقصاها مخرجا : الهمزة والهاء والألف . ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء . وأدناها مخرجا من الفم : الغين والخاء .

ومن أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف

ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ومما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف .

ومن وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء

ومن بين أول حافة اللسان ومايليها من الأضراس مخرج الضاد

ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فويق الثنايا مخرج النون .

ومن مخرج النون غير أنه أدخل فى ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج الراء

ومما بين طرف اللسان وأصول الثنايا مخرج الطاء والدال والتاء

ومما بين طرف اللسان وفويق الثنايا مخرج الزاى والسين والصاد

ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج الظاء والذال والثاء

ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج الفاء

ومما بين الشفتين مخرج الباء والميم والواو

ومن الخياشيم مخرج النون الخفيفة .[1]

حديث سيبويه عن المخارج يُعَدّ من أقدم الدراسات التى وصلتنا ومن هنا يكتسب أهميته وتزداد هذه الأهمية حين نعلم أن كل من أتى بعد سيبويه قد حذا حذوه وسار على نهجه فى هذه النقطة وذلك من أمثال **ابن جنى** ، **ابن يعيش** و**ابن الجزرى** و**ابن سينا** ، وقبل أن نبين توزيع الحروف على المخارج

---

(١) سيبويه : الكتاب تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون جزء ٤ ص ٤٣٣ ، ٤٣٤

نستكمل هنا ما قاله سيبويه عن الحروف والأصوات .

وحديث سيبويه عن الحروف والأصوات والمخارج إنما جاء فى كتابه كوسيلة تؤدى إلى معرفة أماكن الإدغام فى الكلمات ولا أدل على ذلك من قوله فى نهاية هذا الفصل :

« وإنما وصفت لك حروف المعجم بهذه الصفات لتعرف ما يحسن فيه الإدغام وما يجوز فيه وما لا يحسن فيه ذلك ولا يجوز فيه وما تبدله استثقالا كما تُدغم ، وما تخفيه وهو بزنة المتحرك . »[1]

يقول سيبويه :

هذا باب عدد الحروف العربية ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوال مجهورها ومهموسها واختلافها .

فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفا :

الهمزة ، والألف ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء ، والكاف ، والقاف ، والضاد ، والجيم ، والشين ، والياء ، واللام ، والراء ، والنون ، والطاء ، والدال ، والتاء ، والصاد ، والزاى ، والسين ، والظاء ، والذال ، والثاء ، والفاء ، والباء ، والميم ، والواو .

وتكون خمسة وثلاثين حرفا بحروف هن فروع ، وأصلها من التسعة والعشرين وهى كثيرة يؤخذ بها وتستحسن فى قراءة القرآن والأشعار وهى :

النون الخفيفة ، والهمزة التى بيْن بيْن ، والألف التى تمال إمالة شديدة ، والشين التى كالجيم ، والصاد التى تكون كالزاى ، وألف التفخيم ، يُعنَى بلغة أهل الحجاز فى قولهم : الصلاة والزكاة والحياة .

وتكون اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة ولا كثيرة فى لغة من تُرتضى عربيته ، ولاتستحسن فى قراءة القرآن ولافى الشعر وهى :

---

(١) سيبويه، الكتاب جزء ٤ ص ٤٣٦

الكاف التى بين الجيم والكاف ، والجيم التى [كالكاف ، والجيم التى] كالشين ، والضاد الضعيفة ، والصاد التى كالسين ، والطاء التى كالتاء ، والظاء التى كالثاء ، والباء التى كالفاء »[1]

الجدول الآتى يرينا توزيع المخارج على أعضاء النطق ، وقد رأينا إتماما للفائدة أن نضع فيه أيضا الحروف (أو الحركات) والمصطلح الذى يطلق على كل منها:

أعضاء النطق	عدد المخارج	الحروف (أو الحركات)التى تخرج من كل منها	المصطلح الذى يطلق عليها
الجوف	١	حروف المد ..ا/..و/..ى	الجوفية (الهوائية)
الحلق	٣	١ ـ أقصى الحلق : همزة/هـ ٢ ـ وسط الحلق : ع/ح ٣ ـ أدنى الحلق مما يلى الفم : غ/خ	الحلقية
اللسان	١٠	١ ـ أقصى اللسان مما يلى الحلق وما يحاذيه من الحنك الأعلى ق ٢ ـ أقصى اللسان مع ما يحاذيه من : الحنك الأعلى تحت مخرج ق :ك	لهويان
		٣ ـ وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى : ج/ش/ي	شجرية (شجر اللسان: مفتتحه)

(١) سيبويه ، الكتاب جزء ٤ ص ٤٣١ ، ٤٣٢

	٤ ــ إحدى حافتى اللسان وما يحاذيه من الأضراس العليا	:ض	
	٥ ــ ما بين حافتى اللسان معا بعد مخرج الضاد وما يحاذيها من اللثة (أى لحمة الأسنان العليا)	ل	
	٦ ــ طرف اللسان وما يحاذيه من لثة الأسنان العليا تحت مخرج ل	:ن (المظهرة)	ذلقية (ذلق اللسان : طرفه)
	٧ ــ طرف اللسان مع ظهره مائلا رأسه	ر	
	٨ ــ ظهر رأس اللسان وأصل الثنيتين العليين	ط/د/ت	نطعية (نطع الفم : جلدة غاره)
	٩ ــ طرف اللسان مع ما بين الأسنان العليا والسفلى قريبة إلى السفلى مع انفراج قليل بينهما	ص/س/ز	أسلية (أسلة اللسان مستدقه)
	١٠ ــ طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا	ظ/ذ/ث	لثوية (لخروجها من قرب اللثة)
الشفتان	١ ــ بطن الشفة السفلى مع أطراف العليا	ف	
	٢ ــ الشفتان معا تنطبقان معًا حين النطق بالباء والميم وتنفتحان مع الواو	ب/م/و	شفوية
الخيشوم	خرق الأنف المنجذب إلى الداخل فوق سقف الفم وليس بالمنخر	النون المدغمة والمخففة	

قال ابن الجزرى فى المقدمة :

مخارج الحروف سبعة عشر ... على الذى يختاره من اختبر
فألف الجوف وأختاها وهى ... حروف مد للهواء تنتهى
ثم لأقصى الحلق همز هاء ... ثم لوسطه فعين حاء
أدناه غين خاؤها والقاف ... أقصى اللسان فوق ثم الكاف
أسفل والوسط فجيم الشين يا ... والضاد من حافته إذ وليا
لأضراس من أيسر أو يمناها ... واللام أدناها لمنتهاها
والنون طرفه تحت اجعلوا ... والرا يدانيه لظهر أدخل
والطاء والدال وتا منه ومن ... عليا الثنايا والصفير مستكن
منه ومن فوق الثنايا السفلى ... والظاء والذال وثا للعليا
من طرفيهما ومن بطن الشفة ... فالفا مع أطراف الثنايا المشرفة
للشفتين الواو ياء ميم ... وغنة مخرجها الخيشوم[1]

٤ – صفات الحروف

وثمة توزيع آخر للحروف على أساس من صفاتها ، والصفات هنا فنية اصطلاحية ، فالصفة هى ما قامت بالشىء من المعانى وهى هنا كيفية تعرض للحرف عند حصوله فى المخرج . وقد قيل إن صفات الحروف ١٤ أو ١٦ أو ١٧ أو ٢٤ وبعض هذه الصفات لها ضد كالشدة والرخاوة ، والجهر والهمس .

وهذا القسم خمسة أنواع :

الهمس والجهر ، الشدة (التوسط) والرخاوة ، الاستعلاء والاستفال ، الإطباق والانفتاح ، الإذلاق والإصمات .

وهناك سبع صفات لا ضدّ لها وهى :

---

(١) نقلا عن الأستاذ محمد الصادق قمحاوى : البرهان فى تجويد القرآن ص ١٨ ، ١٩

الصفير ، **القلقلة** ، **الانحراف** ، **التكرير** ، **اللين** ، **التفشى** ، **الاستطالة** .[1]

هذا وقد قصر **سيبويه** وصف هذه الأصوات على :

الجهر والهمس ، الشديد والرخو ، المنحرف ، المكرر ، اللين ، الهاوى ، المطبقة والمنفتحة[2] . وقد نقل **ابن سنان** عن **سيبويه** وأورد صفات الحروف على النحو التالى :

المجهور :حرف أشبع الاعتماد فى موضعه ومنع النفس أن يجرى معه حتى ينقضى الاعتماد عليه ويجرى الصوت ، وهى تكون فى الحلق والفم ، وذلك مثل :

الهمزة ، الألف ، العين ، الغين ، القاف ، الجيم ، الياء ، الضاد ،اللام ، النون ، الراء ، الطاء ، الدال ، الزاى ، الظاء ، الذال ، الباء ، الميم ، والواو .

فذلك تسعة عشر حرفا مجهورة .

أما **المهموسة** فهى حروف أضعف الاعتماد فى موضعها حتى يجرى النفس معها وهذه عشرة حروف هى :

الهاء ، والحاء ، والخاء ، والكاف ، والشين ، والسين ، والتاء ، والصاد ، والثاء ، والفاء كلها مهموسة[3]

أما **الشديد** من الأصوات فهو الذى يمنع الصوت أن يجرى فيه وذلك يشمل : الهمزة ، القاف ، الكاف، الجيم ، الطاء ، التاء ، الدال ، والباء [4]

---

(١) محمد الصادق قمحاوى : البرهان فى تجويد القرآن ص ١٩ وأيضا : ابن الجزرى : النشر جـ ١ صفحات ٢٠٢ ــ ٢٠٥

(٢) سيبويه : الكتاب جـ ٤ صفحات ٤٣٤ ــ ٤٣٦

(٣) ابن سنان ، سر الفصاحة ص ٢٣ يجمعها فى عبارة ستشحثك خصفه أو سكت فحثّه شخص ، انظر أيضا : ابن الجزرى : النشر جـ ١ ص ٢٠٢

(٤) السابق ص ٢٣ يجمعها أجدك قطبت ولكنه يضع الدال قبل التاء ، السابق ص ٢٣

أماالرخوة فتشمل : الهاء ، الحاء ، الغين، الخاء ، الشين ، الصاد ، الضاد ، الزاى ،السين ، الظاء ، الثاء ، الذال ، والفاء .

وهناك حرف يقف بين الرخوة والشديدة ، وهى العين

ابن سنان يجعل ذلك ثمانية أحرف يجمعها قولك : لم يروعنا

-أما المنحرف من الأصوات فهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت و لم يعترض على الصوت كاعتراض الحروف الشديدة وهو اللام .

ومن الحروف : حرف شديد يجرى معه الصوت [لأن ذلك غنة] من الأنف ، فإنما تخرجه عن أنفك واللسان لازم لموضع الحرف ، لأنك لو أمكست بأنفك لم يجر معه الصوت وهو : النون ، وكذلك الميم .

ومنها المكرر وهو حرف شديد يجرى فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام ، فتجافى للصوت كالرخوة ، ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء .

ومنها اللينة وهى الواو والياء ، لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما .

ومنها الهاوى وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك فى الواو ، وترفع فى الياء لسانك قبل الحنك وهى الألف .

وهذه الثلاثة أخفى الحروف لاتساع مخرجها ، وأخفاهنّ وأوسعهنّ مخرجا : الألف ثم الياء ثم الواو .

ومنها المطبقة والمنفتحة ، فأما المطبقة فالصاد والضاد والطاء والظاء .ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا ، والصاد سينا ، والظاء ذالا ، ولخرجت الضاد من الكلام .

ومعنى **الإطباق** : أن يرفع المتلفظ بهذه الحروف لسانه ينطبق بها الحنك الأعلى فينحصر الصوت بين اللسان والحنك[1]

و**المنفتحة** كل ما سوى ذلك من الحروف ، لأنك لا تطبق لشىء منهن لسانك ، ترفعه إلى الحنك الأعلى .

يضيف **ابن سنان** : **حروف الاستعلاء** : أن تصعد فى الحنك الأعلى وهى سبعة أحرف : الخاء ، الغين ، القاف ، الضاد ، الظاء ، الصاد ، الطاء . وما سواها فمنخفض .

وكذلك يضيف : **حروف الذلاقة** . والذلاقة معناها أن يعتمد عليها بذلق اللسان أى طرفه ، وذلق كل شيء حدّه وهى ستة أحرف : اللام ، الراء ، النون ، الفاء ، الباء ، الميم .

وما سوى ذلك فيسمى **مصمتة** .[2]

من هذا العرض الذى قدمه **سيبويه** لصفات الحروف ، وشارك فيه أيضا كل من **ابن سنان** و **ابن الجزرى** نستطيع أن نقول : إن الحدود بين هذه الصفات ليست فاصلة ، ذلك لأن الصوت قد يوصف بالجهر والشدة أو الهمس والرخاوة .

ونظرًا لأهمية هذه النقطة فقد رأيت أن أتتبعها فى معالجة لاحقة **لسيبويه** بعدة قرون ، وهى ما قام به **ابن الجزرى** فى كتابه : **النشر فى القراءات العشر** .

---

(١) انظر إلى جانب ما ذكره سيبويه : ابن سنان : سر الفصاحة ص ٢٣ ، ابن الجزرى : النشر جـ ١ صفحات ٢٠٢ ــ ٢٠٥

(٢) ابن سنان : سر الفصاحة ص ٢٣ ، ٢٤

قال ابن الجزرى :

الهمزة والهاء اشتركا مخرجا وانفتاحا واستفالا ، وانفردت الهمزة بالجهر والشدة .

والعين والحاء اشتركا كذلك ، وانفردت الحاء بالهمس والرخاوة الخالصة .

والغين والخاء اشتركا مخرجا ورخاوة واستعلاء وانفتاحا وانفردت الغين بالجهر .

والجيم والشين والياء اشتركت مخرجا وانفتاحا واستفالا .

وانفردت **الجيم** بالشدة

واشتركت مع الياء فى الجهر

وانفردت **الشين** بالهمس والتفشى

واشتركت مع الياء فى الرخاوة

والضاد والظاء اشتركا صفة جهرا ورخاوة واستعلاء وإطباقا وافترقا مخرجا

وانفردت الضاد بالاستطالة

والطاء والدال والتاء اشتركت مخرجا وشدة

وانفردت الطاء بالإطباق والاستعلاء

واشتركت مع الدال فى الجهر

وانفردت التاء بالهمس

واشتركت مع الدال فى الانفتاح والاستفال

والظاء والذال والثاء اشتركت مخرجا ورخاوة

وانفردت الظاء بالاستعلاء والإطباق

واشتركت مع الذال فى الجهر

وانفردت الثاء بالهمس

واشتركت مع الذال انفتاحا واستفالا

والصاد والزاى والسين اشتركت مخرجا ورخاوة وصفيرا

وانفردت الصاد بالإطباق والاستعلاء

واشتركت مع السين فى الهمس

وانفردت الزاى بالجهر

واشتركت مع السين فى الانفتاح والاستفال

فإذا أحكم القارىء النطق بكل حرف على حدته موفٍ حقه فليعمل نفسه بأحكامه حالة التركيب ، لأنه ينشأ عن التركيب مالم يكن حالة الإفراد ، وذلك ظاهر . فكم ممن يحسن الحروف مفردة ولا يحسنها مركبة بحسب ما يجاورها من مجانس ومقارب وقوى وضعيف ومفخم ومرقق .

فيجذب القوى الضعيف ويغلب المفخم المرقق ، ويصعب على اللسان النطق بذلك على حقه ، إلا بالرياضة الشديدة حالة التركيب ، فمن أحكم صحة التلفظ حالة التركيب حصل حقيقة التجويد .[١]

٥ ــ نموذج تطبيقى لدراسة الأصوات

ابن سينا : أسباب حدوث الحروف

الأصوات عند **ابن سينا** « قد تختلف بسبب اختلاف الأجرام التى يقع عندها وبها الحبس والإطلاق ، فإنها ربما كانت ألين ، وربما كانت أصلب ، وربما كانت أيبس ، وربما كانت أرطب ، وربما كان الحبس فى نفس رطوبة تتفقع ثم تتفقأ إما مع انفصال وامتداد ، وإما فى مكانها ، وقد يكون الحابس

---

(١) ابن الجزرى ، النشر جـ ١ ص ٢١٤ ، ٢١٥ ، السيوطى ، الإتقان جـ ١ ع ٦ ص ٣٤٩ ، ٣٥٠

أعظم وأصغر ، والمحبوس أيضا أكثر وأقل ، والمخرج أضيق وأوسع ، ومستدير الشكل ، ومستعرض الشكل ، مع دقة ، والحبس أشد وألين ، والضغط بعد الإطلاق أحفز وأسلس »[1]

يركز **ابن سينا** على بيان تشريح **الحنجرة**larynx**واللسان** tongue أما **الحنجرة** فهى عنده مركبة من ثلاثة غضاريف :[2]

١ ــ الغضروف الأول موضوع إلى قدام يناله الجس فى المهازيل عند أعلى العنق تحت الذقن ، وشكله شكل القصعة حدبته إلى خارج وإلى قدام ، وتقعيره إلى الداخل وإلى الخلف ويسمى الغضروف الدرقى أو الترسى .

٢ ــ الغضروف الثانى ، وهو خلف الغضروف الأول فى مقابل سطحه ، وسطحه متصل به بالرباطات يمنة ويسرة ، منفصل عنه إلى فوق ويسمى (عديم الاسم) وهو ما يعرف الآن بـEpigiottisأو لسان المزمار[3]

٣ ــ الغضروف الثالث كقصعة مكبوبة عليها ، وهو منفصل عن الدرقى ومربوط بالذى لا اسم له من خلف بمفصل مضاعف يحدث من زائدتين وتصعدان من الذى لا اسم له وتستقران فى نقرتين له ويسمى المكبى والطرجهارى .[4]

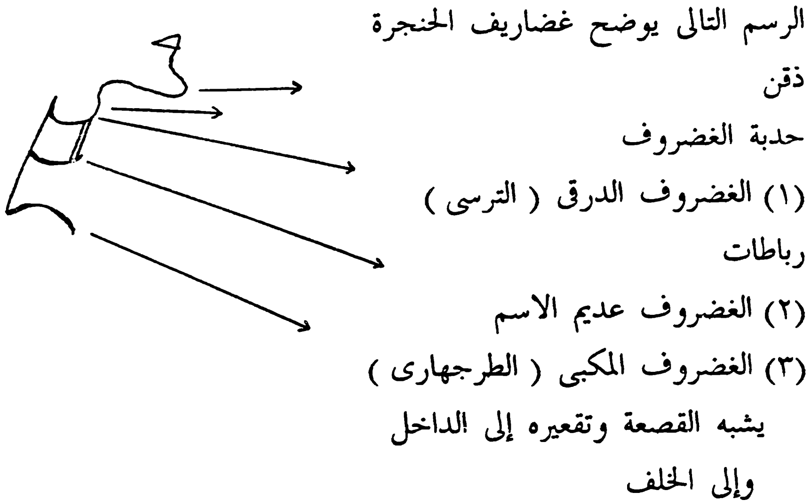
---

(١) ابن سينا، أسباب حدوث الحروف ص ٥

(٢) يعرف الإسكافى ت ٤٢١ هـ :الغضروف بأنهما كان أصلب من اللحم وألين من العظم ، انظر ص ٢٨١ من كتاب د / وجيهة السطل : التأليف فى خلق الإنسان ، منشورات دار الحكمة . دمشق د .ت .

(٣) أنيس ، الأصوات ص ١٤٣

(٤) من الكلمة الفارسية طرجهارة أى كأس للشرب ، ويرى الدكتور شرف فى معجمه للمصطلحات الطبية أن هذا الغضروف فى الحيوان يشبه فم الإبريق ولذلك سماه ابن سينا بالطرجهارى . انظر : أنيس، الأصوات ص ١٤٤



تقارب ٢ من ١ ——← ضيق الحنجرة] من التقارب والتباعد يحدث

تنحى ومباعدة ٢ من ١ ——← اتساع فى الحنجرة] الصوت الحاد والثقيل

انطباق ٣ على ١ ——← حصر النفس وسد الفوهة

انقلاع ٣ عن ١ ——← انفتاح الحنجرة

وعلى ذلك تكون هناك

عضلات تلصق ٣ بـ ١ وتجذبه إليه

وعضلات تبعد ٣ عن ١ وتجذبه إلى خلفه

وعضلات تلصق ٢ بـ ١

وعضلات تنحى ٢ عن ١

٣ مركب على ٢ بمفصل مضاعف لأن فى ٣ نقرتين تصعد إليهما زائدتان من الذى لا اسم له وتستقران فيهما .

هذا عن الحنجرة وتشريحها كما يراه ابن سينا ، أما **اللسان** فتحركه — على رأى ابن سينا — ثمانى عضلات ، كل اثنتين منها تجعلان اللسان يأخذ وضعا

ما ، ومن هنا يكون له أربعة أوضاع هى :

وضع عرضى ، ووضع طولى ، وتوريب ، ثم انبطاح

العضلتان الأوليان تأتيان من الزوائد السهمية التى عند الأذن يمنة ويسرة ، وتتصلان بجانبى اللسان .

وحين يحدث تقلص لهذه الزوائد يأخذ اللسان مساحة عرضية

وهناك عضلتان تأتيان من أعالى العظم الشبيه باللام وتنفذان وسط اللسان وهاتان إذا تشنجتا تجذبان اللسان كله إلى الأمام وهنا يمتد اللسان ويطول .

وهناك أيضا عضلتان من العضلين السافلين من أضلاع هذا العظم ، ينفذان بين العضلتين اللتين تعترضان اللسان ، والأخريين اللتين تطولانه ، ويحدث عنهما توريب للسان .

وأخيرا فهناك عضلتان موضوعتان تحت هاتين ، ومن تشنجهما أوحركتهما ينبطح اللسان .

أما تمييل اللسان إلى فوق أو إلى الداخل فمن فعل العضلات المعترضة والموربة [١]

بعد هذه المقدمة التشريحية لكل من **الحنجرة واللسان** يوالى **ابن سينا** حديثه عن الأسباب الجزئية لحدوث حرف من حروف العرب ، ونظرًا لأهمية هذا الفصل أرى أن أورده هنا — كما هو —

نلاحظ بادىء ذى بدء أن **ابن سينا** قد أورد الحروف العربية بترتيبها المخرجى على نحو ما جاء به كل من **الخليل** فى معجمه العين و**سيبويه** فى الكتاب على نحو ما بينا فيما سبق . ولكن ثمة اختلاف يسير ، ذلك لأن **ابن سينا** قد جعل القاف بعد الخاء وقبل العين ، وجعل الثاء بعد التاء مباشرة ، كما أنه أورد النون فى آخر الحروف .[٢]

---

(١) ابن سينا ، أسباب حدوث الحروف ص ٨

(٢) أنيس ، الأصوات ص ١٤٥

يقول الشيخ الرئيس **ابن سينا**[1]:

أما **الهمزة** فإنها تحدث من حفز قوى من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير ، ومن مقاومة الطرجهارى الحاصر زمانا قليلا لحصر الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا .

وأما **الهاء** فإنها تحدث عن مثل ذلك الحفز في الكم والكيف إلا أن الحبس لا يكون حبسًا تامًا بل تفعله حافات المخرج وتكون السبيل مفتوحة والاندفاع يماس حافاته بالسواء غير مائل إلى الأوسط.

وأما **العين** فيفعلها حفز الهواء مع فتح الطرجهالى مطلقا وفتح الذي لا اسم له متوسطًا وإرسال الهواء إلى فوق ليتردد في وسط رطوبة يتدحرج فيها من غير أن يكون هذا الحفز خاصًا بجانب.

و**الحاء** مثلها ، إلا أن فتح الذى لا اسم له أضيق والهواء ليس يحفز على الاستقامة حفزًا بل يميل إلى خارج حتى يقسر الرطوبة ويهزها إلى قدام فتحدث من انزعاج أجزائها إلى قدام هيئة الحاء.

وأما **الخاء** فإنها تحدث من ضغط الهواء إلى الحد المشترك بين اللهاة والحنك ضغطًا قويًا مع إطلاق يهتز فيما بين ذلك رطوبات يقف عليها التحريك إلى قدام فكلما كادت أن تحبس الهواء زوحمت إلى الخارج في ذلك الموضع بقوة.

والقاف تحدث حيث تحدث الخاء ولكن بحبس تام ، وأما الهواء فمقداره ومواضعه فذلك بعينه .

---

(١)الفصل الرابع من كتابه : أسباب حدوث الحروف صفحات ٩ ــ ١٤ أردت أن أثبت هذا الفصل هنا لأن أستاذنا الدكتور أنيس لم يورده فى كتابه الأصوات ، انظر تعليله لذلك بضيق المقام عن الحديث عن هذا الفصل ص ١٤٥ وأغلب ظنى أنه ترك هذا الجزء لأنه كان يعدّ كتابا لينشره عن « أسباب حدوث الحروف » لابن سينا ، انظر كتابه : الأصوات ، ص ١٣٧

وأما **الغين** فهو أخرج من ذلك يسيرًا وليست تجد من الرطوبة ولا من قوة انحصار الهواء ما تجده الخاء ، والحركة فيه إلى قرار الرطوبة أميل منها إلى دفعها إلى خارج لأن الحركة فيها أضعف وهو أنها تحدث في الرطوبة الحنكية كالغليان والاهتزاز .

وأما **الكاف** فإنها تحدث حيث يحدث الغين وبمثل سببه ، إلا أن حبسه تام ، ونسبة الكاف إلى الغين هي نسبة القاف إلى الخاء.

وأما الكاف التي تستعملها العرب في عصرنا هذا بدل القاف(١) فهي تحدث حيث تحدث الكاف إلا أنها أدخل قليلا والحبس أضعف.

وأما **الجيم** فيحدث من حبس بطرف اللسان تام وبتقريب الجزء المقدم من اللسان من سطح الحنك المختلف الأجزاء في النتوء والانخفاض مع سعة فى ذات اليمين واليسار وإمداد رطوبة حتى إذا أطلق نفذ الهواء في ذلك المضيق نفوذًا يصغر لضيق المسلك إلا أنه يتشذب لاستعراضه ويتمم صفيره خلل الأسنان وتنقص من صفيره وترده إلى الفرقعة الرطوبة المندفعة فيما بين ذلك متفقعة ثم تتفقأ إلا أنها لا يمتد بها التفقع إلى بعيد ولا تتسع بل تفوقها فى المكان الذي يطلق فيه الحبس.

وأما **الشين** فهي حادثة حيث يحدث الجيم بعينه ولكن بلا حبس ألبتة ، فكأن الشين جيم لم يحبس وكأن الجيم شين ابتدأت بحبس ثم أطلقت.

وأما **الضاد** فإنها تحدث عن حبس تام عندما تتقدم موضع الجيم وتقع فى الجزء الأملس إذا أطلق أقيم فى مسلك الهواء رطوبة وحدة أو رطوبات تتفقع من الهواء الفاعل للصوت ويمتد عليها منحبسًا حبسًا ثانيًا ويتفقأ فيحدث شكل الضاد .

---

(١) لا يزال هذا الاستعمال شائعًا حتى الآن في « نابلس » بالشام .

وأما **الصاد** فيفعله حبس غير تام أضيق من حبس السين وأيبس وأكثر أجزاء حابس طولا إلى داخل مخرج السين وإلى خارجه حتى يطبق اللسان أو يكاد يطبق على ثلثي السطح المفروش تحت الحنك والمنخر ويتسرب الهواء عن ذلك المضيق بعد حصر شيء فيه من وراء ويخرج من خلل الأسنان.

وأما **السين** فتحدث عن مثل حدوث الصاد إلا أن الحابس من اللسان فيه أقل طولا وعرضًا فكأنها تحبس العضلات التي في طرف اللسان لا بكليتها بل بأطرافها.

وأما **الزاي** فإنها تحدث من الأسباب المصفرة التي ذكرناها إلا أن الجزء الحابس فيها من اللسان يكون ما يلي وسطه ويكون طرف اللسان غير ساكن سكونه الذي كان في السين بل ممكن من الاهتزاز فإذا انفلت الهواء الصافر عن المحبس اهتز له طرف اللسان واهتزت رطوبات تكون عليه وعنده ونقص من الصفير إلا أنه باهتزازه يحدث في الهواء الصافر المنفلت شبيه التدحرج في منافذه الضيقة بين خلل الأسنان فيكاد أن يكون فيه شبيه التكرير الذي يعرض للراء وسبب ذلك التكرير اهتزاز جزء من سطح طرف اللسان خفي الاهتزاز.

وأما **الطاء** فهي من الحروف الحادثة عن القلع ــ دون القرع أو مع القرع ــ وإنما تحدث عن انطباق سطح اللسان أكثر من سطح الحنك والمنخر وقد يبرأ شيء منهما عن صاحبه وبينهما رطوبة فإذا انقلع عنه وانضغط الهواء الكثير سمع الطاء.

وان كان الحبس بجزء أقلّ ولكن مثله في الشدة سمع التاء.

وان كان الحبس مثل حبس التاء في الكم وأضعف منه في الكيف سمع **الدال**.

وإن لم يكن حيث التاء حبس تام ولكن إطلاق يسير يصفر معه الهواء غير قوي الصفير كصفير السين لأن طرف اللسان يكون أرفع وأحبس للهواء من أن يستمر في خلل الأسنان جيدًا وكأنه ما بين تماس أطراف الأسنان سمع **التاء**.

وإن كان حبس كالإشمام بجزء صغير من طرف اللسان وإجراء الهواء المطلق بعد الحبس على سائر سطح اللسان على رطوبته وحفز له جملة سمع **الظاء**.

وإن كان الحبس بالطرف أشد ولكن لم يستعن بسائر سطح اللسان ولكن ينقل الهواء عن الحبس بما يلي طرف اللسان من الرطوبة حتى يحركها ويهزها هزًا يسيرًا وينفذ فيهاوفي أعالي خلل الأسنان قبل الإطلاق ثم يطلق كان منه **الدال**.

والذال يقصر به عن الزاي ما يقصر الثاء عن السين وهو أنه لا يمكن هواؤه حتى يستمر جيدًا في خلل الأسنان بل يسدّ مجراه من تحت ويمكن من شمه من أعاليه ولكن يكون فى الذال قريبًا من الاهتزاز الذي فى الزاي.

وإن كان حبس بطرف اللسان رطب جدًا ثم قلع والحبس معتدل غير شديد وليس الاعتماد فيه على الطرف من اللسان بل على ما يليه ــ لئلا يكون مانعًا من التزاق الرطوبة ثم انقلابها ــ حدث **اللام**.

وإن كان الحبس أيبس وليس قويا ولا واحدًا بل يتكرر الحبس في أزمنة غير مضبوطة كان منه الترعيدات والإيقاعات وذلك لشدة اهتزاز حبس سطح اللسان حتى يحدث حبسًا بعد حبس غير محسوس حدث **الواو** .

وأما إذا كان حبس الهواء بآخر الثنية من الشفة وتسربه في آخر الثنية من غير حبس تام حدث **الفاء**.

وإن كان في ذلك الموضع بعينه مع حبس تام االإطلاق في تلك الجهـــــة بعينها حدث **الباء** . ونسبة الباء إلى الفاء عند الشفة نسبة الهمزة إلى الهاء عند الحنجرة.

وأما إذا كان حبس تام غير قوي وكان ليس الحبس كله عند المخرج من الشفتين ولكن بعضه إلى ما هناك وبعضه إلى ناحية الخيشوم ــ حتى يحدث الهواء عند اجتيازه الخيشوم والفضاء الذي في داخله دويًا ــ حدث **الميم** .

وإن كان بدل الشفتين طرف اللسان وعضو آخر حتى يكون عضو رطب أرطب من الشفة يقاوم الهواء بالحبس ثم يتسرب أكثره إلى ناحية الخيشوم كان **النون** .

وأما **الواو الصامتة** فإنها تحدث حيث الفاء ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يمانعه في انضغاطه بسطح الشفة

والياء الصامتة فإنها تحدث حيث يحدث السين والزاي ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يحدث صفيرًا

وأما **الألف المصوتة** وأختها **الفتحة** فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء سلسًا غير مزاحم

والواو المصوتة وأختها **الضمة** فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق

والياء المصوتة وأختها **الكسرة** فأظن أن مخرجها من إطلاق الهواء من أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل

ثم أمر(١) هذه الثلاثة عليّ مشكل ولكني أعلم يقينًا أن الألِف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة . وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف

وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الفتحة والياء المصوتة إلى الكسرة

يميز جهد **ابن سينا** فى هذا المجال إيراده لبعض الحروف التى قال عنها إنها شبيهة بالحروف العربية ولكنها غير موجودة فى لغة العرب ، فمن ذلك :

الكاف الخفيفة ، وحروف تشبه الجيم وهى أربعة :

الحرف الذى ينطق به فى أول البئر بالفارسية وهو جاره ، وهذه الجيم يفعلها إطباق من حروف اللسان أكثر وأشد ، وضغط للهواء عند الضلع أقوى ، ونسبة الجيم العربية إلى هذه الجيم نسبة الكاف غير العربية إلى الكاف العربية .

---

(١) خ : ليس أمر

ومنها ثلاثة حروف لا توجد فى العربية ولا الفارسية ، ولكنها توجد فى لغات أخرى ، وكلها يتبين فيها ما فى الجيم من استعمال رطوبة بفعل حبسها ، وهى الرطوبة المعدّة وراء الحبس ، وتكون علتها اعتماد الهواء عند الإطلاق فإذا سلبت هذه الرطوبة واعتمد الجزء الذى وقع عليه الحبس حدث هناك همس فتارة تضرب إلى شبه الزاى وتارة تضرب إلى شبه السين وتارة تضرب إلى شبه الصاد .

ويستمر **ابن سينا** فى الفصل الخامس من كتابه فى إيراد بقية الحروف التى تنتمى إلى الحروف العربية وليست منها فيشير إلى :

السين الصادية التى تحدث عند استعمال جزء أكبر وأعرض وأبطن من اللسان .

السين الزائية التى تكثر فى لغة أهل خوارزم بسبب ارتعاد يحدث فى العضلة الباطحة للسان يكون من نتيجته احتباسات غير محسوسة للهواء ، فتضرب السين بذلك إلى مشابهة الزاى .

ومنها زاى سينية شبيهة فى اللغة الفارسية عند قولهم : زرد وهى سين لا تقوى ولكنها تعرض باهتزاز سطح طرف اللسان والاستعانة بخلل الأسنان .

ثم راء غينية نسبتها إلى الراء نسبة هذه السين الخوارزمية إلى الزاى والسين ، وتحدث بأن يتغرغر بالهواء التغرغر الفاعل للغين(١) ثم يرعد طرف اللسان أو يحدث فى ضفاق النخر الداخل ذلك الارتعاد فتحدث راء غينية .

وأيضا راء لامية تحدث بأن لا يقتصر على ترعيد طرف اللسان بل ترخى العضلات المتوسطة للسان وتشنج طرفيه حتى يحدث بعد طرف اللسان تقبيب ويعتمد بإرسال الهواء فى ذلك التقبيب والرطوبة التى يكون فيه ويرعد طرف اللسان .

---

(١) ابن سينا ، أسباب ص ١٥

وزاى خائية يكون وسط اللسان فيها أرفع والاهتزاز فى طرف اللسان خفى جدا وكأنه من الرطوبة فقط .

وها هنا لام مطبقة نسبتها إلى اللام المعروفة نسبة الطاء إلى التاء ، وتكثر فى لغة الترك وربما استعملها المتفيهق من العرب .

وها هنا فاء تكاد تشبه الباء وتقع فى لغة الفرس عند قولهم : ڤرندى = عنكبوت ، تفارق الباء لأنه ليس فيها حبس تام ، وتفارق الفاء بأن تضيق مخرج الصوت من الشفة فيها أكثر ، وضغط الهواء أشد حتى يكاد أن يحدث بسببه فى السطح الذى فى باطن الشفة اهتزاز .

ومن ذلك الباء المشددة الواقعة فى لغة الفرس عند قولهم پيروزى = نصر ، وتحدث بشدّ قوى للشفتين عند الحبس ، وقلع بعنف ، وضغط الهواء بعنف .

والميم والنون قد يكون منهما ما يقتصر على الدوى الحادث من الهواء فى تجويف آخر المنخر ولا يرادف حبسه عند الإطلاق تحفز الهواء إلى خارج ، وهذه كفتة مجردة .[1]

ونورد فيما يلى عددا من الملاحظات على ما قدمه لنا **ابن سينا** فى هذا **الفصل** :

استغل **ابن سينا** لغته الأصلية (الفارسية) استغلالا طيبا وهو يناقش الحروف العربية ، وهنا أتيحت له فرصة المقارنة بين العربية والفارسية فى حروف :

الجيم ، الزاى ، السين ، الفاء ، الباء ، الباء المشددة (الفارسية)

كذلك فقد عرض أيضا لمقارنة بعض حروف تقع فى لغة أهل خوارزم بصفة خاصة وهى : السين الزائية .

---

(١) ابن سينا ، أسباب ص ١٦

قد يظن أنه لا فرق بين سين زائية أو زاى سينية ، ولكن نظرًا لأن لكل منهما رمزا فى لغته سواء الفارسية أو العربية فقد نوه **ابن سينا** بذلك لإيضاح هذا الفرق ، وقد أشار أستاذنا الدكتور **إبراهيم أنيس** إلى أن :

« الأذن المرهفة لابن سينا قد أحست بهذا الفرق الذى يتجاهله عادة علماء الأصوات من المحدثين »[١]

حين تحدّث عن اللام المطبقة مشيرا إلى نسبتها إلى اللام المعروفة كنسبة الطاء إلى التاء قال — وهذا مهم — إنها تكثر فى لغة الترك ، وربما استعملها المتفيهق من العرب ، وفى هذا أمران :

الأول : أنه لم يقصر المقارنة بين العربية والفارسية فقط ،[٢] فربما كان يعرف اللغة التركية أيضا أو على الأقل يعرف عنها ، ونستند فى هذا إلى قوله « تكثر » إذ لو قال توجد لقلنا إنها مجرد ملاحظة عابرة ، ولكنه على مايبدو كان يشير إلى ذلك عن دراية .

الأمر الثاني : إن إشارته إلى أن المتفيهق من العرب ربما يستعملها فيدل أولا على ظاهرة التطور الصوتى لأحد مستويات الكلام من أفواه العرب الذين عاصرهم[٣] ، وهذا قد يؤيد من وضع كتابه إلى جانب البحوث اللغوية التطبيقية المبكرة عند العرب . وربما يؤيد ذلك أنه فى مقدمة هذا الكتاب يقول :

« أن أكتب . . ما حصل عندى . . من أسباب حدوث الحروف باختلافها فى المسموع »[٤]

---

(١) أنيس ، الأصوات ص ١٤٧

(٢) اندهشت لإشارة أستاذنا الدكتور أنيس إلى أن أبن سينا لم يذكر من أسماء هذه اللغات التى قارنها بالعربية إلا الفارسية التي هي لغته الأولى والتى كان على علم وثيق بها. انظر : الأصوات ص ١٤٥

(٣) لمعرفة المزيد عن المستويات ، أحيل هنا إلى كتاب فريد وقيم وضعه الأستاذ الدكتور السعيد محمد بدوى بعنوان : مستويات العربية المعاصرة ، دار المعارف بمصر ١٩٧٣

(٤) ابن سينا ، أسباب ص ٢

ومعنى ذلك أن هدفه كان واضحا لديه منذ البداية . هو يكتب كتابا ليس بطريق الوصف النظرى فحسب ، بل إنه زاوج ذلك بملاحظات تجريبية تعتمد على خبرته اللغوية وتعامله مع المتحدثين بهذه اللغة ، وسماعه منهم .

باستثناء إشاراته ومقارناته أصوات اللغة العربية بلغة الفرس عموما ولغة أهل خوارزم ولغة الترك فإنه لم يعز بعض الظواهر النطقية لبعض الحروف إلى قوم معينين بل أشار إليها على أنها « توجد فى لغات أخرى »[1] تاركا لنا تصور الحدود الزمنية والمكانية التى كان من الممكن أن تحدث فيها هذه الظواهر الصوتية وهذا ضرب من التعميم يجعل البحث اللغوى دائما مقيدا ، ويشعر الباحث بعدم قدرته فى كل مرة على استخلاص نتائج دقيقة أو موثقة .

بعد كل هذا يبرز لنا **ابن سينا** فى الفصل السادس والأخير من كتابه على أنه عالم من علماء الطبيعة ، حيث يربط بين ما يحدثه الصوت اللغوى وما يناظره من أصوات الطبيعة .

ويبدو أن أستاذنا الدكتور **أنيس** كان حريصا على إبراز حقيقة مؤداها أنه « لا يصح أن يؤخذ حكم ابن سينا هنا على أنه حكم عام لأنه لا يعدو أن يكون تفسيرا ذاتيا شخصيا لابن سينا نفسه » .

جاء هذا التحذير بسبب أن الربط بين أصوات الكلمات ومدلولاتها على فرض التسليم به أمر يختلف باختلاف أبناء البيئة الواحدة [2]

على أننا لا نرى أن هذا هو الهدف فيما نحن بصدده ، فعنوان الفصل لا يوحى بشىء من هذا أصلا فابن سينا يقول :

« **الفصل السادس فى أن هذه الحروف من أى الحركات الغير نطقية تسمع** »

وكأنه بذلك ــ وقد وجد اختلاف النطق فى بعض الحروف من جماعة تلو أخرى ــ أراد أن يقرّب المسألة ، فلم يجد أمامه إلا هذه اللغة الملموسة أو المحسوسة إن صح التعبير ، وهى حكاية الأصوات أو ما يعرف بـ

---

(١) ابن سينا : أسباب ص ١٤

Onomatopoeia فيقول مثلا :

إن الخاء تسمع عند حك كل جسم لين حكا كالقشر بجسم صلب .

والقاف عند شق الأجسام وقلعها .

والسين عند سنّ جرم يابس جسما يابسا ويحرك عليه حتى يتسرب ما بينهما هواء عن منافذ ضيقة جدا ، ويسمع أيضا عن نفوذ الهواء بقوة فى مثل أسنان المشط .

والطاء تحدث عن تصفيق اليدين بحيث لا تنطبق الراحتان ، بل ينحصر هنا لك هواء له دوى ، ويسمع عن القلع أيضا مثله .

والتاء عن قرع الكف بأصبع قرعا بقوة[1] .

والدال عن أضعف منه .

والفاء عن حفيف الأشجار[2]

لا أظن أن ابن سينا أراد الربط الحتمى بين حكاية الأصوات واللغة إلا فى إطار تعليمى بحت هدفه تقريب المسألة وتوضيحها ليس غير .

وهذا الفصل فى الحقيقة يأتى متوجا للعمل كله ـــ رغم صغر حجمه ـوهو فى نفس الوقت جهد مشكور فى التطبيق والمقارنة .

الذى نأخذه عليه هنا هو نوعيه الأمثلة التى أوردها لتحكى صوت الحروف ، فهذه هى التى يحق لكل منا أن يختلف عليها ، ولكنها مع ذلك تفتح أمامنا الباب لنفكر من جديد فى تطويرها بما يتلاءم والمناهج التربوية فى التدريب على الأصوات .

أقول هذا من منطلق الحاجة التى ألمسها وأنا أدرّس طلابا أجانب يصعب على بعضهم أحيانا نطق حرف عربى عن طريق حى أو جهاز تسجيل أو وصف المخرج أو حركة أعضاء النطق عند إصداره .

---

(١) لقد حاولت اختبار الطاء والتاء مع أولادى مها و محمود و مى (بين سن الرابعة عشرة والسابعة) وكنت سعيدا بتعرفهم على الصوتين من خلال ما قدمه ابن سينا من مقاييس .

(٢) ابن سينا ، أسباب ص ١٧ ، ١٨

ولكنى حين أحيلهم إلى التشابه بين صوت طائر أو حيوان أو حركة ماكينة فإن مهمتى تكون أيسر وطريقهم إلى نطق الحرف يكون أسهل .

هذا المبدأ معترف به فى الدراسات الصوتية ، وها هو ذا الأستاذ الدكتور مكاريوس بعد وصف صوتى مسهب لحرف ق وبيان مخرجه وطريقة نطقه والمقارنة بينه وبين حرف ك ـــ يقول :

إن صوت القاف يسمع على أنه مثل Cawing of a Crow نعيق الغراب . إذا استطعت أن تقلد صوت نعيق الغراب فإن ذلك يساعدك على نطق القاف[1]

ملاحظة أخيرة هنا هى أن ابن سينا فى عرضه لظاهرة سماع بعض الحروف من حركات غير نطقية أشار إلى حروف :

ع /ح / خ / هـ / ق / غ / ك / ج / ش / ض / ص / س / ز / ط / ت / د / ذ / ث / ر / ل / ف / ب

ولم يشر إلى حروف :

الهمزة / ظ / م / ن / و / ى

وسكوته عن ذكر هذه الحروف قد يفسر باحتمالات :

أنه وجد أن المتحدثين باللغة لا يخطئون فيها ربما لأنها كانت سهلة لديهم ، أو لأنها لا نظائر لها فى الحركات الغير نطقية أو هكذا بدت له ، أو ربما كان يعنيه فقط أن يورد عينات وليس كل الحروف ، أو أنه نسيها أو سها عنها ، أو أنه دونها فى نسخته الأولى ثم إن تداولها أو تداول ما نسخ عنها بعد ذلك هو الذى أسقط هذه الحروف .

---

(١) د / مكاريوس / راموني : مجموعة دروس مبرمجة ص ٨٤ .

كل هذه احتمالات نطرحها دون التجرؤ على ترجيح واحد منها .

الأهم من هذا أن هذا الترتيب الذى أتى به هنا للحروف يختلف فى بعض أجزائه عن الترتيب الذى أورده فى أول عرضه للحروف ومخارجها فقد جاء هذا الترتيب فى الفصل الرابع تحت عنوان :

« الأسباب الجزئية لحدوث حرف من حروف العرب » وذلك على النحو التالى :

الهمزة / هـ / ع / ح / خ / ق / غ / ك / ج / ش / ض / ص / س / ز / ط / ت / د / ث / ظ / د / ذ / ل / و / ف / ب / م / ن /

ثم : واو صامتة ، ياء صامتة ، ألف مصوتة

لم يرد هنا ذكر الراء ، ولكنه مع هذا يذكرها فى الفصل الخامس فى الحروف الشبيهة بالحروف العربية وليست فى لغة العرب ، وأيضا يذكرها فى الفصل السادس حين يعرض لسماع بعض الحروف من غير اللغة المنطوقة.

أما كلامه عن الحركات فيقول فيه :

إن الألف المصوتة وأختها الفتحة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم .

والواو المصوتة وأختها الضمة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق .

والياء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجها من إطلاق الهواء من أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل[1]

وهو بعد هذا يقول :

---

(١) ابن سينا : أسباب ص ١٣ ، ١٤

« ثم أمر هذه الثلاثة علىّ مشكل ولكنى أعلم يقينًا أن الألف الممدودة المصوتة تقع فى ضعف أو أضعاف زمان الفتحة ، وأن الفتحة تقع فى أصغر الأزمنة التى يصح فيها الانتقال من حرف إلى حرف.

وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الفتحة والياء المصوتة إلى الكسرة »[1]

٦ ــ الأصوات فى الدراسات الحديثة

كان لبعض أساتذة الجامعات المصرية فضل التوفر على دراسة الأصوات اللغوية عند العرب دراسة عرضت التراث القديم بأمانة ونزاهة مستفيدة بذلك بالنتائج الصوتية التى أضافها الدرس الحديث فى معالجته للأصوات ، ومن هذا وذاك تشكل نتاج غزير للدراسات الصوتية أقل ما يقال فيه إنه نتاج موسوعى متكامل لا تغنى فيه دراسة عن أخرى .

وليس أمر معالجة الأصوات مقتصرًا فقط على هذا الجيل المتواصل من الأساتذة فما يزال هناك رعيل آخر فى هذا المعهد أو ذاك يعملون مخلصين على الاجتياز بالأصوات اللغوية إلى أحدث السبل فى التكنولوجيا والإلكترونيات وقد عرفت أن الأزهر وجامعة عين شمس وجامعة الإسكندرية وغيرها من الجامعات الإقليمية تضطلع بعبء جسيم فى هذا الصدد .

أركز هنا وباختصار على جهد بعض أساتذة اللغويات من كلية دار العلوم وكانت مساهماتهم ، فى هذا المجال وما تزال بمثابة المراجع لكل شادٍ فى هذا العلم . وسأقتصر على عرض عملين مهمين لاثنين من خيرة أساتذة الأصوات فى مصر :

---

(١) ابن سينا : أسباب ص ١٤

الأصوات اللغوية للأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس
وعلم اللغة العام : الأصوات للأستاذ الدكتور كمال بشر

ا ــ كتاب الأصوات اللغوية
للدكتور إبراهيم أنيس

يبدأ المؤلف ببيان أهمية الدراسات الصوتية للغة ليس فقط فى الحقل الأكاديمى للجامعة بل أيضا فى معهد التدريب الإذاعى رغبة فى أن يقف المذيع أو المذيعة على أمثل الطرق للنطق بأصوات اللغة ومعرفة طبيعة كل صوت وكيفية إصداره والسيطرة على جهاز النطق سيطرة تامة

كذلك فإن طلاب كليات الطب ممن يركزون على دراسات الأذن والأنف والحنجرة وأيضا طلاب كليات العلوم والهندسة : هؤلاء وهؤلاء لا يستغنون عن دراسة الأصوات اللغوية(١)

منهج المؤلف واضح فى أنه آثر أن يسلك مسلكًا مستقلا فى علاج أصوات اللغة ويجمع بين آراء القدماء والمحدثين ويقارن بينها كلما دعت الضرورة إلى هذا .

ولقد كان ضمن خطته أيضا شرح مصطلحات القدماء وتعريفاتهم على ضوء الدراسة الحديثة للأصوات اللغوية.

ودراسة الدكتور أنيس للأصوات تمتد على مساحة زمنية تتراوح بين القرن الثامن والقرن التاسع الهجريين(٢).

ويأتى كتاب **الأصوات** للدكتور **إبراهيم أنيس** فى أحد عشر فصلا على النحو التالى :

الفصل الأول يتحدث عن **ظاهرة الصوت عموما** ، الصوت الإنسانى ، كيف بدأ الصوت اللغوى ، أهمية السمع فى إدراك الصوت اللغوى

---

(١) أنيس ، الأصوات ص ١ من مقدمة الطبعة السادسة
(٢) السابق : ص ٢ ، ٣ من مقدمة الطبعة الثالثة

الفصل الثانى :أعضاء النطق وهو يرتبها كما رتبها الخليل وسيبويه أى من الخلف إلى الأمام ولكنه يبدأ بالقصبة الهوائية تليها الحنجرة ، فالحلق فاللسان والحنك الأعلى فالفراغ الأنفى ثم الشفتان .
ويتحدث عن جهر الصوت وهمسه ، شدة الصوت ورخاوته ثم يعرض للأصوات الساكنة وأصوات اللين لتكون مناقشتها تتمة هذا الفصل.

الفصل الثالث مقاييس أصوات اللين ، عرض لأصوات اللين فى اللغة العربية ، أشباه أصوات اللين وهى صوتا الياء والواو فى الكلمتين بيت ، يوم والمؤلف يرى أنهما يحتاجان إلى معالجة خاصة .

الفصل الرابع: الأصوات الساكنة ومخارجها وصفاتها ، وهو هنا يعالج الأصوات الساكنة فى اللغة العربية على حسب مخارجها وكيفية النطق بها دون الإشارة إلى مقارنتها بنظائرها فى لغات أخرى ودون نسبتها إلى مقاييس عامة وهو يضعها فى مجموعات على هذا الترتيب

* الأصوات الشفوية : الباء / الميم /
* الصوت الشفوى الأسنانى : الفاء فقط
* المجموعة الكبرى من الأصوات المتقاربة المخارج وهى :

ذ / ث / ظ / د / ض / ت / ط / ل / ن / ر / ز / س / ص / وهو يقول إن وجه الشبه بين كل هذه الأصوات هو أن مخارجها تكاد تنحصر بين أول اللسان (بما فيه طرفه) والثنايا العليا (بما فيها أصولها) وسرّ عرض هذه الحروف فى مجموعة كبرى أنها فى رأى المؤلف ــ تشترك فى ظواهر لغوية عامة ، بالإضافة إلى قرب المخارج .

ولكنه مع ذلك يقسمها إلى مجاميع فرعية هى :

ــ الذال / الثاء / الظاء

ــ الدال / الضاد / التاء / الطاء

ــ اللام / الراء / النون

ــ السين / الزاى / الصاد

* أصوات وسط الحنك

ش / ج /

* أصوات أقصى الحنك

ك / ق /

* الأصوات الحلقية

غ / خ / ع / ح / هـ / همزة

الفصل الخامس : **ملاحظات حول دراسة القدماء من علماء العربية للأصوات** وهو هنا يعرض لجهود الخليل و سيبويه و ابن جنى و الزمخشرى وابن يعيش وابن الجزرى مركزا على دور ابن سينا أيضا فى مجال أصوات اللغة

الفصل السادس : **طول الصوت اللغوى ، المقطع الصوتى ، النبر ، موسيقى الكلام أو Intonation ، ثم انتقال النبر فى الكلمة.**

الفصل السابع : **المماثلة** Assimilation ، درجات التأثر الناشئة عن مجاورة الأصوات بعضها لبعض وهو يعزو درجات التأثر إلى : الجهر والهمس ، انتقال مجرى الهواء من الفم إلى الأنف وبالعكس ، وانتقال مخرج الصوت ، تغير صفة الصوت من الشدة إلى الرخاوة وبالعكس ، ثم الإدغام.

ويورد المؤلف عددا من الأمثلة القرآنية الجائز فيها الإدغام مثل إدغام كل من :

الباء / التاء / الثاء / الجيم / الدال / الذال / الراء / السين / الفاء / القاف / الكاف / اللام

كما يعرض لإشارة **سيبويه** إلى ظاهرة **المماثلة**

الفصل الثامن : التطور التاريخى للأصوات ، ظاهرة **المخالفة** Dissimilation

الفصل التاسع : الطفل والأصوات اللغوية ، والمؤلف يورد ملاحظات غاية فى الأهمية عن تعامل الأطفال مع اللغة ومدى تطويرهم فى بعض أصواتها ومنها :

ـــ إبدال الكاف تاء

ـــ قلب الراء واوا أو لاما أو غينا أو خاء فقد نسمع الأطفال يقولون وبع / ولق / بابوغ / بابوخ فى كلمات : ربع / ورق / بابور

ـــ عدم دقة فى نطق الفاء والهاء

ـــ قلب الشين سينا يقولون فى شمس سمس

ـــ جعل مجرى صوتين متجاورين إما من الفم فقط أو الأنف فقط تين تصبح دين ثم نين

ـــ دمج بعض الحروف بما يحدث نطق صوت مختلف ، يقولون بوح عن فتوح

ـــ إسقاط بعض أصوات والاستبدال بها أصواتا أخرى ، يقولون فى حرس : ألس ، وفى كورة : أوله

ـــ بتر المقاطع فى « أنبوبة » يقولون « بوبة »

ـــ التكرار : ننه / دادا/ ماما/ بابا / ممًّا

ـــ نغمة الكلام

ويعرض الأستاذ الدكتور **إبراهيم أنيس** بعد هذا لطريق الصواب أو النطق الصحيح ثم محاولة صياغة كلمات من مناغاة الأطفال.

الفصل العاشر : يتحدث فيه المؤلف عن عوامل تطور الأصوات اللغوية ، وفيه يناقش :

ـ اختلاف أعضاء النطق

ـ البيئة الجغرافية

ـ الحالة النفسية

ـ نظرية السهولة

ـ نظرية الشيوع

ثم يفرد مجاورة الأصوات بدراسة مستقلة وكذلك انتقال النبر .

الفصل الحادى عشر : أثر العادات الصوتية فى تعلم اللغات الأجنبية

ب ـ علم اللغة العام : الأصوات
للدكتور كمال بشر

ينبنى هذا الكتاب على منهج متكامل أساسه مجموعات من القوانين والنظريات العامة فى الدراسات الصوتية ثم يتفرع إلى منحنى تطبيقى خاص ، يلى ذلك عرض مشكلات لغوية معينة لها ارتباط وثيق بالدرس الصوتى : النظرى منه والتطبيقى على سواء .[1]

والكتاب يأتى فى بابين وتتمة وملحق .

الباب الأول ويأتى فى فصلين :

الفصل الأول : يتحدث عن الدرس الصوتى بنظرة عامة وفيه يعرض المؤلف لعلم الأصوات وجوانبه وهو يورد لذلك أربعة تقسيمات :

التقسيم الأول : يعرض للخطوات التى تنتظم عملية الكلام فى دائرة تبدأ من المتكلم وتنتهى إلى السامع .

---

(١) انظر مقدمة المؤلف ص ٣ ـ ط دار المعارف ١٩٧٥

وهنا يعرض لموقف اللغويين من غير العرب أمثال العالم الأمريكي Bloomfield بلومفيلد رائد المدرسة السلوكيةBehaviouristic School وأيضا للغوى الإنجليزى فيرثFirth

يبين المؤلف جوانب ثلاثة لإصدار الأصوات هى :

الجانب النطقى ويشار إليه بالجانب الفسيولوجى أو العضوى .

جانب الانتقال أو الانتشار فى الهواء وقد يسمى بالجانب الاكوستيكى acoustic أو الفيزيائىphysical

ثم جانب استقبال الصوت أو الجانب السمعىauditory aspect والجوانب الثلاثة تقع فى مجال علم الأصوات أوPhoneticsوله فروع تقوم أساسًا على الجوانب المشار إليها ، وهذه الفروع هى :

علم الأصوات النطقى أو الفسيولوجى Articulatory of physiological phonetics

علم الأصوات الاكوستيكى أو الفزيائى Acoustic or Physical Phonetics

علم الأصوات السمعى Auditory phonetics وهو أحدثها .

التقسيم الثانى

ويعرض للتقعيد والتقنين أو استنتاج القوانين العامة والقواعد الكلية وهى مرحلة تجريدية تضع المادة فى صيغة قوانين وقواعد عامة وهذا هو ما يطلق عليه Phonology

التقسيم الثالث : وينبنى على اهتمام الدارسين للأصوات بالخواص العامة للصوت الإنسانى بوصفها مشتركة بين البشر وهذا العلم يطلق عليه General phonetics

التقسيم الرابع : وفيه ينظر إلى علم الأصوات من ناحية المنهج و طريقة البحث ومن حيث ارتباط الدراسة بفترة زمنية معينة أو بفترات متعددة من التاريخ .

وهنا نجد ما يسمى بـ علم الأصوات الوصفى descriptive phonetics

وعلم الأصوات المعيارى

Prescriptive or normative phonetics

الفصل الثانى من الباب الأول

ويجىء ليحدد الفروق بين الفوناتيك والفنولوجيا ، وفيه يعرض لجهود أربع مدارس مهمة وهى :

ـ مدرسة براج التشيكية المتأثرة بآراء العالم السويسرى الكبير دى سوسير

ـ دى سوسير

ـ المدرسة الإنجليزية التى أسسها Firth

ـ المدرسة الأمريكية بمراحلها الثلاث

ـ الاهتمام بالدرس اللغوى فى عمومه دون تركيز خاص على الجانب الصوتى للغة

دراسة الفونيم (الوحدة الصوتية ذات العنصر المميز)

علم الوحدات الصوتية أو phonemics

كذلك يناقش الباب الثانى العلاقة بين علم الأصوات بفرعيه :

الفوناتيك والفنولوجيا أو علم الفونيمات ، وعلم اللغة وطبيعة هذه العلاقة

الباب الثانى يعالج الأصوات العربية فى فصول :

الفصل الأول جهاز النطق وهو يوردها على النحو التالى :

الحنجرة larynex، الوتران الصوتيان أو الحبال الصوتيةVocal chords أوvocal bands

الحلق Pharynx ، اللسان Tongue ، الحنك Palate ،

اللهاة Uvula ، التجويف الأنفى Nasal Cavity ،

الشفتان Lips ، الأسنان Teeth

الفصل الثاني : ويخصصه المؤلف لتصنيف الأصوات فى قسمين رئيسين :

الأصوات الصامتة Consonats

الحركات Vowels

وهو يبين الفروق بينهما كما وردت عن العرب.

الفصل الثالث عن الأصوات الصامتة أو الـ Consonantsوهى ما تسمى بالحروف عند علماء العربية وهو يورد لها عددا من التقسيمات :

١ ـــ تقسيمها بحسب وضع الأوتار الصوتية أى من حيث ذبذبة هذه الأوتار أو عدم ذبذبتها أثناء النطق .

فى حالة انفراج الوترين الصوتيين ومرور الهواء من الرئتين دون اعتراض تحدث الأصوات المهموسة (١٢) وهى : ت / ث / ح / خ / س / ش / ص / ط / ف / ق / ك / هـ

فى حالة اقتراب الوترين من بعضهما أثناء مرور الهواء والنطق تخرج الأصوات المجهورة وهى (١٥)

ب / ج / د / ذ / ر / ز / ض / ظ / ع / غ / ل / م / ن / والواو كما فى ولد ، حوض . والياء كما فى يترك ، البيت .

فى حالة انطباق الوترين انطباقا تاما دون مرور أى هواء إلى الحلق ثم يحدث انفراج الوترين ، هنا يحدث الصوت الانفجارى وهو همزة القطع لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور .

٢ ــ تنقسم الأصوات الصامتة إلى مجموعات بحسب مواضع النطق أو مخارجه

أصوات شفوية : ب / م يشار إلى الواو فى « وعد » بأنها شفوية أيضا

أسنانية شفوية : ف

أسنانية أو أصوات ما بين الأسنان : ث / ذ / ظ

أسنانية لثوية : ت / د / ض / ط / ل / ن

لثوية : ر / ز / س / ص

لثوية حنكية : الجيم الفصيحة / الشين

أصوات وسط الحنك : الياء

أصوات أقصى الحنك : خ / غ / ك / و

أصوات لهوية : ق

أصوات حلقية : ع / ح

أصوات حنجرية : الهمزة / هـ

والمؤلف يمتدح ما قام به ابن جنى فى هذا المقام . فرغم أن ابن جنى قد بنى على الأساس الذى أتى به سيبويه إلا أنه قد تفوق فى عرض مخارج الأصوات فى كتابه : سر صناعة الإعراب جـ١ ص٥٢ ــ ٥٣

ويشير المؤلف كذلك إلى أن ابن جنى رتب الأصوات (والمخارج كذلك) ترتيبًا يخالف المألوف الآن . إن ترتيبهم ترتيب تصاعدى أى أنه يبدأ من أقصى الحلق إلى الشفتين والترتيب الشائع الآن يبدأ من الشفتين راجعا إلى الخلف حتى الحنجرة .

٣ ــ تقسيم الأصوات بناء على حالة ممر الهواء عند مواضع النطق ، وبهذا المعيار

نحصل على المجموعات الرئيسية التالية للأصوات الصامتة .
الأصوات الانفجارية وتسمى الوقفات أيضا وهى ٨ :
ب / ت / د / ض / ط / ك / ق / همزة
الأصوات الاحتكاكية وهى :
ف / ث / ذ / ظ / ز / س / ص / ش / خ / غ / ح / ع / هـ
صوت انفجارى /احتكاكى أو مركب وهو : ج
صوت مكرر : ر
صوت جانبى : ل
أنصاف الحركات وتتمثل فى : الواو ، الياء

الفصل الرابع : تعريف موجز بالأصوات الصامتة
الانفجارية : ب / ت / د / ط / ض / ك / ق / همزة

الفصل الخامس : تعريف بالأصوات الصامتة (تتمة)
الاصوات الاحتكاكية :ف / ث / ذ / ظ / س / ز
/ ص / ش / خ / غ / ح / ع / هـ
مجموعات أخرى من الأصوات الصامتة
الأصوات المركبة : انفجارية / احتكاكية : ك / ح
الأصوات المكررة : ر
الأصوات الجانبية : ل
الأصوات الانفية : م / ن
أنصاف الحركات : الواو / الياء

الفصل السادس : الحركات
الحركات المعيارية وتصنيفها

الفصل السابع : الحركات العربية
موازنة بين الحركات العربية والحركات المعيارية

الفصل الثامن : الفونيم

وبعد انتهاء الباب الثانى بفصوله الثمانية يأتى ملحق عن علم الأصوات وأهميته فى دراسة اللغة ، والمؤلف هنا يبين الآثار التى تترتب على دراسة الأصوات :

أولا : فى المجال التطبيقى سواء فى تعليم اللغة القومية أو فى تعليم اللغات الأجنبية .

ثم يشير إلى طرق وضع الأبجديات وإصلاحها.

وثانيا : فى المجال النظرى التخصصى وذلك فى علوم :

الصرف ، النحو

ويتبع ذلك بنماذج للتفريق بين أنماط الجمل ، أو تحديد أنماط الجمل والعبارات ، ثم توجيه الإعراب وتطبيق ذلك على النعت المقطوع ، النعت بالجملة

وأخيرا أثر الخواص الصوتية المعينة فى مجال المعنى ثم فى الجوانب الأخرى للدرس اللغوى .

٧ ــ الأصوات على المستوى التربوى فى الكتب الدراسية

من البداية نقرر الفرق بين رمز الحرف وصوته من حيث أن الرمز هو الصورة التى يأخذها شكل الحرف فى الكتابة على حين أن الصوت يتمثل فى الطريقة التى ينطق بها هذا الحرف أو ذاك . الرمز يدرك بالعين ، الصوت يسمع بالأذن .

والكتب الدراسية عادة لتعليم العربية تهتم بالجانبين معا ولكن الاهتمام قد يكون أكثر فى ناحية عن الناحية الأخرى وذلك حسب المنهج الذى يتبعه كل مؤلف والخطة والإمكانات التى يلزم نفسه بها .

غرضنا فى هذا الفصل أن نبين إلى أى مدى استغلت دراسة الأصوات (على هذا النحو المفصل الذى أشرنا إليه) فى الكتب الدراسية .

إن هذا الموضوع متشعب ويحتاج لبحث مستقل ومستفيض ولكنا هنا سنقتصر فقط على إيراد محاولتين : قصد بالأولى تعليم اللغة العربية بالعربية وقصد بالثانية تعليمها للأجانب (الأمريكيين بصفة خاصة) عن طريق الشرح باللغة الإنجليزية

المحاولة الأولى فردية قام بها اثنان من الأساتذة ممن يدرسون اللغة العربية فى أمريكا وبصفة خاصة فى جامعة ميشيغان .

أما المحاولة الثانية فكانت وراءها منظمة الثقافة والتربية والعلوم .

ثمرة المحاولة الأولى كتاب بعنوان :

مجموعة دروس مبرمجة لتعليم الأصوات والكتابة فى العربية المعاصرة

تأليف الدكتورين **أرنست مكاريوس وراجى راموني** آن آربر ميشيغان ١٩٧٠

وثمرة المحاولة الثانية مؤلف بعنوان : **الكتاب الأساسى فى تعليم اللغة العربية** لغير الناطقين بها ، الجزء الأول من إعداد الأستاذين الدكتور **السعيد محمد بدوي** والدكتور **فتحي على يونس** . تونس ١٩٨٣

كم كنا نود أن نتبع الخط التاريخي بعرض الكتابين على الترتيب المذكور ولكن نظرًا لأن الكتاب الأول يجيء حاويا لنظرية الأصوات فقد رأينا أن نرجىء مناقشته بعد « الكتاب الأساسى » .

أ ــ الكتاب الأساسى
فى تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

الجزء الأول من هذا الكتاب يتناول الحياة اليومية وموضوعاتها من خلال التعامل التلقائى مع أبناء المجتمع العربى ، ومن خلال مواقف طبيعية يترابط فيها النمط اللغوى بالظرف الاجتماعى المناسب (سواء كان ذلك شفاهيا فى الحياة اليومية كالبيع والشراء أو كتابيا فى مواقف التعامل الخاصة مثل ملء بطاقات

السفر وكتابة عقود الإيجار وقراءة الصحيفة اليومية . . . وغيرها) ويركز أساسا على تنمية مهارتى الاستماع والحديث باعتبارهما المدخل الطبيعى لدراسة اللغات الحية .[1]

يهمنا فقط طريقة عرض الألفباء العربية فى هذا الكتاب . أولا يبدأ العرض بتقديم الحركات وأصوات المد إلى الدارس من خلال كلمات وبالطبع تقوم التدريبات الوفيرة هنا والمعززة بتدريبات الشرائط المسجلة بتعزيز المادة المقدمة إلى الدارس ليس فقط فى هذا القسم بل فى دروس الكتاب كله والبالغ عددها خمسة وعشرين درسا عدا المقدمة الصوتية فى ١١ درسا كلها لتدريب الطالب على النطق السليم للحروف والحركات .

أما ترتيب الأصوات الصحيحة فقد جاء على النحو التالى (بالطبع لم يأت كل حرف مستقلا بل كان فى كلمة) :

ب م ف و

ث ذ ظـ

ت د طـ ض

س ص ز

ل ر ن

ش ج ى

ك ق خ غ

ع ح

هـ همزة

لم يذكر شىء فى المنهج عن تبرير الترتيب على هذا النحو ، ورغم هذا

---

(١) صفحة د من المقدمة التى كتبها الأستاذ الدكتور السعيد بدوى

فإننا نستطيع أن نرى وراءه إدراكا عميقا لطبيعة أصوات اللغة العربية فهو يقدمها على أساس المجموعات الصوتية حسب مواضع النطق أو مخارجه من شفوية إلى أسنانية فأسنانية لثوية فحنكية ولهوية وحلقية .

فالترتيب هنا يبدأ بأصوات شفوية ومنها أسنانية شفوية . ب م ف و تليها أصوات أسنانية أو مابين الاسنان : ث/ ذ/ ظ

ثم بعض الأسنانية اللثوية وليس كلها ت/ د/ ط/ ض

ثم بعض اللثوية : س/ ص/ ز

ثم حروف الزلاقة : ل/ ر/ ن

تليها اللثوبة الحنكية : ش/ ج

وصوت وسط الحنك ي

وفى مجموعة ك ق خ غ

يأتى صوات ك من أقصى الحنك

يليه صوت ق الصوت اللهوى

ثم خ ، غ من أقصى الحنك

بعد ذلك يأتى صوتان حلقيان هما ع ، ح

يليهما صوتان حلقيان أو الأحرى حنجريان هما : الهاء ، الهمزة[1]

أما الكتاب الآخر ، فقد راعى فى تقديم الحروف أن تقدم فى مجموعة تحكمها الرموز الكتابية أكثر من النطق ، وعلى ذلك فقد توالى عرض حروف : ب/ ت/ ث .[2]

---

(١) قارن الترتيب هنا بما ورد فى كتاب الأستاذ الدكتور كمال بشر (الباب الثانى : الفصل الثالث)

(٢) د/مكاريوس/ راموني : مجموعة دروس مبرمجة ص ١

ومعنى ذلك أن صورة الحرف أو رمزه (وليس مخرجه) هو الذى تحكم فى عرض هذه الدروس . ومن هنا جاء الترتيب على النحو التالى :

الألف والفتحة ، الذال ، الضمة والواو ، الكسرة والياء ، السكون ، الشدة والحروف المشددة ، ب ، ت ، ث ، ر ، ز ، ف ، ن ، ل ، ك ، ق ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، م ، هـ ، تاء مربوطة ، ج (أردنية) ، خ ، ح ، ع ، غ ، همزة ، مدة ، ألف قصيرة ، وصلة ، أداة التعريف ، ألف مقصورة .

والكتاب يعرض هذه الحروف وأصواتها بأكثر من طريقة :

الوصف النظرى للصوت ، ومقارنة الصوت العربى بالإنجليزية (روعى هنا أن الإنجليزية هي اللغة الأساسية فى المقارنة ، نظرًا لأنها اللغة الوسيطة لتعلم العربية فى هذا الكتاب) وكذلك كان هناك شرح لطريقة كتابة الحرف مستقلا أو موصولا بالمطبعة أو بخط ابن اللغة ودارسها (خط الرقعة) والمادة المعروضة تعززها التدريبات العديدة ، ومعظمها على شريط .

بدأ الكتاب بمقارنة الألف الطويلة بالفتحة وأشار إلى أنه لايوجد هنا مثيل من اللغة الإنجليزية لهذين الصوتين ، كذلك فقد أبان عن أنه فى العالم العربى لايوجد ثمة اتفاق على نطقهما ، ولهذا فقد اقترح المؤلفان أن أسهل طريقة لنطقهما هي متابعة المدرس وتقليده .

برغم هذا فلم ير المؤلفان بأسا من إيراد وجهة نظر الأقدمين فى هذين الصوتين ، فأبانا عن أن الاختلاف بينهما – كما عرف العرب – إنما يكمن فى الطول : كمية الزمن الذى يستغرقه نطقهما ، وإذا حدث ونطق كل منهما بطريقة نموذجية فإن الوقت الذى يستغرقه نطق الألف يعادل ضعف الوقت الذى يستغرقة النطق بالفتحة .

قد يقال إن الألف نظير الحركة a فى الكلمة الإنجليزية bad ولكنها أكثر منها فى الطول ، وبالتالى فإن الفتحة العربية أقصر تقريبا نصف الطول ، وهى تناظر تقريبا حركة u فى الكلمة الانجليزية but أو حركة ou فى كلمة Tongue ولكنها فى العربية أقصر على أى حال[1]

بعد ذلك يضع المؤلفان تدريبات لتثبيت هذه النقطة فى أذهان الطلاب مضيفين أنه إذا كان بالكلمة حركةطويلة ،يقع عليها النبر ، وإلا وقع على أول حرف به حركة قصيرة فى أى كلمات ليس بها حركات طويلة .

هذا ويشير المؤلفان إلى أن هذه العلامة توضع فوق الحرف وتسمى فتحة[2] (هذا لم يفعله العرب القدماء)

وسوف نجتزىء هنا ببضعة أمثلة لنشير إلى طريقة عرض المادة فى هذا الكتاب القيم :

الحرف د يمثله d فى الإنجليزية فى كلمة dandy فإذا جاء بعدها ألف نطقت دا daa أما إذا أخذت فتحة فتنطق دَ da .

الحرف ذ له قيمة Th فى الانجليزية this ، either ، bathe واسم الحرف بالعربية ذال ، وهو يكتب تماما كما يكتب حرف د مع وضع نقطة فوقه .[3]

ثم ينتقلان إلى الضمة فالواو تليها الكسرة فالياء وبعد ذلك السكون فالحرف المضعف بشدة .[4]

حرف ب b

---

(١) د / مكاريوس/ رامونى ، مجموعة دروس ص ٣

(٢) السابق ص ٤

(٣) السابق ص ٨

(٤) السابق صفحات ١٨ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٧ على التوالى

تسمى باء بالعربية ويمثلها حرف b فى الكلمة الإنجليزية bat . والباء العربية تنطق كالباء الإنجليزية ، ولكن عكس الإنجليزية تنطق الباء العربية غالبا مشددة فى وسط الكلمة مثل دبَّر ، تبَّت[1]

وللباء أربعة أشكال (هذا يعتمد على نوع الحرف الذى يسبقها أو يليها ، أما صورتها مستقلة فعندما تكون مفردة غير موصولة بشىء).[2]

والمؤلفان هنا يشيران إلى طريقتين لكتابة الباء : الباء المطبوعة ولها شكل واحد تقريبا بالخط النسخى ، ثم الباء التى يكتبها أبناء اللغة ولهم فى كتابتها أكثر من طريقة ب ب بـ بـ[3] (أهمل ذلك علماء العرب قديما)

حرف ت مثل t الانجليزية

حرف ث واسمها ثاء بالعربية مثل th فى الكلمة الانجليزية think فى الانجليزية يكتب المقابل لكل من ث ، ذ بنفس الرمز ولكن العربية تختار لكل منهما رمزا مستقلا .

ث بها ثلاث نقط وتستطيع أن تتذكر هذا حين النطق إذ تعرف أن كلمة three الانجليزية تحوى هذا الصوت فى العربية ، أما النطق الآخر فهو للحرف ذ[4] .

حرف ر r

يوجد فى لغات كثيرة مثل : الأسبانية ، الإيطالية ، اليابانية وغيرها .

---

(١) د / مكاريوس / رامونى : مجموعة دروس ص ٤٠ لقد أهمل العرب ذلك فى عرضهم لنطق الحروف وافترضوا أن تنطق الحروف مستقلة ، ولم يعيروا أي اهتمام للشدة والمدة والسكون والحركات القصيرة .

(٢) السابق ص ٤١

(٣) السابق ص ٤٤

(٤) السابق ص ٤٥ ، ٤٨

ويوجد أحيانا فى الإنجليزية الأمريكية وذلك عندما ينطقون three حيث تنطق r على أنها خفق وليس حركة ، وعادة ما تنطق حين وجود t بين حركتين كما فى letter، bitting هنا تكون الراء مثل الراء العربية .

والمؤلفان يقدمان نصيحة بأنه لو وجد الطالب صعوبة فى نطق الراء فهما ينصحانه بأن يكرر ra - ra - ra - ra

ثم يعقص طرف لسانه إلى فوق وإلى الأمام حتى يلمس اللثة ويمسّه برفق ثم ينفخ الهواء بقوة تجاه ذلك محاولا أن يعمل تعديلا بسيطا فى الوضع الدقيق العضلى لطرف اللسان حتى يحصل على النطق الصحيح لها .

فى البداية ربما يحتاج الطالب إلى قوة نفس ، ولكنه قد يجد مفيدا أن ينطق sh فى الإنجليزية ليضع اللسان فى وضع مناسب ، ثم يمسك لسانه بثبات ويجعل طرف اللسان إلى فوق صوب اللثة تقريبا لنقطة يسد عندها مجرى الهواء .

انفجار قوى للهواء هو الذى يجب أن يصدر التردد ، أعجبنى كثيرا بعد هذا التنظير الرائع لطريقة نطق صوت الراء تدريب « اسمع وكرر »[1]

حرف ق q

تختلف ق عن ك أساسا فى مخرج كل منهما . ك مثل k الإنجليزية تنطق عن مخارج متعددة بين palate و Vèlum وذلك حسب الحروف المتجاورة .

قارن مثلا k فى كلمة key بالكاف الخلفية فى cool

من ناحية أخرى ، ق تنطق دائما من جذر اللسان حين ينغلق عند اللهاة بصرف النظر عن الحركات المتجاروة .

لكى تنطق ق قل ك كما فى كلمة hawk

---

(١) د / مكاريوس / رامونى : مجموعة دروس ص ٥٤ ، ٥٥

اضغط على هذه الـ k حتى تجعل اتصالا بين مؤخرة اللسان و الحنك اللّين

والآن عندما تعمل هذا الاتصال عليك بأن تزحلق لسانك إلى الخلف حتى تلمس مؤخرة لسانك الجزء الخلفى للحنك بما فيه اللهاة هنا مخرج القاف

هذا شيء ، وشيء آخر : ك ، ق يتعاوران المخرج فى حالة تأثرهما بما يجاورهما من حركات : تتطلب ك نطقا أماميا Fronted Pronunciation للحركات التالية لها ، بينما ق تتطلب نطقا خلفيا .

وعلى ذلك فإن حرف المد فى كاد يكون له وقع مثل a فى Cad بينما الحرف فى قاد يسمع على أنه مثل o فى Cod .

هذا الاختلاف فى نوعية الحركة يساعدك فى شيئين :

أى الحرفين تسمعه حين ينطق

نطق كل منهما بالطريقة الصحيحة

صوت القاف يسمع على أنه مثل نعيق الغراب Cawing of a Crow إذا استطعت أن تقلد صوت نعيق الغراب فإن ذلك يساعدك على نطق القاف .

الشيء الأساسى أن تجعل آخر جزء من لسانك يلامس اللهاة وذلك عندما تقول ah

ق Unaspirated voiceless uvular stop

ك aspiratel voiceless velar stop[1]

إلى هنا أكتفى بإيراد بعض النماذج ، راجيا أن تمثل هذه الإشارة إلى معالجة الأصوات على المستوى التربوى نقطة للمقارنة بين الجهود القديمة والحديثة وأيضا تعطينا فكرة عن مدى التطور الذى وصلت إليه دراسة الأصوات على المستويين النظرى والتطبيقى على حد سواء ، وأخيرا فإن حصيلة ماقدمه اللغويون العرب فى القديم والحديث إنما يؤسس فى رأينا جدارًا صلبا أو هو

---

(١) د/ مكاريوس/ رامونى : مجموعة دروس ص ٨٤

بمثابة حجر الأساس الذى تنبنى عليه نظرية الاكتمال اللغوى بالمفهوم الذى أشرنا إليه .

ولكى تكتمل الصورة أكثر نرانا مدفوعين إلى تسجيل ملاحظة هنا .

ربما يظن أن الصور المتقاربة للحروف تكون أسهل عند تقديمها إلى الدارس المبتدىء . ولكننى أرى أن هذا التشابه قد يزيد الأمور تعقيدا . وهذه المسألة قد لاحظها العديد من التربويين هنا فى مصر[1]

« لقد ظن خطأ أنه كلما كان التقارب بين شكل الحروف أقرب كان الاستيعاب أسهل . ومن تجربتى فى تعليم اللغة العربية أرى أنه كلما كان التشابه بين الحروف أبعد أو منعدما ، كلما كان ذلك أيسر فى الاستيعاب . إنك لو أعطيت دارسا ما صورة الحرف ح ثم قلت له : ضع نقطة فى وسطه وانطقه ج ، أو ضع نقطة فوقه وانقطه خ ، وفى حالة عدم وجود نقطة فإن نطقه يكون ح ـــ لو فعلنا ذلك فإننا نزيد المشكلة تعقيدا ، لأن الدارس يضيع فى تيار وضع النقطة وهل هى فوق الحرف أو تحته أو فى وسطه أو لا نقطة على الإطلاق ، ويظل يتردد مرتين فى كل حالة يجد أمامه صورة هذا الحرف .

ومن هنا فإنى أقترح فى تقديم الألفباء العربية أن تقدم فى نظام نبعد فيه بين المتشابهات ما أمكننا ذلك كأن أدرس مثلا حرف ب مع حرف م ، أو حرف ث مع حرف هـ وهكذا ، على الأقل فى الكتب الأساسية أو التمهيدية لتعليم اللغة العربية »[2]

وبالتعاون مع بعض الزملاء[3] ، قمنا بتأليف كتاب لتعليم اللغة العربية لغير

---

(١) انظر : د / القوصى : التقرير النهائى عن تجربة تيسير الكتابة العربية ، ص ١٤

(٢) د / أحمد طاهر حسنين : اللغة العربية فى عصر التكنولوجيا ص ٣

(٣) صدر هذا الكتاب فى طبعته التجريبية سنة ١٩٨٤ وهو يحمل أسماء المؤلفين : الدكاترة : قمر عبده ، أحمد طاهر حسنين ، محمد الكاشف والأستاذة ناهد رشاد.

الناطقين بها ممن تتراوح أعمارهم بين سن السادسة والرابعة عشرة وهم أبناء الدبلوماسين العاملين فى الخارج .

وهذا الكتاب قد صدر بتكليف من المركز القومى للبحوث التربوية ، وقد راعينا فيه تحقيق هذا الهدف ، وهو تقديم حروف الأبجدية فى مجموعات تختلف شكلا ورسما .

وكانت التجربة ناجحة إلى حد كبير ، لأنها تختصر الكثير من الجهد والوقت بالنسبة للدارس والمدرس على حد سواء .

٨ ـــ الأصوات على المستوى الأدبى

كان للأصوات نصيب فى المناقشة على المستوى الآلى البحت والذى تمثل فى معالجة اللغويين قدامى ومحدثين لطريقة نطق كل صوت وبيان مخرجه وتقنينه بوصف محدد ثم تصنيف كل عددمشابه من الأصوات تحت فصيلة تضمها وتدل عليها . كذلك كانت ثمة دراسات من نوع آخر تخطت الحدود الآلية لبحث الأصوات ونظرت إليها بمعايير أخرى : نفسية أو اجتماعية أو أدبية بوجه عام . وهذا الجانب فى رأينا يتمم الجانب الأول ويضيف إليه .

وينبغى أن يُعلم أن هذا الجانب الأدبى لم يأت كلية من قبل البلاغيين ولكنه بدأ أيضا من قبل اللغويين . وللخليل بن أحمد نظرية هامة فى تجانس حروف الكلمة وفى عدم تجانس بعض الأصوات فيها . فمثلا يذكر أنه لاتجتمع فى كلمة واحدة ثلاثة حروف أصلية من مخرج واحد وذلك كالحروف الشفوية (ف ب م) فإنها لاترى مجتمعة فى كلمة واحدة على أنها تكوّن أصول تلك الكلمة .

القوانين الصوتية لانسجام حروف المفردات العربية كانت تأبى احتمال وجود هذه الظاهرة .

وإذا كانت اللغة العربية أصلا فيها كلمات مستعملة وأخرى مهملة فإن السبب فى إهمال الأخيرة لم يكن دائما بسبب عدم الاستخدام بقدر ما كان أيضا شيئا يرجع إلى أسس موضوعية ويتخذ من قوانين الانسجام الصوتى تبريرًا لظاهرة إهمال بعض كلمات واستخدام بعض آخر .[1]

والحق يقال ، لقد حظيت الدراسات الصوتية بنصيب كبير على يد عدد من البلاغيين العرب القدماء ، **فالجاحظ** يعتبر **اللفظ الجيد** بأنه ما تهش له النفس[2] وقد تحدث عن أثر الصوت المحبب إلى النفس ، ووصفه بأكثر من

---

(١) د / عبد الله درويش : المعاجم ص ٢ ، ٣

(٢) الجاحظ : البيان جـ ٢ ص ٨

وصف : يحبّب إلى النفس ، يتصل بالأذهان ، تهش له الأسماع ، وكلها كما نرى معايير نفسية وعقلية واجتماعية .[1]

يقول الأستاذ **على الجندى** :

إن الجمهور العربى تطرب آذانهم قبل عقولهم عند سماعهم الشعر[2].

وبالإضافة إلى ذلك فهناك اللفظ الجيد الذى يجرى على اللسان كما يجرى الدهان[3].

ولعبد القاهر الجرجانى حديث عن نظم الحروف[4].

وفى تعريف **الجاحظ للفظ الجيد** يشير إلى أنه ما تكون من « **حروف متلائمة** » وذلك فى مقابل اللفظ المتنافر . ومن حسن حظ العربية أن معظم ألفاظها تأتى من النوع الأول بأصل وضعها

النطق الجيد كان مطلوبا ، وهذا يرتبط بظاهرة إنشاد الشعر . وكذلك الإلقاء الخطابى كان أمرًا مطلوبًا .

نسجل هنا أن المبادىء النظرية فى مجال الأدب إنما قصد بها أولاً خدمة النثر الجيد وبصفة خاصة **الخطابة** ، ثم بعد ذلك **الشعر** .

الفارابى يركز على حقيقة أن الشعر ينشأ عادة بعد فن **الخطابة**[5] على أن هناك من الشعراء ممن اشتهروا بالنطق الجيد ، وكان يشار إلى ذلك بعبارة عذب المنطق وذلك مثل لبيد بن ربيعة ، سحيم عبد بنى الحسحاس والشاعر القتامى .[6]

---

(١) الجاحظ : البيان جـ ٢ ص ٨

(٢) على الجندى : الشعراء وإنشاد الشعر ص ٩

(٣) الجاحظ : البيان جـ ١ ص ٦٧

(٤) عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز ص ٩٣

(٥) الفارابى : كتاب الحروف ، تحقيق الاستاذ الدكتور محسن مهدى ص ١٤٢

(٦) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء صفحات ١١٣ ، ١٥٦ ، ٤٥٢

أهمية الأصوات تأتى من تأثيرها على الأسلوب ككل[1] . ومن أجل هذا ، **فاللفظ الجيد** كان غاية يسعى إليها .[2] وبالتالى فقد عدّ هذا موضوعا أساسيا فى نظرية البلاغة[3].

كل **صوت** يجب أن يخرج من مخرجه الصحيح (وهذا تأثير اللغويين) ولذلك فإن اللفظ يكون جيدا ـــ كما يشير قدامة بن جعفر ـــ عندما يكون « سهل مخارج الحروف من مواضعها »[4].

ولتطبيق هذا المبدأ فى مجال **الخطابة** نجد أن الجمهور قد فضلوا واحدا كزيد ابن على بن الحسين على الجمحى لأن الأخير كان لديه عيب من عيوب النطق وهو صفير يخرج من بين أسنانه حين كان يتكلم[5].

النطق الصحيح كان مهما ليس فقط على المستوى الأدبى ، ولكن أيضا على المستوى الاجتماعى . وبعض الناس كانوا يقيّمون بنفس المعيار ، بمعنى أنه لو وجد فى أحدهم عيب من عيوب النطق فإن ذلك كان يقصر به عن أن يكون إنسانا سويا ، كان ذلك يعد بمثابة عيب أو نقص عام وقصور فى هذا الشخص .

وعلى سبيل المثال نذكر هنا القصة التى رواها لنا ابن الأعرابى عن أبى رمادة الذى طلق امرأته بعد أن اكتشف أنها « لثغاء » كى لا تنجب له ولدا يكون « ألثغ »[6]

واللثغة جعل السين ثاء أو الراء غينا والأولى كانت مقبولة نوعا[7]

---

(١) الجاحظ : البيان جـ ١ ص ٧٩
(٢) أبو هلال العسكرى : كتاب الصناعتين ص ١٦
(٣) السابق ص ٢٠١
(٤) قدامة : نقد الشعر ص ١٠
(٥) المبرد : كتاب البلاغة ص ٦٠ والجاحظ : البيان جـ ١ ص ٥٨ ، ٥٩
(٦) الجاحظ : البيان جـ ١ ص ٥٧
(٧) السابق جـ ٢ ص ٣٣٢

هنا وما نزال نذكر أن رائدا من رواد المعتزلة هو واصل بن عطاء كان يعانى من اللثغة فى النوع الثانى وهو نطق الراء غينا[1]

فكرة « **الاقتران** » أو الملائمة فى ضم الأصوات بعضها إلى بعض فى كلمة واحدة لقيت رواجا كبيرا من معالجة القدماء ، وهنا نجد بعض المبادىء العامة :

حرف ج لا يأتى مباشرة قبل أو بعد الحروف التالية : ظ / ق / ط / غ وبالمثل ، حرف الزاى لا يمكن أن يوصل بحروف : ظ / ش / ض / ذ . كذلك لا يوجد فى العربية كلمة فيها : ق / ك / ج ومن هنا لا يوجد لدى العرب مقاطع مثل : قج / جق / كج / جك / قك / وكذلك ص / س / ز لا تجتمع مثلا فى كلمة ، فلا يوجد : سصّ ، صسّ ، سزّ ، ززّ ، زصّ . وقد قيل عن كل هذا إنه منبوذ .[2]

وكذلك فإن ما يطلق عليه الحروف المتآخية كان محظورا أن يجتمع فى كلمة وذلك مثل : س / ش ، ع / غ[3]

تجنب كل هذا كان يؤدى إلى كلمة « **سهلة المخارج** » [4] وهى التى تتألف من أصوات تأتى من مخارج تتميز بسهولة .

ضرورة اختيار مثل هذه الكلمات كان أمرا مرغوبا فيه فى مجال الشعر تقريبا باتفاق الآراء .

ومع ذلك فقد وقعت بعض مخالفات فى هذا الصدد أجازها بعض العلماء ، فهذا **ابن جنى** حين علق على أشعار الهذليين نجده يلاحظ أن أحد الشعراء

---

(١) ابن قتيبة ، أدب الكاتب ص ١٣

(٢) الجاحظ ، البيان جـ ١ ص ٦٩

(٣) ثعلب ، قواعد الشعر ص ٦٩

(٤) العسكرى : كتاب الصناعتين ص ١٤٧

قد غير صوت الصاد إلى السين فى كلمة تصيح أصبحت : تسيح .

شاعر هذلى آخر استبدل السين بالثاء فى كلمة .

ابن جنى برر هذا بأن كلا الحرفين السين والثاء حرفان مهموسان وعلى ما يبدو أنه كان راضيا عن مثل هذا الاستبدال بين الحروف .

ولا أدل على ذلك من أنه أجاز حالة اعترض عليها أستاذه أبو على الفارسى وهى قول أحد الشعراء عصيك بدلا من عصيت[1]

على أية حال ، ولكى نبرر فكرة تجانس الحروف فى الكلمة ووجوب كونها سهلة المخارج نجتزىء هنا باقتباس ما قيل حول هذا الجانب الصوتى الهام فى كتاب : **سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى** .

وتأتى أهمية هذا الكتاب من أن مؤلفه مزج فى بحثه بين الأصوات على المستوى الآلى (العضوى) والمستوى الاجتماعى والنفسى فى مجال الأدب .

١ ـــ فى المستوى الأول ، أسهب الحديث عن الأصوات وكيف تحدث ، ثم عن الحروف وكيفية اختلافها باختلاف مقاطع الصوت وهو يقتبس من ابن جنى تشبيه الحلق والفم بالناى لأن الصوت يخرج منه مستطيلا ساذجا فإذا وضعت الأنامل على خروقه ووقعت المزاوجة بينها سمع لكل حرف منها صوت لا يشبه صاحبه ، فكذلك إذا قطع الصوت فى الحلق والفم بالاعتماد على جهات مختلفة سمعت الأصوات المختلفة التى هى حروف ، ولهذا لا يوجد فى صوت الحجر وغيره لأنه لا مقاطع فيه للصوت وليس يحتاج إلى حصر الحروف التى يتعلق بها[2]

وابن سنان يشير إلى أن سبب ذكره لما فى اللغة العربية من حروف أن

---

(١) ابن جنى : التمام فى تفسير أشعار هذيل ص ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٨

(٢) ابن سنان : سر الفصاحة ص ١٨ ، ١٩

فى غيرها من اللغات حروفا ليست فيها كلغة الأرمن وماجرى مجراها[1] (ولكنه لا يعطينا نماذج لذلك) . ولعله بذلك كان يشير إلى ظاهرة تشوه النطق العربى السليم على ألسنة غير العرب الذين أخضعوا نطقهم للغة العربية لنواميس وأنماط السلوك اللغوى فى لغاتهم الأصلية .

وهو يورد حروف العربية على أنها تسعة وعشرون حرفا يضع فيها الألف بعد الهمزة ويرتبها جميعها بترتيب المخارج .

ثم يقول إنه يلحق هذه الحروف حروف بعضها يحسن استعماله فى الفصيح من الكلام ، وبعضها لا يحسن . فالتى تحسن ستة أحرف وهى :

النون الخفيفة التى تخرج من الخيشوم ، والهمزة المخففة ، وألف الإمالة ، وألف التفخيم وهى التى بها ينحا نحو الواو ، وذلك كقولهم فى الزكاة الزكاوة ، والضاد التى كالزاى نحو قولهم فى مصدر : مزدر ، والشين التى كالجيم نحو قولهم فى أشدق : أجدق[2]

والحروف التى لا تستحسن ثمانية وهى :

الكاف التى بين الجيم والكاف نحو كلهم عندك ، والجيم التى كالكاف نحو قولهم للرجل : ركل ، والجيم التى كالشين نحو قولهم : خر شت ، والطاء التى كالدال كقولهم دلب ، والضاد الضعيفة كقولهم فى أثرد أضرد ، والصاد التى كالسين فى قولهم سدق بدلا من صدق ، والظاء التى كالثاء كقولهم ثلم فى ظلم ، والفاء التى كالباء كقولهم فرند[3]

ثم تكلم عن المخارج وجعلها ١٦ مخرجا ، وبين بعد ذلك صفات الحروف المجهورة والمهموسة وما إليها . وفى حديثه كله لا يخرج عن أن يكون ناقلا

---

(١) ابن سنان ، سر الفصاحة ص ١٨ ، ١٩

(٢) السابق ص ١٩ ، ٢١

(٣) السابق ص ٢٢

عن القدماء دون تغيير أو تعديل .[1]

٢ ــ وعلى المستوى الآخر النفسى والاجتماعى فى مجال اعتبار فصاحة الكلمة وهى الإضافة التى تهمنا فى الترق بموضوعنا عن طريق التكامل فى نظرية الاكتمال اللغوى ، يقول ابن سنان :

« وانما أردنا ذكرما لا يستغنى عنه طالب معرفة الفصاحة . . لأنه كالطريق الذى يجتاز فيه إلى مرادنا »[2]

وهذا النص فى رأيى هو الرابطة link التى تربط أسباب نظرية الاكتمال اللغوى بنظرية الجمال البلاغى فى منطقة مفتوحة لكلتا النظريتين . ماأكثر البحوث البلاغية التى أشارت إلى استقلال جهود اللغويين فى مجال علوم البلاغة ، ولكن الوجه الآخر للمسألة لم ينبَّه إليه التنبيه الكافى ، وأقصد بذلك قصور الدراسات اللغوية عند حدود ما قاله اللغويون . من أجل ذلك فقد جعلت مهمتى فى هذا البحث أن أعبر بالدراسات اللغوية هذا الحاجز الوهمى لكى أثبت أن البحوث البلاغية يمكن الاستفادة بها فى المجال اللغوى لأنها تثريها وتضيف إليها . ومن الأخذ والعطاء تتكامل الدراسات التراثية لتشهد بعظمة المؤلفين العرب : قدامى ومحدثين على حد سواء .

بعد هذا الاستطراد نقول : إن الفصاحة ــ كما يشير ابن سنان ــ نعت للألفاظ إذا وجدت على شروط عدة ، ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزية على فصاحة تلك الألفاظ ، وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف ، وبوجود أضدادها تستحق الاطراح والذم[3].

---

(١) ابن سنان : سر الفصاحة ص ٢٢ ، ٢٣

(٢) السابق ص ٢٤

(٣) السابق ص ٦٠

ويهمنا هنا تلك الشروط التى توجد فى اللفظة الواحدة على انفرادها دون أن ينضم إليها شىء من الألفاظ وتؤلف معه . وسنقصر حديثنا هنا على بعض تلك الشروط التى أوردها ابن سنان مما يخدم الغرض فى إضافة هذا الفصل إلى ما سبقه .

أول معيار لفصاحة الكلمة : أن يكون تأليف اللفظة من حروف متباعدة المخارج (لاحظ هنا استغلال نتائج دراسة الأصوات على المستوى الآلى (العضوى) فى تقدير قبول الكلمة على المستوى الأدبى الفصيح) وفى هذا تبرز فكرة التكامل بصورة أوضح .

الذوق العام كان يقدر ما نسميه اليوم بالـ Contrast فى الألوان والملابس والفن وما إلى ذلك .

وعلة ذلك فى أن الحروف التى هى أصوات تجرى من السمع مجرى الألوان من البصر ، ولا شك فى أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت فى النظر أحسن من الألوان المتقاربة ، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة ، ولقرب ما بينه وبين الأصفر وبعد ما بينه وبين الأسود[1]

وعلى ذلك فإن حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة هى العلة فى حسن النقوش إذا مزجت من الألوان المتباعدة ، ذلك لأنه لا يظهر حسن الشىء إلا ضده .

ويشير ابن سنان إلى أن جل كلام العرب مؤلف من الكلمات ذات الحروف المتباعدة ، ولهذا لا يرى ضرورة لإيراد أمثلة ، بل على العكس يروح فيذكر المستقبح لأنه مؤلف من حروف متقاربة وهو يعطى مثالا لذلك كلمة الهعخع نظرًا لاحتوائها على أكثر من حرف من الحروف الحلقية وهى تستوجب القبح

---

(١) ابن سنان ، سر الفصاحة ص ٦١

لوجودها فى كلمة واحدة : نستقبح هذا تماما كما نستقبح بعض الأمزجة من الألوان أو بعض النغم من الأصوات[1]

معيار آخر ، أن نجد لتأليف اللفظة فى السمع حسنا ومزية على غيرها وإن تساويا فى التأليف من الحروف المتباعدة . ومثال ذلك فى الحروف ع ذ ب فإن السامع يجد لقولهم العُذيب : اسم موضع ، وعُذَيبة اسم امرأة ، وعذب وعِذاب وعذبات مالا يجده فيما يقارب هذه الألفاظ فى التأليف[2] ، وليس سبب ذلك بعد الحروف فى المخارج فقط ولكن تأليف مخصوص مع البعد . ولو قدمت الذال أو الباء لم تجد الحسن على الصفة الأولى فى تقديم العين على الذال لضرب من التأليف فى النغم يفسده التقديم والتأخير .[3]

ولا يخفى على أحد من السامعين أن تسمية الغصن غصنا أو فننا أحسن من تسميته عسلوجا ، وأن التعبير بأغصان البان أحسن فى السمع من عساليج الشوحط . ومثال ما يكره قول أبى الطيب المتنبى :

مبارك الاسم أغر اللقب   كريم الجِرِشّى شريف النسب

فإن فى كلمة الجرشى تأليفا يكرهه السمع وينبو عنه ، ومثلها كلمة حقلّد فى قول زهير بن أبى سلمى :

تقىّ نقىّ لم يكثر غنيمة   بنكهة ذى قربى ولا بحقلّد

والحقلّد كلمة توفى على قبح الجرشى وتزيد عليها .[4]

معيار ثالث للكلمة الفصيحة : أن تكون — كما قال الجاحظ — غير متوعرة ولا حوشية كقول أبى تمام :

---

(١) ابن سنان : سر الفصاحة ص ٦١

(٢) لست أدرى لماذا تجاهل ابن سنان عَذاب بفتح العين ، ربما لأنها لا تخدم فكرته هنا .

(٣) السابق ص ٦١ ، ٦٢

(٤) السابق ص ٦٣

لقد طلعت فى وجه مصر بوجهه بلا طائر سعد ولا طائر كهل

كلمة كهل من غريب اللغة وقد روى أنَّ الأصمعى لم يعرف هذه الكلمة . وقد قيل إن الكهل : الضخم ، وكهل لفظة ليست بقبيحة التأليف لكنها وحشية غريبة لا يعرفها مثل الأصمعى .

ومن ذلك أيضا ما يروى عن أبى علقمة النحوى من قوله : مالكم تتكأكؤون على تكأكؤكم على ذى جِنّة ، افرنقعوا عنى .[1]

المعيار الرابع : أن تكون الكلمة غير ساقطة عامية مثاله قول أبى تمام :

جليت والموت مبدٍ حر صفحته وقد تفرعن فى أفعاله الأجل

فإن تفرعن مشتق من اسم فرعون وهو من ألفاظ العامة وعادتهم أن يقولوا تفرعن فلان إذا وصفوه بالجبرية[2].

المعيار الخامس : أن تكون الكلمة جارية على العرف العربى الصحيح غير شاذة ، ويدخل فى هذا القسم كل ما ينكره أهل اللغة ويرده علماء النحو من التصرف الفاسد فى الكلمة .[3] وقد يكون ذلك لأجل أن اللفظة بعينها غير عربية[4] .

المعيار السادس : ألا تكون الكلمة قد عبر بها عن أمر آخر يكره ذكره فإذا أوردت وهى غير مقصود بها ذلك المعنى قبحت ، وإن كملت فيها الصفات التى بيّناها . ومثال هذا قول عروة بن الورد العبسىّ :

قلت لقوم فى الكنيف تروحوا عشية بتنا عندما وان رُزّح

---

(١) ابن سنان : سر الفصاحة ص ٦٣

(٢) السابق : ص ٦٩

(٣)نرجىء مناقشة هذا بالتفصيل إلى الباب الذى نناقش فيه البعد القاموسى

(٤) السابق ص ٧٢

والكنيف أصله الساتر ، ومنه قيل للترس كنيف ، غير أنه قد استعمل فى الآبار التى تستر الحدث وشهرتها ، فأنا أكرهه فى شعر عروة وإن كان ورد موردا صحيحا لموافقة هذا العرف الطارىء[1]

المعيار السابع : أن تكون الكلمة معتدلة غير كثيرة الحروف فإنها متى زادت على الأمثلة المعتادة المعروفة قبحت وخرجت عن وجهٍ من وجوه الفصاحة . ومن ذلك قول أبى نصر بن نباتة :

فإياكم أن تكشفوا عن رءوسكم ألا إن مغناطيسهن الذوائب

فمغناطيسهن كلمة غير مرضية لما ذكرته[2]

المعيار الثامن والأخير : أن تكون الكلمة مصغرة فى موضع عبر بها فيه عن شيء لطيف أو خفى أو قليل أو ما يجرى مجرى ذلك ، وذلك ككلمة رويحة للريح فى شعر الشريف الرضى لأن المقصود بها نسيما خفيفا[3].

تهمنا هنا نقطة ذكرها **ابن سنان** فى معرض بحثه هذا وننقلها بنصّها لأهميتها :

« . . اقتصارى فى أكثر ما أمثل به على المنظوم دون المنثور مع أن كلامى عليهما واحد فإنما أقصد ذلك لكثرة المنظوم واشتهاره ، ورغبتى فى أن يسهّل الوزن عليك حفظ ما أذكره فإنه داع قوى وسبب وكيد . »[4]

وهذه الإشارة تؤكد ما قلناه فى المقدمة من أن الهدف التعليمى دائما كان موجودا من وراء كتابة المؤلفات .

---

(١) ابن سنان : السابق ص ٧٨

(٢) السابق ص ٨٠ ، ٨١

(٣) السابق ص ٨٢

(٤) السابق ص ٧٢

هذا وإن فكرة **بُعد مخارج الحروف فى الكلمة الفصيحة** ظلت تتردد حتى بعد عصر **ابن سنان** ، ولكنها لم تؤخذ على عواهنها كما كانت . فهذا **ابن الأثير** يناقش القضية بموضوعية أكثر . وهو يعتبر أن الأمر ليس على إطلاقه هنا فمثلا كلمة ملع : جرى أو قفز حروفها متباعدة المخارج ومع ذلك فليست كلمة مستحبة ، والعكس صحيح ، كلمة جيش حروفها متقاربة المخارج ومع ذلك لم يقل واحد إنها كلمة ردئية ومثلها شجر ، شجن .[1]

وقد يتمم هذه المناقشة أن نشير إلى بلاغى محنّك هو **بهاء الدين السبكى** الذى راح يناقش المسألة بإمكانيات أكثر ، فقد ابتدع نظاما لضم الأصوات فى الكلمات الثلاثية والرباعية وغيرها ، وأرجع الإمكانات إلى النطق وطبيعة الانتقال من جزء من أعضاء النطق إلى جزء آخر .

قسم **السبكى** جهاز النطق إلى ثلاثة أجزاء رئيسية :

جزء علوى (الحلق ، والأوتار الصوتية)

جزء أوسط (الحنك ، واللسان)

جزء أدنى (الفم ، والشفتان)

وقد وزّع الحروف العربية على هذه الأجزاء الثلاثة قائلا إن تعدد التوليفات يؤثر على حسن الكلمة أو قبحها[2] .

---

(١) ابن الأثير ، المثل السائر جـ ١ ص ٢٢٣ ــ ٢٢٥

(٢) السبكى ، عروس الأفراح جـ١ ص ٩٤ ، ٩٥

٩ ـ الأصوات وحروف الروى فى الشعر

استغل الباحثون بعض الدارسات الصوتية عن طبيعة الحروف وراحوا يطبقونها على حرف الروى فى الشعر . وبرغم أنهم وجدوا أن كل حروف الأبجدية العربية قد استنفدها القدماء فى حروف الروى[1] فإن بعض النقاد والبلاغيين العرب القدماء قد نبهوا إلى أن ثمة عددًا من الحروف لا تناسب أن تكون رويا وهى حروف : غ / ط / ظ .[2]

كذلك كره القدماء وقوع حرف ث رويا ، برغم وجوده أحيانا رويا لبعض القصائد[3] وعلى العكس امتدحوا رويا حروف : د / ر / م / همزة .[4]

فى اعتقادى أن الدراسة الصوتية وحدها لم تكن الأساس هنا ، بل صحبتها أيضا نظرة نفسية .

لقد قيل إن حرف الروى هو آخر ما يستمع إليه الإنسان ، ومن هنا فيجب أن يكون آخر تحية يوجهها الشاعر إلى جمهوره ، وأيضا فإنها تتكرر فى الأبيات فإن لم تكن مختارة بعناية لثقلت على السامعين .

ومن هنا فإن المتنبى قد لام زهير بن أبى سلمى لإنهائه بيتا من الشعر بكلمة « قمل » فى قوله :

فأقسمت جَهدا بالمحصب من منى وما سُحفت فيها المقادم والقمل[5]

---

(١) هذا رأى أبى عبيد القاسم بن سلام كما يقول المعرى فى مقدمته للزوميات جزء ١ ص ١٢

(٢) الحاتمى ، الرسالة ص ٤٢ ، الصاحب : الكشف ص ٣٤ ولوصف هذه الحروف وطبيعتها انظر : أنيس : الأصوات (لحرف غ ٨٨ ـ ٨٩ ، ط : ص ٤٨ ، ٦٢ ، حرف ظ : ص ٤٧) .

(٣) المعرى ، رسالة الغفران ص ٤٨٥

(٤) السابق ٤٨٦ ، ٤٨٧

(٥) الحاتمى ، الرسالة ص ٨٢

والسؤال الآن : إلى أى مدى اعتبر نقاد العرب الأقدمون حرفا من الحروف مناسبا ليكون رويا وحرفا آخر بأنه غير مناسب .

المعرى يقول : إن المتقدمين لم يستعملوا كل الحروف رويا ، وقد استمد نماذج من شعر امرىء القيس والنابغة : الأول منهما لم يستخدم فى الروى حروف : ط / ظ / ش / خ ، بينما النابغة لم يستخدم : ص ، ض ، ط .[1]

استخدام حروف بعينها لتكون رويا ــ فى رأى المعرى ــ إنما جاء متمشيا مع التقليد ليس غير .

هنا وتستهوينا تلك النقطة نتتبعها فى دراسات حديثة ، وسنقصر حديثنا على اثنين ممن أدلوا بدلوهم فى هذا المجال : أحدهما لغوى مشهور هو أستاذنا الدكتور إبراهيم أنيس ، وثانيهما هو الشاعر المصرى المعروف الأستاذ على الجندى .

الأستاذ اللغوى صنف الحروف التى تصلح لأن تكون رويا بطريقة إحصائية على النحو التالى :

الحروف التى تستخدم أكثر فى الروى هى : ر / ل / م / ن / ب / د / س / ع

حروف تستخدم رويا ولكنها أقل من سابقتها : ق / ك / همزة / ح / ف / ى / ج

جروف أقل تواردا فى وقوعها رويا : ض / ط / هـ / ت / ص / ث

حروف يندر وقوعها رويا : ذ / غ / خ / ش / ز / ظ / و

كثرة الترداد أو قلته فى استخدام هذه الحروف فى التقسيمات المختلفة لا يرجع بالدرجة الأولى إلى سهولة النطق أو صعوبته ، لأن من الواضح أن حرف ز لايتطلب جهدا أكثر مما يتطلبه حرف : ص ومع ذلك فإن ز نجدها فى آخر القائمة جنبا إلى جنب مع حروف يندر وقوعها رويا[2]

---

(١) المعرى ، اللزوميات جـ ١ ص ٢٢

(٢) د / أنيس ، موسيقى الشعر ص ٢٤٨

أما أستاذنا على الجندى فقد وضع الحروف التى لا تصلح لتكون رويا على النحو التالى : ث / خ / ذ / ز / ش / ص / ط / ظ / غ / و مرتبة ترتيبا أبجديا .

ولكنه يقول إنها جميعها ليست على درجة واحدة من عدم الصلاحية لأن المكروه منها أكثر : أربعة حروف هى : خ / ص / ظ / غ .

أما الحروف الباقية : ث / ذ / ش / ط / ز / و فهى أقل كراهية .

وبرغم أن ابن الأثير لا يضع ز / و فإن الأستاذ الجندى يؤكد على أن من الواجب وضعها مع الحروف الأقل كراهية فى السمع.

أبو المجد المعرى (أخو المعرى المشهور) قيل إنه استخدم رويا حروف : ث / ص / ط / غ

كذلك فإن ابن قُسَيْم الحموى (شاعر من شعراء خريدة القصر)

استخدم رويا حروف : ذ / ش / ص / ظ / غ / و

ويختتم الأستاذ الجندى بحثه فى هذه النقطة قائلا إن هؤلاء الشعراء الذين صنعوا هذا الصنيع إنما كانوا يفتقرون إلى الذوق الأدبى السليم أو ربما فعلوا ذلك ـــ وهم مخطئون ـــ ليظهروا نوعا من تفوقهم اللغوى .[٢]

والذى نلاحظه من هذا العرض هو غياب النظرة الموضوعية التى تؤدى إلى أحكام أكثر ثباتا فى مثل هذه النقطة فعلى حين نجد عند الباحث اللغوى حروفا يقل تواردها فى وقوعها رويا ، أى أنها ليست الدرجة الأخيرة عنده وهى التى يندر وقوعها ، نجد أن الأستاذ الشاعر يضعها ضمن الحروف التى لا تصلح أبدا أن تكون رويا .

---

(١) د / أنيس ، موسيقى الشعر ص ٢٤٨

(٢) على الجندى ، الشعراء وإنشاد الشعر صفحات ١٢٠ ـــ ١٢٣

من أجل هذا حاولت تصفح دواوين بعض الشعراء المشهورين فى العصرين : الجاهلى والعباسى ، على الأقل فيما يتعلق بحرف الثاء فوجدت فعلا أنها لم تكن مستخدمة على الأقل من جانب امرئ القيس ، علقمة ، النابغة ، زهير ، طرفة ، عنترة .[1]

كذلك لم تجئ الثاء رويا فى قصائد أى شاعر من شعراء الأصمعيات[2] وأيضا فإن الأعشى ، البحترى ، المتنبى لم يستخدموها كذلك .

ظهرت الثاء رويا فى قصيدتين لأبى تمام ثم مرتين فى ديوان أبى فراس .

---

(١) الشنتمرى ، أشعار الشعراء الستة الجاهليين جزء ١ ، ٢

(٢) الأصمعيات ، تحقيق شاكر ، هارون ط ٢

الباب الثانى

البُعد الصرفى

الباب الثانى : البُعد الصرفى
تمهيد : علم الصرف وأهميته

اللغة العربية بها أسماء وأفعال وحروف ، والأسماء منها ما هو متمكن (معرب) ومنها ما ليس بمتمكن (مبنى) ، وكذلك الأفعال منها ما هو متصرف أى صالح للاشتقاق منه ، ومنها ما هو جامد لا يتصرف . أما الحروف فجميعها مبنية أى ثابتة لا تتغير .

علم الصرف أو التصريف يهتم من هذا كله بشيئين رئيسيين :

الأسماء المتمكنة (المعربة)

والأفعال المتصرفة (المشتقة)

وذلك من حيث البحث فى كل منهما عن كيفية صياغتها وإمكاناتها اللغوية التى تفيد المعانى المختلفة ، وكذلك يدرس الصرف ما يطرأ عليها من إعلال أو إبدال أو قلب أو إدغام وما إلى ذلك .

ويجىء هذا متمشيا مع المعنيين : اللغوى والاصطلاحى فى تعريف الصرف .

فالصرف من التصريف وهو التحويل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وتصريف الرياح ﴾ أى تحويلها .

وفى الاصطلاح : علم يختص بدراسة بنية الكلمة العربية وما يطرأ عليها من تغيير ، سواء كان هذا التغيير بإضافة حروف أو نقصانها .

والبنية هى الهيئة التى تكون عليها كلمة من الكلمات مراعى فيها التشكيل الداخلى من حركات (ضمة ، فتحة ، كسرة) أو سكون .

وأقدم إشارة إلى الصرف نجدها فى كتاب **سيبويه** ، ولكنها إشارة يثبت فيها **سيبويه** أنه لم يكن مبتدعا لهذا العلم ، بل إنه وجد النحويين حتى عصره

يناقشون مسائله ، ومن هنا فقد اقتضته الأمانة العلمية أن يعزو الأمر إلى من سبقوه . يقول **سيبويه** :

هذا باب مابنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة ، وما قيس من المعتل الذى لا يتكلمون به ولم يجئ فى كلامهم إلا نظيره من غير بابه ، وهو الذى يسميه النحويون : التصريف والفعل »[1] .

والصرف هو **ميزان العربية** كما يقول **ابن جنى** ، وإليه يحتاج جميع أهل العربية ، لأن به تعرف أصول كلام العرب فى الزوائد الداخلة عليها . وكذلك فإن جزءا كبيرا من اللغة يؤخذ بطريق الاشتقاق أو القياس ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف ، وبالإضافة إلى ذلك فإن الصرف يغنى أحيانا عن السماع ، فإذا عرفت أن كلمة « كرُم » بضم العين فإنك تستطيع – بالقياس – أن تخمن مضارعها وأنه « يكرُم »[2] .

هذا وبين التصريف والاشتقاق نسب قريب واتصال شديد ، فمعنى أن تجيء فى التصريف إلى الكلمة الواحدة وتقلبها على وجوهها أنك فى الحقيقة تستخرج إمكاناتها الاشتقاقية ومن هنا فالعلاقة وثيقة بين الاثنين[3] .

التصريف وسيطة بين النحو واللغة ، وكلاهما يتجاذبانه ، وإن كان الاشتقاق أقعد فى اللغة من التصريف ، والتصريف أقرب إلى النحو من الاشتقاق ، والدليل على هذا أنك لا تكاد تجد كتابا فى النحو إلا والتصريف فى آخره .

التصريف دراسة للكلم الثابتة ، أما النحو فلمعرفة أحواله المتنقلة[4] .

---

(١) سيبويه ، الكتاب حـ٢ ص ٣١٥
(٢) ابن جنى ، المصنف حـ ١ ص ٢
(٣) السابق ص ٣
(٤) السابق ، ص ٤

أمر آخر يرينا **أهمية علم الصرف** ، وهو أن الناظر فى القواميس العربية محتاج لأن يكون على معرفة بالصرف ومسائله . **فالخليل بن أحمد** يصنف قاموس « **العين** » واضعا الكلمات فيه تبعا لحروفها الأصلية فقط – وعلى هذا النسق سارت كل القواميس – ومعنى هذا أن الناظر فى القواميس العربية إنما يحتاج لمعرفة صرفية بحروف الزيادة وطريقة تجريد الكلمة . وأيضا عليه أن يكون على بينة من الثنائى والثلاثى الصحيح والثلاثى المعتل ، واللفيف ، والرباعى والخماسى وما إلى ذلك[1] .

ولتوضيح هذه النقطة أكثر ، أشير إلى أن صيغ اللغة العربية عديدة يمكن ردها إلى عدة أنواع على الوجه التالى :

المجرد ، مثل . كتب ، زلزل ، سفرجل . وهذا يبحث عنه فى القاموس كما هو .

المزيد ، مثل : اقتدر ، استمد ، اطمأن ، استغفار ، طواعية ، ثمانية ... وهذا النوع يرد إلى أصله بحذف زوائده،ولا سبيل إلى معرفة الزوائد إلا عن طريق المعرفة الصرفية .

المحذوف منه حرف أو أكثر ، مثل : يد ، دم ، أب ، فئة ، قِ ، بع ، ادع . وهذا يرد له ما حذف منه ثم يبحث عنه .

المغير عن أصله بالقلب الإعلالى نحو : قال ، باع . وهو أيضا يرد إلى أصله .

المغيّر عن أصله بالإبدال أو التعويض مثل : اتجه ، كلتا ، أخت . وترد إلى أصولها .

المغير عن أصله بالقلب المكانى ، نحو : ناء ، جاه ، صاعقة . ترد إلى ترتيبها الأصلى .

---

(١) د/ عبد الله درويش : المعاجم العربية ص ١٧ .

المثنى والمجموع بأنواعه ، ويرد إلى المفرد المذكر فى صورة النكرة .

ما تغيرت مادته لذاته ، مثل : حسان ، جبان ، معين . ويلاحظ فيه هذا التغيير عند البحث عنه . ومن ثم يتعدد أصله[1] .

وبالمثل فإن **ابن دريد** يحشو قاموسه « **الجمهرة** » بالعديد من الأسس الصرفية ، وذلك إذ يتكلم عن الثنائى ويقسّمه إلى ثنائى غير مضاعف ، ثم ثنائى مشدّد الآخر (مثل : دقٍّ) ، ويذكر الثنائى الذى تكرر فيه المقطع مرتين (وهو ما يسميه الصرفيون بالرباعى المضعف)[2] .

بل أكثر من ذلك ، كان بعض مصنفى القواميس القديمة يقوّمون على أساس من دقتهم بمسائل الصرف . وهذا **ابن جنى** يعيب على **ابن دريد** عدم دقته فى الاشتقاق اللغوى ، وبالتالى عدم درايته الكاملة بعلم الصرف[3] .

ومعرفة مسائل الصرف - بالإضافة إلى كل ما تقدم - تعصم اللسان عن الخطأ فى ضبط صيغ اللغة العربية ، وتجعل المتكلم متمكنا من ضبط مفرداته الضبط اللغوى السليم ، كما يمكنه ذلك من التمييز بين ما هو قياسى أو سماعى يستخدم ، وما هو شاذ يجب تجنبه .

---

(١) د/ غريب عبد المجيد نافع : الصرف القياسى وأثره فى نمو اللغة حـ ١ ص ٣١٤ ، ٣١٥ بتصرف .
(٢)د / عبد الله درويش : المعاجم العربية ص ٢١ ، ٢٢ .
(٣) السابق ، ص ٢٤ .

أبجدية الدراسات الصرفية

أبجدية هذا العلم هو **الميزان الصرفى** ، وهذا الميزان هو المعيار الذى يميز الصحيح من الفاسد ، والمقبول من الشاذ . والتصريف فى الحقيقة يشبه الصياغة ، أولا من حيث أن عملهما واحد ، فكلاهما يغير المادة الواحدة إلى صور مختلفة . الصانع يحول الذهب إلى خاتم أو قرط أو ما شاكلهما ، والصرفى يحول الكلمة إلى صور مختلفة كاسم فاعل أو اسم مفعول وما شابه ذلك . وثانيا فإن الصائغ يحتاج إلى ميزان يعرف به مقدار ما يصوغه ، وكذلك الصرفى فى حاجة دائمة إلى ميزان يعرف به عدد حروف الكلمة وترتيبها وما يدخل فيها من حروف وما يحذف منها ."[1] .

وحول جذر الكلمات العربية نجد وجهتى نظر ، **الأولى تقول بثنائية الجذر العربى** ، وفحواها أن الأصول فى العربية وكذلك فى أخواتها الساميات ليست الألفاظ ذات الحروف الثلاثة بل ذوات الحرفين . وهذه النظرة ترد الثلاثيات إلى الثنائيات حيث إنها تعتبر أن الجذر الثنائى قد تطور إلى ثلاثى عن طريق زيادة حرف . فالثنائى (نب) تزاد عليه الهمزة فيصبح (نبأ) أو جيم فيصبح (نبج) أو حاء ليصبح (نبح) أو ذال ليصبح (نبذ) أو راء ليصبح (نبر) أو زاى ليصبح (نبز) أو سين ليصبح (نبس) أو شين ليصبح (نبش) .

وهذه الفكرة موجودة منذ القديم ، وقد ناقشها كل من زاى الخليل بن أحمد ، وابن جنى ، وابن فارس .

وفى العصر الحديث نالت عناية الباحثين من عرب ومستشرقين على حد سواء فقد ناقشها : أحمد فارس الشدياق فى كتابه : سر الليال فى القلب والإبدال ، وجورجى زيدان فى : الفلسفة اللغوية ، والأب أنستاس مارى الكرملى فى : نشوء اللغة العربية ونموها واكتمالها ، كما ناقشها الأب أ . س . مرمرجى الدومنكى تحت عنوان : المعجمية العربية على ضوء الثنائية والألسنية السامية[2] .

---

(١) د / خديجة الحديثى : أبنية الصرف ص ٨٧ نقلا عن شرح الجاربردى على الشافية حـ ١ ص ١٥ .

(٢) عرض الدكتور عبدالصبور شاهين لبحث مرمرجى الدومنكى فى كتابه: فى التطور اللغوى، انظر =

أما وجهة النظر الأخرى فتقول بثلاثية الجذر لمعظم الكلمات العربية ، وهذا هو الذى ارتضاه الصرفيون وذلك إذ عمدوا إلى جعل الميزان الصرفى يتكون من ثلاثة أحرف فقط هى « ف ع ل » منطوقة على أنها فعل ، إذ الفعل أعم ويصدق على أى حدث . وقد جعل هذا الميزان معيارًا تقاس به هيئة الكلمة وكميتها ، وأى كلمة توزن يراعى فيها أن يقال إن حرفها الأول هو فاء الكلمة ، وحرفها الثانى هو عين الكلمة ، وحرفها الثالث هو لام الكلمة اتباعا للميزان ، وكلما زاد شيء فى الموزون قوبلت الزيادة بحروفها فى الميزان .[1]

وبهذا المعيار تكون كلمة شكر على وزن فَعَل ، وشرب على وزن فعِل ، وكرُم على وزن فعُل .

وإذا كانت الكلمة رباعية أو خماسية قوبل الحرف الرابع والخامس بتكرار اللام فمثلا كلمة جعفر تأتى على وزن فعلل .

وإذا كانت الزيادة سببها تكرار حرف من أصول الكلمة كررنا مقابله فى الميزان فمثلا قرّر على وزن فعّل ، تقرَّر على وزن تفعّل .

أما إذا زيدت الكلمة بحرف من الأحرف التى يجمعها « أمان وتسهيل » أو « هناء وتسليم » أو « سألتمونيها » وهى حروف عشرة اتّبع فى تسميتها تلك الطرق الثلاثة فإن الحروف الأصلية للكلمة تقابل بالفاء والعين واللام ، أما الحروف الزائدة فتزاد كما هى بحركاتها أو سكونها فى الميزان . مثال ذلك سافر على وزن فاعل ، أدخل على وزن أفعل ، استخرج على وزن اسنفعل وهكذا . وبالمثل ، لو حذفنا شيئا من كلمة ما ، فإن مقابل هذا المحذوف يحذف أيضا

صفحات ١١٥ ، ١٢٠ وما بعدهما . وبحث الدومنكى هذا مطبوع عام ١٩٣٧ بمطبعة الآباء الفرنسيين بالقدس . انظر أيضا عن فكرة الثنائية كتاب الدكتور حسين نصار : المعجم العربى ص ٢٠٩ وما بعدها .

(١) د / خديجة الحديثى : أبنية الصرف ص ٨٨ .

من الميزان وعلى ذلك فإن فعل الأمر من وقى : قِ على وزن ع حيث حذف فى هذه الصيغة كل من الواو وحرف العلة الأخير وهما يقابلان الفاء واللام فى الميزان .

نلخص فيما يلى فوائد الميزان الصرفى :

– يبين حال الكلمة وما طرأ عليها من تغييرات (حذف أوقلب) وأيضا ما فيها من حروف أصلية أو زائدة وذلك بلفظ موجز .

– يمكّن المتعلم من معرفة عدد الحروف الأصلية فى الكلمة ، ومن هنا يستطيع التفرقة بين ما هو ثلاثى وما هو رباعى أو خماسى ، كما يعرف الأصلى من الزائد ويعرف موضع الزائد فى الكلمة .

– إفهام المتعلم التغييرات الصرفية التى تحدث فى الكلمات دون إضاعة وقت أو جهد فى الشرح النظرى الطويل .

– يعطينا الميزان الصرفى فكرة عما يحدث فى الكلمة من حذف أو تغيير فى مواضع حروفها بالتقديم أو التأخير فإذا قلت إن وزن « عدة » هو « علة » علم من ذلك أن المحذوف هنا هو فاء الكلمة وهى المقابلة للواو أو بالأحرى الواو مقابلة لها لأن الميزان هو الأصل .

– الميزان الصرفى فوق هذا كله يعطينا فكرة أوضح عن سبب الاختلافات الصرفية حول ما يحذف أو يقلب وهو الأمر الذى نجده فى كتب التراث القديم التى تزخر بخلافات بين العلماء الأقدمين[1] .

---

(١) د / خديجة الحديثى : أبنية ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

الاشتقاق : عصب الدراسات الصرفية

إذا كان الميزان الصرفى هو أبجدية هذا العلم ، فإن الاشتقاق هو عصب الدراسةالصرفية . ولأهمية « الاشتقاق » كتب عنه القدامى والمحدثون على سواء رسائل مطولة[1] .

فى القديم ، نجد العديد من الكتب التى تحمل عنوان الاشتقاق ومنها : **الاشتقاق للأصمعى** ت ٢١٦هـ ، **الاشتقاق لابن السراج** ت ٣١٦ هـ ، **الاشتقاق** لابن دريد[2] ت ٣٢١ هـ .

على أن ما نال عناية أكثر هو كتاب : **اشتقاق الأسماء للأصمعى** ، ربما لأنه أقدم كتاب فى موضوعه . وقد اعتمد عليه **ابن دريد** .

ذكر **الأصمعى** فى كتابه هذا ١٣٣ اسما من أسماء الأعلام العربية التى كان يتسمّى بها العرب محاولًا إرجاعها إلى أصولها اللغوية .

أول من نبه إلى هذا الكتاب هو المستشرق Otto Spies أوتو شبيز فى مجلة دراسات شرقية ١٩٣٩ . Orientalische Studien 93 , 1939

وبعد ذلك ، نشره سليمان ظاهر فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق **العدد** ٢٨ سنة ١٩٥٣ والعدد ٢٩ سنة ١٩٥٤ .

ثم نشره أيضا الشيخ محمد حسن آل ياسين فى مجلة المجمع العلمى العراقى ، **المجلد** ١٦ بغداد سنة ١٩٦٨ . وفى نفس العام نشره الدكتور سليم النعيمى . فى بغداد ، مطبعة أسعد .

---

(١) قام الدكتور رمضان عبد التواب بإحصاء تراث الاشتقاق فى العربية ، ورتب المؤلفات فيه حسب تاريخ وفاة المؤلفين . وقد ضمت هذه الإحصائية سبعة وعشرين كتابا فى الاشتقاق ما بين قديم وحديث . انظر كتاب الاشتقاق للأصمعى ، بتحقيق د / رمضان عبد التواب صفحات ٤٦ – ٥٢ .

(٢) حققه الأستاذ عبد السلام هارون . القاهرة ١٩٥٨ .

ونظرا لأهمية هذا الكتاب فقد توفر عليه أخيرا الدكتوران رمضان عبد التواب وصلاح الهادى ونشراه محققا بمكتبة الخانجى بالقاهرة سنة ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م وكتبا له مقدمة ضافية تناولا فيها رحلة هذا الكتاب عبر الأجيال وهى مقدمة مفيدة جدا .

صلب الكتاب يتناول صفحات ٧١ - ١٢٩ أى ٥٨ صفحة فقط بالإضافة الى فهارس لغة ، حديث ، أمثال ، قوافى ، أعلام ، أماكن ، ومصادر البحث والتحقيق .

ولتأليف هذا الكتاب قصة ، فقد زعموا أن الخليل بن أحمد سأل أبا الدقيش الأعرابى : ما الدقيش ؟ فقال : لا أدرى ، إنما هى أسماء نسمعها ولا نعرف معانيها .

ربما تحكى هذه الرواية مطاعن الشعوبية فى ذلك الوقت فى أن العرب يتخذون أسماء لا أصل لها فى لغتهم ، وربما كان هذا سببا جعل الأصمعى ومعاصريه (الأخفش الأوسط ت ٢١٥ هـ ، قطرب ت ٢٠٦ هـ) ينحون منحى التأليف فى أصل اشتقاق الأسماء العربية للأشخاص والقبائل ، ثم حذا حذوهم ابن دريد ت ٣٢١ هـ[١] .

وكتاب الاشتقاق للأصمعى ليس به مقدمة ، وليس فيه منهج معين ، كما أنه لم يرتب الأسماء أبجديا ، ولم يلجأ إلى التعليل .

أورد الأصمعى أسماء الأشخاص والقبائل والبطون وغيرها دون مراعاة أى نوع من الترتيب أو التجانس بين هذه الأسماء .[٢]

اهتم الأصمعى ببيان الأصل اللغوى الذى اشتق منه الاسم . مثال ذلك :

---

(١) كتاب الاشتقاق للأصمعى ، تحقيق د / رمضان ، الهادى ص ٤٠ .

(٢) السابق ص ٤١ .

ما أورده فى اشتقاق اسم جُراشة :

جراشة : ما وقع من الرأس إذا جرشه بالمشط ، أو من الخشبة إذا جرشها بالحديدة ، وكل حك وقشر : جرش ، ويقال للأفعى إذا حكت بعضها يبعض : ظلت تجرش [1] .

مثال آخر ، **أحوز** : المنحاز فى ناحية ، الجاد فى أمره . ويقال للبعير إذا كان شديد النفس ماضيا إنه لحوزى . قال الراعى :

حوزية طويت على زَفَراتها طى القناطر قد بزلن بُزُولا[2]

وإن شئت أمثلة أخرى فخذ :

جعفر : النهر الصغير ، قال أبو نخيلة :

حتى نمته أبحر وأبحُرُ من الطوامى ليس فيها جعفرُ

سفيان : من سفت الريح التراب .

عتبة : اشتق من المعتبة فى الغضب أو من العتاب .

نهشل : اشتق من النهشلة وهى الكبر والاضطراب .

عدنان: يقول الأصمعى : نرى أنه مشتق من العَدْن ، وهو أن تلزم الإبل مكانا فتألفه .

مضر : وأصله من اللبن المضير (حامض شديد الحموضة) وهو الحازر (ما فوق الحامض)[3] .

---

(١) كتاب الاشتقاق للأصمعى ص ٤٢

(٢) السابق ص ٧٣ ، وفى هامش ص ٧٤ ينسب اللسان البيت للأعشى ولكنه ليس فى ديوانه .

(٣) السابق صفحات ٧٨ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٩ على التوالى .

وفى العصر **الحديث** ، كتب عن الاشتقاق بدرجات متفاوته من حيث الكم والعمق كل من :

السيد **محمد صديق خان بهادر** ت ١٣٠٧ هـ وله : **العلم الخفاق فى علم الاشتقاق** مطبعة الجوائب بإستانبول ١٢٩٦ هـ[١] .

عبد القادر المغربى ت ١٣٧٥ هـ وله : **الاشتقاق والتعريب** ، طبع بالقاهرة ١٩٠٩ ثم طبعة ثانية ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م بمطبعة لجنة التأليف .

عبد الله أمين كتب أيضا عن **الاشتقاق** وطبع كتابه بالقاهرة سنة ١٩٥٦ م .

والدكتور **فؤاد حنا ترزى** له أيضا : **الاشتقاق** . طبع فى بيروت ١٩٦٨ .

ذكرنا كل هذا لندلل على أهمية هذا المبحث فى علم الصرف . وفى الحقيقة فإن الاشتقاق فى اللغة العربية إنما يعدّ من أهم ميزاتها ، ذلك لأن هناك لغات غير متصرفة ولا يلعب الاشتقاق دورًا فى بناء كلماتها ، لأنها أساسا مؤلفة من أصول جامدة لا تقبل أى تغيير ، وذلك كاللغة التركية التى يتم الاشتقاق فيها بإلحاق أدوات لا معنى لها فى نفسها ، وهذه الأدوات توضع فى آخر الكلمة أو البنية الأساسية .

ويشير اللغويون إلى هذه الظاهرة : ظاهرة إلحاق أدوات إلى البنية الأساسية بظاهرة الإلصاق .[٢]

---

(١) عثرت على نسخة من هذا الكتاب بمكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، ولكنها تأتى غفلا من اسم الناشر أو سنة الطبع . وهى تقع فى ٤٧ صفحة فقط .

(٢) د / عبد الصبور شاهين : فى التطور اللغوى ص ٩٢ نقلا عن جورجى زيدان فى الفلسفة اللغوية .

والاشتقاق : هو أخذ كلمة أو أكثر من أخرى لمناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه . والمشتقات كما حددها الصرفيون تنحصر فى سبعة أنواع هى :

اسم الفاعل ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة ، أفعل التفضيل ، اسم الزمان ، اسم المكان ، اسم الآلة .

وقد اختلف حول الأصل الذى تؤخذ منه هذه المشتقات فقيل إن المصدر هو الأصل وهذا رأى البصريين . وقيل إنه الفعل الماضى وهذا رأى جمهور الكوفيين ولكن كانت هناك اعتراضات على هذين الرأيين .

فقد ردّ على من قال إن المصدر هو الأصل بأن المصدر قاصر على معنى الحدث فقط دون زمن ، فكيف يشتق مما لازمن له مشتقات تدل على الزمن كاسم الفاعل أو اسمى الزمان والمكان مثلا .

كذلك رد على من قال إن الفعل الماضى هو الأصل بأن الماضى يدل على زمن مضى فكيف تتأتى له إمكانية اشتقاق كلمات منه تدل على أزمنة أخرى[1] .

وقد رأى **مجمع اللغة العربية بالقاهرة** توفيقا بين الرأيين أن الأصل فى المشتقات إنما هو مادة الجذر الثلاثى مشكولة بالسكون على كل حرف فيها (لا يمكن نطقها ولكن يمكن تصورها) ، وهذا الرأى أيضا قد يرد عليه بأنه أمر تجريدى أو مفترض أو غير مستعمل فكيف نأخذ منه ما هو مستعمل . والخلاصة فى هذه النقطة أنها مجرد مناقشة نظرية قد لا يضر كثيرا عدم الحسم فيها.

والاشتقاق أنواع : صغير ، وكبير ، وأكبر .

الاشتقاق الصغير :

أخذ كلمة من كلمة أخرى بتغيير فى الصيغة مع تشابه بينهما فى المعنى واتفاق

---

(١) لمزيد من التفصيلات حول هذا الخلاف انظر ، ابن الأنبارى الإنصاف حـ١ ص ١٤٤ وما بعدها .

فى عدد الأحرف الأصلية وترتيبها واختلاف فى الحركات أو عدد الحروف الزائدة ، نحو : ذهب / يذهب / ذاهب / مذهوب به / مذهب .....الخ .

الاشتقاق الكبير :

أخذ كلمة من كلمة أخرى بتغيير فى ترتيب أحرفها ، وذلك بتقديم بعضها على الآخر مع تشابه بينهما فى المعنى ونوع الأحرف وعددها نحو أن لتشتق من كلمة مثل ك ل م كل إمكاناتها اللغوية عن طريق تقليب الحروف ، والثلاثى يعطيك ست إمكانات وهى كلم / كمل / لكم / لمك / مكل / ملك .

وهذا النوع يطلق عليه القلب الاشتقاقى ، ولكن ابن جنى أطلق عليه الاشتقاق الكبير (أو الأكبر) ويتميز هذا النوع من الاشتقاق بخاصية أشار إليها ابن جنى وهى : الارتباط الموجود بين مختلف تقاليب الكلمة فى المعنى ، وذلك كاشتراك كلم بتراكيبها المستعملة فى معنى القوة والشدة .

قبل ابن جنى استغل الخليل بن أحمد هذه التقاليب فى حصر اللغة وتوضيح معانيها المختلفة .

الاشتقاق الأكبر :

أخذ كلمة من كلمة أخرى بتغيير فى بعض أحرفها مع تشابه بينهما فى المعنى وأكثر الأحرف وترتيبها ، على أن تكون الأحرف المختلفة إما من مخرج واحد أو مخرجين متقاربين نحو :

نهق / نعق ، ثلم / ثلب ، هتن / هتل

النوع الأول وهو الاشتقاق الصغير هو الذى عناه الصرفيون واهتموا به ، أما النوعان الآخران فلم يحفلوا بهما ، بل تركوهما إلى حفظة اللغة ورواتها وقد مر بنا أن الصرفيين حصروا أنواع المشتقات فى سبعة أنواع هى : اسم الفاعل ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة ، أفعل التفضيل ، اسم الزمان ، واسم المكان ، واسم الآلة .

والمقصود بهذه المشتقات : الهيئات والأبنية الصرفية التى تأتى عليها

الكلمات وهذه تسمى الصيغ ، وكل صيغة فيها لها أصول ثلاثة يعبر عنها فى الميزان الصرفى بـ « فعل » وجميع الصيغ تأتى مرتبة على هذه الصورة فى مختلف الصيغ المشتقة منها[1] .

التأليف فى علم الصرف

من يقرأ تاريخ التأليف فى علم الصرف يمكنه أن يميز عددا من المراحل نجملها فيما يلى :

المرحلة الأولى : وفيها جاءت مسائل الصرف متناثرة بين مسائل النحو ، وذلك فى كتب خصصت أساسا لدراسة النحو ، وأقدم مثال على ذلك : مسائل الصرف المبثوثة فى « الكتاب » لسيبويه ، ولقد ظلت هذه المسائل مشاعا فى كتابه حتى قيض الله باحثة عربية هى الدكتورة خديجة الحديثى التى توفرت على لم شعث أهم مبحث من مباحث الصرف العربى من كتاب سيبويه وذلك فى رسالتها للماجستير عن أبنية الصرف فى كتاب سيبويه .

ومن هنا تستمد هذه الرسالة قيمتها من حيث إنها أول عمل يستخرج الأبنية الصرفية المتناثرة فى « الكتاب » لسيبويه .

ولكن مع ذلك بقيت مسائل صرفية - غير الأبنية - لم تتناولها الدراسة كما أشارت الباحثة ومنها :

الإعلال والإبدال ، والحذف ، والإدغام مما يحتاج كل منها إلى بحث مستقل .

ومثل كتاب سيبويه فى تقديم مسائل الصرف مع مسائل النحو كتاب الجمل للزجاجى ت ٣٤٠ هـ الذى حشا فيه عددا لا بأس به من مسائل الصرف ،

---

(١) د / خديجة الحديثى ، أبنية ، صفحات ٢٤٨ - ٢٥٢ بتصرف .

ولكنها جاءت جنبا إلى جنب ضمن مسائل النحو وموضوعاته .. ومثل « الكتاب » لسيبويه ، و« الجمل » للزجاجى كتابا ابن جنى « الخصائص » ، والتمام فى تفسير أشعار هذيل ولو أن صنيع ابن جنى هنا يختلف من حيث إيراده لمسائل الصرف ضمن مسائل لغوية عامة أو أدبية .

المرحلة الثانية ، ظهور نوع من الدراسات الصرفية مستقلة فى كتب على حدة ، وأول كتاب يقف نموذجا لهذا النوع هو كتاب **التصريف** للمازنى وهو الذى شرحه ابن جنى فى كتاب عنوانه : « **المنصف على تصريف المازنى** » فى ثلاثة أجزاء .

كذلك فإن ابن جنى لم يقف بالصرف عند الحدود التى شرح بها كتاب المازنى وإنما هو نفسه قد ألف كتابا مستقلا فى فن الصرف أسماه : **التصريف الملوكى** ، وتتطور الدراسات الصرفية المستقلة فيكتب ابن الحاجب ت ٦٤٦ هـ كتابه « **الشافية** » وبعده يأتى كتاب **التصريف العزى** للزنجانى ت ٦٥٥ هـ ثم كتاب : **الممتع فى التصريف** لابن عصفور الأشبيلى ت ٦٦٩ هـ .

المرحلة الثالثة : وتتسم بنوع من التخصص الفريد ، وذلك إذ راح الباحثون ينتقون بعض موضوعات صرفية ويخصصون لها مؤلفات . وهذه الدراسات لم تكن شاملة كسالفتها فى المرحلة الثانية .

ومن هذا النوع : **كتاب المنقوص والممدود** للفراء ت ٢٠٧ هـ ، وله أيضا **المذكر والمؤنث** (ط بحلب ١٣٤٥ هـ) **وكتاب الإبدال** لابن السكيت ت ٢٤٤ هـ ، **وكتاب الممدود والمقصور** لأبى الطيب الوشاء ت ٣٢٥ هـ ، وكتاب ابن ولاد : **المقصور والممدود** (تحقيق برونله ، لندن ١٩٠٠) ، وكتاب **المذكر والمؤنث** لابن فارس ت ٣٩٥ هـ (حققة د / رمضان عبد التواب وطبعه بالقاهرة ١٩٦٩) وكتاب **التذكير والتأنيث فى اللغة** مع تحقيق رسالة أبى موسى الحامض فى **المذكر والمؤنث** (كان الدكتور رمضان عبد التواب قد نشرهما سنة ١٩٦٧) وكتاب **المقصور والممدود**

لابن نفطويه (نشر ١٩٨٠) ويبدو أن المقصور والممدود قد استهوى الباحثين لدرجة أن ابن دريد كتب فيهما قصيدة فى أكثر من ستين بيتا [١] .

وإلى جانب الاهتمام بالمقصور والمنقوص والممدود ، والمذكر والمؤنث كان ثمة اهتمام بالفعل ، ونشير هنا إلى ثلاثة كتب مهمة ظهرت فى هذا المجال وهى :

كتاب الأفعال لابن القطاع الصقلى ، وكتاب الأفعال لابن القوطية ، وكتاب الأفعال للسرقسطى (أشهر تلاميذ ابن القوطية ، وقد توفى بعد سنة ٤٠٠ هـ) .

المرحلة الرابعة : ومن جديد يعود التأليف المشترك الذى يجمع بين مسائل النحو ومسائل الصرف فى ألفية ابن مالك .

المرحلة الخامسة : فى العصر الحديث .

تفرّد الصرف ومسائله بدراسات مستقلة ، وكان السبّاق إلى هذا المجال هو فضيلة الشيخ أحمد الحملاوى الذى ألف كتابه : شذا العرف فى فن الصرف ، وطبعه لأول مرة سنة ١٨٩٤ م وبعد نصف قرن تقريبا كتب محمد عبد الخالق عضيمه : المغنى فى تصريف الأفعال ط ١٩٥٥ ، ثم تلاه كتاب الأستاذ عبد الله أمين : الاشتقاق ط ١٩٥٦ يليه كتاب الأستاذ كمال ابراهيم : عمدة الصرف ط ثانية ، بغداد ١٩٥٧ ، ثم كتاب الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد : دروس التصريف ط ١٩٥٨ ، وبعده كتاب الدكتور عبد الله درويش : دراسات فى علم الصرف ط ١٩٥٩ ثم رسالة الماجستير للدكتورة خديجة الحديثى عن أبنية الصرف فى كتاب سيبويه وهى التى نشرت عام

---

(١) طبعت مرتين : إحداهما فى مجلة المشرق ، بيروت ١٩٢١ صفحات ٦٤ - ٦٨ ، والطبعة الثانية فى مجلة المجمع العلمى بدمشق سنة ١٩٢٨ صفحات ٤٣٣ - ٤٣٧ مشروحة . انظر : الفراء : المنقوص والممدود ، تحقيق : عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ص ٧ .

١٩٦٥ ، ثم كتاب ملخص قواعد اللغة العربية ، القسم الخاص بعلم الصرف للأستاذ فؤاد نعمة وقد صدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ .

وأعتقد أن التأليف فى علم الصرف مازال جاريا فى جامعاتنا المصرية ، وهناك الكثير من الدارسين الذين خصصوا بحوثهم للصرف فى رسائل جامعية للماجستير أو الدكتوراه .

ظاهرة غريبة هى أن الصرف لم يجلب الشهرة على إنسان ، وذلك عكس النحو ربما لأن النحو كان يضطلع بمهام الدراسة الصرفية على أنها جزء من اختصاصه وليس العكس .

وفيما يلى نعرض بعض هذه الدراسات مرتبة تاريخيا حسب ظهورها سواء فى القديم أو الحديث .

أ – نماذج من الدراسات الصرفية قديما

أبنية الصرف من « الكتاب » لسيبويه

للدكتورة خديجة الحديثى

« **الكتاب** » **لسيبويه** هو من أوائل الكتب النحوية التى وصلت إلينا وهو يحوى عددا من المسائل الصرفية ، وكان من الممكن أن أجعله مصدرى الأول هنا إلا أنى رأيت أن فى ذلك غبنا لباحثة توفرت عليه وتكلفت جهدا فى استخراج الأبنية الصرفية منه ووضعتها فى دراسة منظمة ورسالة علمية ، لهذا آثرت أن أسجل جهدها هنا بدلا من النقل المباشر من الكتاب .

وسبيلى فى هذا هو ترسم آداب اللياقة العلمية فى البحوث اللغوية والعربية ، تلك التى خطها ابن جنى وما أحوجنا إلى تطبيقها . قال ابن جنى :

«وحقيق على من نظر فى كتاب قدعنى به واضعه، وانصرف إلى الاهتمام به مصنفه، فحظى منه بأقصى ما طلب، ووصل إلى غايته من كتب، أن يحمد الله على ما وهبه له من فهمه، وأن يسلم لصاحبه ما وفّره الله عليه من حفظه، وأن يعتزى – وهذا مهم فى رأيى – فيما يحكيه عنه إليه، فإن فعل ذلك فعلى محجة أهل العلم والأدب وقف، وإن أبى إلا كفران النعمة فعن المروءة والإنسانية صدف»[1].

وانطلاقا من هذا، ألخص فيما يلى ما جاء فى كتاب الدكتورة خديجة الحديثى عن الأبنية كما عرضها سيبويه فى «الكتاب»:

الأبنية جمع بناء والمراد به: هيئة الكلمة التى وضعت عليها، والتى يمكن أن يشاركها فيها غيرها. وهذه الهيئة هى ما تشترك فيه الكلمات من عدد الحروف المرتبة والحركات من فتحة وكسرة، والسكنات، مع اعتبار الحروف الأصلية والزائدة[2].

وقد جاء هذا البحث فى تمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة:

فى التمهيد، تحدثت المؤلفة عن المعنى اللغوى للصرف أو التصريف وأنه: التغيير والتحويل من وجه لوجه أو من حال لحال. وقد استشهدت على هذا المعنى بما هو مذكور فى المعاجم العربية، وأيضا بما ورد فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿انظر كيف نصرّف الآيات ثم هم يصدفون﴾ [الأنعام ٤٦]، وقوله تعالى: ﴿وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض﴾ [البقرة ١٦٤].

---

(١) ابن جنى، المنصف ص ٥، ٦.
(٢) د / خديجة الحديثى. أبنية الصرف ص ١٧.

أما معنى الصرف فى الاصطلاح فقد أوردت المؤلفة معنيين أحدهما عملى وهو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها ، وذلك كتحويل المصدر إلى اسم الفاعل أو اسم المفعول أو اسم التفضيل ، والمعنى الثانى علمى ، وهو علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلمة التى ليست بإعراب ولا بناء [1] .

ثم تتبعت الباحثة تاريخ تطور التأليف فى الصرف ، وقسمت النشأة إلى دورين : أحدهما قبل سيبويه ، ولم تجد غير عدة روايات تعزو النشأة إلى على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، أو معاذ بن مسلم الهراء ت ١٨٧ هـ ، كذلك فقد أشارت إلى بضعة كتب حملت أسماء : التصريف أو التصاريف ولكنها لم تصلنا[2] . أما الدور الثانى فيبدأ بسيبويه ثم المازنى ت ٢٤٧ هـ يليهما الزجاجى ت ٣٣٩ هـ فابن جنى ت ٣٩٢هـ ثم الزمخشرى ت ٥٣٨ هـ فابن الحاجب ت ٦٤٦ هـ ، هذا بالإضافة الى جهد المغاربة والأندلسيين من أمثال الجزولى ت ٦٠٦ / ٦١٦ ، وابن عبد المعطى ت ٦٢٨ هـ فى ألفيته ثم ابن مالك ت ٦٧٢ هـ [3] .

وتنتهى هذه العجالة التاريخية بقول المؤلفة :

« .... ولم تتقدم دراسة الصرف بعد ابن الحاجب وابن مالك كثيرا ومعظم من كتبوا فيه كانوا عيالا عليهما فى مادة الصرف ، وفى طريقة بحثه مع الاستفادة مما ذكر سيبويه ومن جاء بعده كالمازنى وابن جنى والزمخشرى وغيرهم » [4] .

---

(١) د / خديجة الحديثى : أبنية ، ص ٢٣

(٢) السابق ص ٢٨ .

(٣) السابق ص ٢٨ – ٣٩ .

(٤) السابق ص ٣٩ .

ثم تخلص من ذلك إلى ذكر موضوعات الصرف التى ذكرها سيبويه وهى متناثرة فى تصانيف الكتاب ، وأيضا فى القسم الخاص بالتصريف ... وهذه الموضوعات هى :

النسب ، الإضافة ، المنقوص والممدود ، التصغير ، ما كان فيه قلب أو إبدال ، الترخيم ، التصغير ، الوقف ، جمع التكسير ، الأفعال المتعدية واللازمة ومصادرها ، أسماء الأفعال ، ثم تحت باب التصريف تحدث سيبويه عن : الأسماء والصفات الثلاثية المجردة والمزيدة(1) .

أما الباب الأول فجاء ليشمل :

الميزان الصرفى ، المجرد ، الزيادة ، حروف الزيادة (الهمزة ، الألف ، الباء ، الواو ، الميم ، النون ، التاء ، الهاء ، السين ، اللام)(2) ، معانى الزيادة ، المزيد ، الإعلال بالقلب ، الإعلال بالنقل ، الإبدال من تاء الافتعال ، التغيير للإدغام ، الإعلال بالحذف ، القلب المكانى(3) .

الباب الثانى ، ويشمل :

أبنية الأسماء المجردة ، والمزيدة ، الرباعى المجرد ، الخماسى المجرد ، ثم مزيد الثلاثى ، أبنية المصادر ، المصادر القياسية ، المصادر السماعية ، أبنية المشتقات اسم الفاعل ، صيغ المبالغة ، الصفة المشبهة ، اسم المفعول ، اسم التفضيل ، اسم المكان والزمان ، اسم الآلة ، أبنية جموع التكسير وأوزانه القياسية والسماعية ، شواذ الجمع ، جمع المنسوب ، جمع الجمع ، اسم الجمع ، اسم الجنس الجمعى ، أبنية التصغير : (فعيل ، فعيعل ، وفعيعيل) ، تصغير الأسماء المبهمة ، تصغير جموع التكسير ، تصغير اسم الجمع(4) .

---

(١) د / خديجة الحديثى ، أبنية ص ٨٠ – ٨٣ .

(٢) نلاحظ هنا أن عرض حروف الزيادة بهذا الشكل لا يتمشى مع الترتيب الوارد فى عناوينها كما أشار إليها الصرفيون ، وهذه العناوين هى : هناء وتسليم ، أمان وتسهيل ، سألتمونيها

(٣) السابق ص ٧٨ – ١٣٠ .

(٤) السابق ص ١٣٣ – ٣٧٤ .

الباب الثالث : ويشمل :

أبنية الأفعال المجردة والمزيدة ، المجرد الثلاثى ، المزيد بحرف ، المزيد بحرفين ، المزيد بثلاثة أحرف ، الإلحاق ، أبنية الأفعال اللازمة والمتعدية ، المجرد والمزيد منها ، المبنى للمفعول [1] .

وفى الخاتمة : ذكرت المؤلفة عددا من الاستدراكات على أبنية لم ترد فى كتاب سيبويه ، ولكنها تعتذر عنه بأن هذه الأبنية ربما زيدت بعد أن نشطت الحركة العلمية عند العرب ، وإلى التعريب عن اللغات الأعجمية . كما أن معظم ما استدرك عليه غير مستعمل أو محرف عن أصله المستعمل[2] .

ونقطة أخرى ، هى أن التأليف فى الصرف بلغ ذروته فى القرن السابع الهجرى حين كتب ابن الحاجب كتابه « الشافية » ، وأيضا بمؤلفات ابن مالك فى هذا المجال .

هذا ومعظم ما ألف فى الصرف بعد القرن السابع الهجرى كان إما شروحا لكتب السابقين أو اختصارا لها[3] .

ويتوج دراسة الدكتورة خديجة الحديثى : هذا الملحق الوارد فى نهاية كتابها تشرح فيه الألفاظ الغريبة الواردة فى شرح المبادئ الصرفية ، وهو فى رأينا ملحق مفيد جدًا خاصة وأنه مرتب ترتيبا أبجديا يسهّل على الدارس فهم المراد من الكلمات الصعبة علينا والتى غالبا ما تتردد فى كتب الصرف العربى : القديمة منها والحديثة على حد سواء .[4] .

---

(١) د / خديجة الحديثى : أبنية ٣٧٧ – ٤٣٢ .
(٢) السابق ص ٤٣٥ – ٤٣٩ .
(٣) السابق ص ٤٤٢ .
(٤) شمل هذا الملحق صفحات ٤٤٤ – ٥٣٠ .

كتاب المنقوص والممدود[1]

للفراء ت ٢٠٧ هـ

هذا الكتاب صغير الحجم يقع فى خمسين صفحة فقط ، وقد جاء فى أبواب على النحو التالى :

باب ما يعرف من المنقوص والممدود بالتحديد والعلامات[2] .

باب ما يفتح أوله فيمدّ وإذا كسر أوله قصر[3] .

باب ما يفتح أوله فيقصر ويكسر ويمد .

باب الممدود المكسور أوله ، مثل :[4]

رداء ، غطاء ، غشاء شراء ، كساء ، خباء ، بناء ، غناء ، هجاء ، سقاء ، ظباء .

الممدود المفتوح أوله مثل [5] .

عطاء ، عناء ، سماء ، سواء ، نقاء ، مساء، غداء ، بهاء .

الممدود الذى يضم أوله[6] :

دعاء ، غثاء ، هراء .

---

(١) الفراء هو أبو زكريا يحيى بن زياد (١٤٠ - ٢٠٧ هـ) من أكبر علماء الكوفيين بعد الكسائى ، وكان مؤدبا للمأمون. وهذا الكتاب مع كتاب التنبيهات لعلى بن حمزة ت ٣٧٥ هـ نشرهما محققين فى كتاب واحد ، الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى عضو مجمعى دمشق ومصر والأستاذ بجامعات عليكرة وكراجى وبنجاب وكان . طبع دار المعارف سنة ١٩٦٧ .

(٢) الفراء ، المنقوص والممدود ص ١١ وما بعدها .

(٣) السابق ص ٢٣ وما بعدها .

(٤) السابق ص ٤٢ وما بعدها .

(٥) السابق ص ٤٤ وما بعدها .

(٦) السابق ص ٤٧ وما بعدها .

كتاب القلب والإبدال[1]

لابن السكيت ت ٢٤٤ هـ

جمع **ابن السكيت** فى كتابه هذا أنواعا من الكلمات التى دخلها الإبدال ، فحلّ فى كل منها حرف مكان حرف . ويقصد بالإبدال : إبدال حرف مكان حرف فى كلمة واحدة والمعنى واحد .

والكتاب فى ثلاثين بابا : كل منها يتناول الإبدال بين حرفين ، وتجىء الأبواب على الترتيب التالى :

الإبدال بين : النون واللام ، الباء والميم ، الميم والنون ، العين والهمزة ، العين والحاء ، الهاء والهمزة ، الهاء والحاء ، الجيم والياء ، الخاء والجيم ، الحاء والخاء ، الدال والتاء ، السين والتاء ، الزاى والصاد ، السين والثاء ، الثاء والذال ، السين والشين ، العين والغين ، القاف والكاف ، اللام والراء ، الكاف والجيم ، الطاء والدال ، الصاد والطاء ، الصاد والضاد ، الفاء والثاء ، الهاء والحاء ، الطاء والتاء ، اللام والدال ، السين والزاى[2] .

ثم عقد بابا أو تكملة لهذا ، عرض فيه لحروف المضاعف التى تقلب إلى ياء ، وفيه أبواب : باب الهمزة والياء ، باب الهمزة والواو ، باب الواو تقلب تاء وهى أول الحروف ، باب الدال والذال ، باب إبدال من حروف مختلفة ، باب ما تزاد فيه الميم آخرا ، باب ما تزاد فيه النون . يتلو ذلك فهارس

---

(١) حقق هذا الكتاب وقدم له الدكتور حسين محمد محمد شرف ، وراجعه الأستاذ على النجدى ناصف ، ونشرته الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

الاسم الأصلى للكتاب : كتاب القلب والإبدال ، ولكن المحقق قد آثر نشره تحت عنوان : كتاب الإبدال ، وقد برر ذلك فى مقدمته للكتاب ص ٢٨ .

(٢) ابن السكيت : كتاب الإبدال صفحات ٦١ - ١٣٢ ، وانظر ص ٤٨ من مقدمة المحقق .

الكتاب[1] .

هذا وقد قدم ابن السكيت فى كل باب ما وقف عليه من كلمات تمثل الظاهرة التى يؤلف فيها ، ونسب القول إلى صاحبه من علماء اللغة الذين يروى عنهم ما أمكنه ذلك . ثم يورد تفسيرا للكلمة ويستشهد للكلمتين معا حينا ، أو لإحداهما أحيانا .

وقد يهمنا أن نعرف رأى العلماء فى ظاهرة الإبدال . لقد اعترف القدماء بهذه الظاهرة وحاولوا تفسيرها . بعضهم قال بوجود الكلمتين فى القبيلة الواحدة ، ومنهم من قال بوجود الكلمتين فى بيئتيْن مختلفتيْن واستحالة وقوعهما فى لغة القبيلة الواحدة . ثم جاء ابن جنى وقال إنه إذا تساوت الكلمتان فى شيوع الاستعمال والصرف كانت كل منهما أصلا وأبدل بينهما ، وكانتا من قبيل الترادف .

وإذا شاع استعمال واحدة وقلّ استعمال الأخرى أو تصرفت واحدة ولم تتصرف الأخرى ، ووجد ما يدل على البدل كان ذلك وحده من قبيل الإبدال واعتبرت الكلمة السابقة أصلا والأخرى فرعا لها .

أما المحدثون ، وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم أنيس فقد فسّر ظاهرة الإبدال على النحو التالى :

الكلمات التى فسّرت على أنها من الإبدال حينا ، أو تباين اللهجات حينا آخر جاءت نتيجة التطور الصوتى . والتطور هنا محكوم بوجود علاقة صوتية بين الحرفين : المبدل والمبدل منه ، من قرب فى الصيغة أو قرب فى المخرج .

---

(١) ابن السكيت : كتاب الإبدال هذه الأبواب فى صفحات ١٣٣ - ١٥٠ ثم الفهارس من ص ١٥١ الى ص ٢٠٢ وهى آخر الكتاب .

وقد طبق الدكتور أنيس مقياسه هذا على أكثر الأبواب فى كتاب ابن السكيت فوجده - كما يقول - صحيحا ، وما خرج عن هذا فقد قال إنه من باب الترادف . وما لم يكن له مناسبة أساسا فقد أرجعه الدكتور أنيس إلى ظاهرة التصحيف أو التحريف[1] .

نجتزىء هنا بذكر نموذج يوضح مضمون هذا الكتاب :

باب النون واللام :

قال أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت :

قال الأصمعى عبدِ الملك بن قُريب ، يقال : هتنت السماءُ وهتلت ، تهتِن تهتانا ، وتهتل تهتالا ، وهى سحائبُ هُتَّنٌ وهُتَّلٌ وهو فوق الهَطْل . قال امرؤ القيس :

فسحت دموعى فى الرداء كأنها كُلىً من شعيب ذاتُ سح وتهتانِ

وقال العجاج فى التهتال :

عزز منه وهو معطِى الأسهالْ ضربُ السوارى متنَه بالتهتال[2]

مثال آخر على تبادل اللام والنون .

هو : حنك الغراب وحلكه لسواده ، قال : وقلت لأعرابى : أتقول : مثلُ حلك الغراب أو حنكه ، فقال : لا أقول : حلكه ، وقال أبو زيد : الحلك : اللون ، والحنك : المِنْسَر[3] .

هذا ونورد عددا من الكلمات التى وقع فيها الإبدال - على رأى ابن

---

(١) انظر : د / حسين شرف : مقدمة كتاب الإبدال ص ٥٠ ، ٥٤ ، وأيضا د / إبراهيم أنيس : من أسرار اللغة ط ٦ صفحات ٦٩ - ٨٥ .

(٢) ابن السكيت ، كتاب الإبدال ص ٦١ .

(٣) السابق ص ٦٦ ، ٦٧ ، و المِنْسَر : منقار الطائر .

السكيت ومنها يتبين بسهولة الحروف التى يقع فيها الإبدال ، ومع الأسف لا نستطيع - فى كل مرة - أن نصدر حكما قاطعا بأيها كان الأصل وأيها تطور عنه .

السُّدول / السُّدون : ما جُلل به الهودج من الثياب وأرخى عليه (ص ٦١) .

أصيلانا / أصيلالا : عشيا (ص ٦٤) .

لعلّها / لعنّها (ص ٦٤)

جبرئيل / جبرئين (ص ٦٨)

آديته / أعديته : قويته وأعنته (ص ٨٤) .

أرقت الماء / هرقته (ص ٨٨) .

إياك / هِيَاك (ص ٨٩) .

مدح / مده (ص ٩٠) .

يتفيهق / يتفيحق فى كلامه : إذا توسع فيه وتنطع وأصله من الفهَق وهو الامتلاء (ص ٩٤) .

السَّدى / لسَّنى : يقال ذلك لسدى الثوب (ص ١٠٢) .

الشَّرْز / الشرْص : الغِلظ (ص ١٠٥) .

مَلَس / مَلَث الظلام : اختلاط الظلام (ص ١٠٦) .

جاحش / جاحس : راحم (ص ١٠٩) .

مط / مدَّ الحرف (ص ١١٩) .

الإبعاد / الإبعاط (ص ١١٩) .

مصمص / مضمض : غسل الإناء (ص ١٢١) .

جدف / جدث : للقبر (ص ١٢٥) .

فِناء / ثِناء الدار (ص ١٢٥) .

ذو فروة / ذو ثروة : أى كثرة (ص ١٢٧) .

الأقطار /الأقتار (ص ١٢٩) .

ما أستطيع / ما أستتيع .

بمعنى واحد (ص ١٢٩) .

ما أسطيع / ما أستيع

تسلَّع / تزلّع جلده : تشقق (ص ١٣٢) .

تظننت / تظنيت (ص ١٣٣) .

هنا يتضح أن الأصل هى الكلمة الأولى ، قال أبو عبيدة : العرب تقلب حروف المضاعف إلى الياء .

يلمعى / ألمعى : ظريف (ص ١٣٦) .

يلل / ألل : إذا كان فى الأسنان إقبال على باطن الفم (ص ١٣٦) .

يديه / أديه (ص ١٣٧) .

أرَّخ / ورّخ (ص ١٣٨) .

وسادة / إسادة (ص ١٣٨) .

تخمة / وُخمة (ص ١٣٩) وخمة هى الأصل .

تقوى / وقوى (ص ١٣٩) .

تالله / والله (ص ١٣٩) .

وقد نتساءل بعد هذا كله عن هذه الظاهرة المحيرة ، ما سببها ؟ هل تكمن فى وجود صلة حتمية بين البدل والمبدل منه ، وإذا كانت ، فعلام تعتمد : هل على خصوصية بين الحرفين المبدلين أساسها التقارب مثلا ، وإذا كان التقارب فهل هو التقارب الصوتى كإبدال الهاء من الحاء أو العكس نظرا لقرب المخارج

أم أنه مجرد تقارب سببه التصحيف فى الكتابة كجاحش ، وجاحس ؟ ؟

أدعى للاطمئنان فى هذا المجال هو نتائج الدراسة الوصفية - لا التاريخية فى دراسة هذه الظاهرة ، وذلك لأن الدراسة الوصفية تسجل لنا تطورًا مرّ باللغة العربية ولا يمكن تجاهله ، والسؤال المفتوح : هل أغلق باب الاجتهاد فى ذلك الباب أم أنه ظل مفتوحا ؟ نطرح هذا لأمر الدراسات اللغوية الحديثة التى تستطيع أن تسهم بالمزيد فى هذا المجال سواء فى مجال الفصحى فقط ، أو فى مجال المقارنة بينها وبين اللهجات .

لقد استهوتنى ظاهرة الإبدال بين الحروف فى كتاب **ابن السكيت** فحاولت القيام بعمل إحصاء هدفه استكشاف أى الحروف المبدلة جاءت أكثر تواردا من غيرها ، وذلك كخطوة أولية يستطيع الباحث بعدها أن يقرر عما إذا كان الإبدال راجعا إلى سبب صوتى أو لغوى عام ، كأن تكون الكلمات التى تبادلت فيها الحروف نوعا من الترادف أو حدث فيها تصحيف أو تحريف فى كتابتها ، وقد جاءت نتيجة هذا الإحصاء رقميا على الوجه التالى :

أورد فيما يلى الحرف الأبجدى[1] (بترتيب الألفباء العربية) ومعه الحروف التى أبدلت معه ، مشفوعة فى كل مرة بعدد مرات ورود كل حرف مبدل مع الحرف الأبجدى . وقد رتبت ذلك ترتيبا تنازليا من الأكثر إلى الأقل .

الهمزة وتبدل من (الياء ١٩ مرة ، العين ١٠ مرات ، الواو ١٠ مرات ، الهاء ٩ مرات ، الجيم : مرة واحدة ، العين مرة واحدة) .

---

(١) اعتمدت هذا على أنه الحرف الأول حسبما جاء بفهرس الدكتور حسين شرف محقق الكتاب . وحيث إنه كرر الحروف المتبادلة فإننا لا ندعى أن إحصاءنا هذا جاء خاليا من التكرار فى بعض الحروف .. ولكن ما يطمئن هنا هو أننا تعاملنا مع الظاهرة كلها بنفس المعيار .

الباء	(م ٣٤ ، د ٣ ، ف ١ ، د / م ١)
التاء	(و ٨ ، د ٧ ، ط ٥ ، س ٤ ، ف ١)
الثاء	(ف ٢١ ، ذ ١٠ ، س ٣ ، د ١ ، ص ١)
الجيم	(ك ٦ ، ى ٥ ، ح ٣ ، ط ٢ ، همزة ١ ، ز ١ ، م ١ ، ن ١)
الحاء	(هـ ١٤ ، خ ١١ ، ع ٥ ، خ/غ ١ ، ك ١ ، ل ١)
الخاء	(ح ٣ ، هـ ٢ ، غ/ ك ١ ، ك ١)
الدال	(ذ ٢ ، ط ٢ ، ل ٢ ، ر ١ ، ز ١)
الذال	(ز ٣ ، ث ١ ، د ١ ، ص ١)
الراء	(ل ١٠ ، ن ٣ ، م ١ ، ى ١)
الزاى	(س ٨ ، ص ٤ ، ذ ٢)
السين	(ش ٨ ، ث ٢ ، ت ١ ، ش/ ف ١ ، ى ١)
الشين	(س ٤)
الصاد	(ض ٤ ، ط ٢ ، ى ٢ ، ز ١)
الضاد	(ص ٢ ، ن ١)
الظاء	(لم تبدل من أى حرف)
العين	(غ ٣ ، ح ٢ ، هـ ٢ ، همزة ١ ، م ١)
الغين	(ع ١ ، م ١)
الفاء	(ث ٩ ، ت ١ ، ق ١)
القاف	(ك ١٢ ، م ١)
الكاف	(ق ٧)
اللام	(ن ٢٨ ، ر ٢ ، م ١)
الميم	(ن ١٤ ، حرف مزيد ٨ ، و ٢ ، ب ١ ، ى ١)
النون	(حرف مزيد ٨ ، م ٤ ، ل ١)

الهاء (همزة ٧ ، ح ١ ، ف ١)

الواو (ت ٨ ، همزة ٦ ، م ١ ، ى ١)

الياء (همزة ١٩ ، ن ٢ ، ع ١ ، م ١)

من هذا الإحصاء نستطيع أن نقرر أى الحروف وقع بينها الإبدال ، وأيها كان الإبدال بينها أكثر من غيرها . لقد وقع الإبدال بمستوى عال فى الحروف التالية :

ب / م ٣٤ مرة ، ل / ن ٢٨ مرة ، ث / ف ٢١ مرة ، ى / همزة ١٩ مرة ، ح / هـ ١٤ مرة ، م / ن ١٤ مرة

يلى ذلك :

ق / ك ١٢ مرة ، ح / خ ١١ ، همزة / ع ١٠ ، همزة / و ١٠ ، ث / ذ ١٠ ، ر / ل ١٠ ، همزة / هـ ٩ ، ف / ث ٩ ، ت / و ٨ ، س / ش ٨ ، ت / د ٧ ، ك / ق ٧ ، هـ / همزة ٧ .

عدا هذا وذاك كانت النسبة أقل . إذ كان الإبدال يتمثل فى حالتين أو ثلاث على الأكثر وهى نسبة ضئيلة إذا ما قيست بما رصدناه هنا . (نستثنى من كل هذا حرف ظ)

نتائج هذه الإحصائية – مع نتائج نظائر لها فى كتب الإبدال الأخرى – لا شك تقودنا إلى نتائج مثيرة وأدعى إلى الاطمئنان أكثر ، بل وأيضا يمكن استغلالها فى تعديل مسار الدراسات التى تناولت – وتتناول – ظاهرة الإبدال فى اللغة العربية باعتبارها المنطلق لفهم تطور اللهجات فى العصر الحديث .

---

(١) حقق هذا الكتاب الدكتور رمضان عبد التواب ، الناشر : مكتبة الخانجى بمصر ١٩٧٩

المدود والمقصور[1]

لأبى الطيب الوشاء ت ٣٢٥ هـ

هذا الكتاب أثر من آثار ترك الهمزة فى اللهجات العربية التى ولدت بعد الإسلام فى الأقطار المفتوحة .

ترك الهمز فى غير أول الكلمة ظاهرة شاعت فى لهجات التخاطب ، كما كان الحال فى لهجات الحجاز قبل الإسلام .

وقد أدت هذه الظاهرة إلى اشتباه الممدود بالمقصور ، ويبدو هذا حين يكون للكلمة صورتان : مقصورة بمعنى مثل : الحيا (الغيث) ، وممدودة بمعنى آخر : الحياء (الخجل) ، الخلا (حشيش رطب) ، والخلاء : (الفضاء) ، الغنى (كثرة المال) ، والغناء : (من الطرب) [2] .

هذا وقد ألف فى هذا الموضوع كما يشير الدكتور رمضان عبد التواب محقق كتاب الوشاء حوالى أربعين عالما ، نظرًا لأهمية الموضوع .

المنصف

لابن جنى ت ٣٩٢هـ

اسم هذا الكتاب بالكامل : المنصف شرح الإمام أبى الفتح عثمان بن جنى النحوى لكتاب التصريف للإمام أبى عثمان المازنى النحوى البصرى ت ٢٤٧ هـ[3] .

وكعادة ابن جنى دائما فى مؤلفاته أو شروحه ، يطالعنا بمنهجية نحمدها له وذلك إذ يقول :

---

(١) حقق هذا الكتاب الدكتور رمضان عبد التواب ، الناشر : مكتبة الخانجى بمصر ١٩٧٩ .

(٢) الوشاء ، الممدود والمقصور ص ٣ من مقدمة المحقق .

(٣) حقق هذا الكتاب كل من الأستاذين : ابراهيم مصطفى ، وعبد الله أمين . طبع ونشر : مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى والكتاب فى ثلاثة أجزاء وقد طبع الطبعة الأولى ، جزء ١ ، ٢ سنة ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ ، أما الجزء الثالث فقد طبع سنة ١٩٦٠ .

« هذا كتاب أشرح فيه كتاب أبى عثمان بن محمد بن بقية المازنى رحمه الله فى التصريف بتمكين أصوله وتهذيب فصوله ، ولا أدع فيه – بحول الله وقوته – غامضا إلا شرحته ، ولا مشكلا إلا أوضحته ، ولا كثيرا من الأشباه والنظائر إلا أوردته ليكون هذا الكتاب قائما بنفسه ومتقدما فى جنسه[1] » .

وهذه نقطة أقتبسها هنا للمرة الثانية عن آداب نقل العلوم وقراءتها[2] ، لأنها أساسا وردت فى كتاب المنصف لابن جنى . يقول ابن جنى :

« وحقيق على من نظر فى كتاب قد عنى به واضعه وانصرف إلى الاهتمام به مصنفه فحظى منه بأقصى ما طلب ووصل إلى غايته من كتب ، أن يحمد الله على ما وهبه له من فهمه وأن يسلم لصاحبه ما وفّره الله عليه من حفظه ، وأن يعتزى فيما يحكيه عنه إليه ، فإن فعل ذلك فعلى محجة أهل العلم والأدب وقف ، وإن أبى إلا كفران النعمة فعن المروءة والإنسانية صدف[3] » .

وكتاب **المنصف** يقع فى ثلاثة أجزاء

يعالج الجزء الأول :

باب الأسماء والأفعال فيتحدث عن الأصل فى كل منهما أو المجرد الثلاثى المؤلف من الفاء والعين واللام ، ثم عن المزيد .

بعد ذلك يعرض أسباب الزيادة ، فيبين الزيادة للإلحاق مثل كوثر حيث تكون الواو زائدة لأنها من الكثرة والصرف ، وهى ملحقة بجعفر والزيادة للمد مثل عجوز ، والزيادة للمعنى وذلك حين تأتى بأحرف المضارعة لنجعل الفعل يصلح لزمانين ، وهو يشير فى هذا الصدد إلى زيادة الألف فى ضمير أنا وأنها جاءت لبيان حركة النون وهى الفتحة ، وهناك زيادة من أصل الوضع

---

(١) ابن جنى ، المنصف جـ ١ ص ١ .

(٢) استشهدت بهذه النقطة عند عرض كتاب الدكتورة خديجة الحديثى .

(٣) ابن جنى ، المنصف جـ ١ ص ٥ ، ٦ .

وذلك مثل فَقُر فهو فقير[1] .

ثم يتحدث عن أبنية الأسماء والأفعال الثلاثية التى لا زيادة فيها ، ويؤكد بأن الزيادة بابها الأفعال ، ثم يناقش الإلحاق المطرد فى الأسماء والأفعال[2] .

بعد ذلك يشير ابن جنى إلى أن همزة الوصل تدخل على عشرة أسماء هى :

ابن ، ابنة ، امرؤ ، امرأة ، اثنان ، اثنتان ، اسم ، است ، أيم ، وقالوا : ابنُمٌ يعنون ابن[3] .

ثم يورد ابن جنى أداة التعريف والتنوين[4] .

ويعاود الحديث مرة أخرى عن حروف الزيادة وهو الباب الذى خصصه المازنى لهذا الغرض تحت عنوان . «باب ما تجعله زائدا من حروف الزيادة» فيقول ابن جنى إن كلا من حروف الزيادة قد يأتى أول الكلمة أو وسطها أو آخرها ، ومنها ما يصح وقوعه أصلا فى الكلمة ومنها ما ليس كذلك[5] .

ويعطى ابن جنى معلومة مفيدة عن الأسماء الأعجمية ، ويعتبرها فى حكم الحروف من حيث امتناعها من التصريف والاشتقاق لأنها ليست من اللغة العربية مثل : إبراهيم ، إسماعيل وهى تساوى فى نظره حروفا مثل : قد ، هل ، بل[6] .

يشغل الحديث عن الزيادة وحروف الزيادة معظم الجزء الأول من كتاب

---

(١) ابن جنى : المنصف حـ ١ صفحات ٧ - ١٦ .
(٢) السابق صفحات ١٧ - ٤١ .
(٣) السابق صفحات ٥٧ - ٦٨ .
(٤) السابق ص ٦٩ وما بعدها .
(٥) السابق ص ٩٨ وما بعدها .
(٦) السابق ص ١٢٧ .

المنصف ، ولذلك نجد ابن جنى يشير إلى ما أسماه بـ « أمهات الزوائد » أى ما يكثر تصرفها فى الكلام ، وهذه هى :

الياء ، الواو ، الألف ، الهمزة ، الميم فى الأول ، همزة التأنيث فى مثل حمراء وخنفساء ، الألف والنون فى مثل غضبان ، تاء التأنيث كما فى تمرة (تبدل منها الهاء فى الوقف) ، والتاء التى يجمع بها فى التأنيث مثل تاء مسلمات وصالحات .[1] .

والمناقشة المثيرة أكثر جاءت عن القياس فى الأبنية ، وقد خصص فى الكتاب باب لما قيس على الصحيح على ما جاء من الصحيح فى كلام العرب وذلك انطلاقا من مبدأ « ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم » وكان أبو الحسن الأخفش يجيز أن تبنى على ما بنت العرب ، وعلى أى مثال سألته : إذا قلت له : ابن لى من كذا مثل كذا وإن لم يكن من أمثلة العرب ، فإنه يفعل ذلك ويقول : إنما سألتنى أن أمثل لك فمسألتك ليست بخطأ ، وتمثيلى عليها صواب .

وكان الخليل وسيبويه يأبيان ذلك ويقولان :

ما قيس على كلام العرب فهو من كلامهم ، وما لم يكن فى كلام العرب فليس له معنى فى كلامهم ، فكيف تجعل مثالا من كلام قوم ليس له فى أمثلتهم معنى وهذا هو القياس .

ألا ترى أنك إذا سمعت : قام زيد ، أجزت أنت : ظرف خالد ، وحمق بشر .

وكان ما قسته عربيا كالذى قسته عليه لأنك لم تسمع من العرب أنت ولا غيرك اسم كل فاعل ومفعول ، وإنما سمعت بعضا فجعلته أصلا وقست عليه ما

---

(١) ابن جنى ، المنصف ص ١٥٣ وما بعدها .

لم تسمع ، فهذا أثبت وأقيس[1] .

ويخصص النصف الثانى من الجزء الأول من كتاب المنصف فيعرض لأربعة أبواب رئيسية هى : باب الياء والواو اللتين هما فاءات ، وباب ما الياء والواو فيه ثانية وهما فى موضع العين ، ثم باب ما لحقته الزوائد من هذه الأفعال من بنات الثلاثة ، وأخيرا ما تقلب فيه الواو ياء[2] .

أما الجزء الثانى : فيبدأ باستكمال قلب الواو ياء ، وإذا استثنينا الاستطراد فى باب ما يكسر عليه الواحد نجد باب ما اللام فيه هذه من ذات الياء والواو اللتين هما عين ، ثم باب الواو والياء الواقعين لام الفعل مثل رميت وغزوت ، ثم ما تقلب فيه الياء واوا للتفرقة بين الاسم والصفة ، والعكس أيضا فى قلب الواو إلى ياء وذلك حين يكون فَعَلْتُ على أربعة أحرف فصاعدا ."[3] .

ثم يتكلم عن التضعيف فى نحو حييت ووعيت وأحييت وأعييت ويشير إلى كيفية الإدغام والإظهار فيهما ، ثم يتحدث عن التضعيف فى بنات الواو ، وكذا ما قيس من المعتل ولم يجئ مثاله إلا من الصحيح ."[4] .

يثير ابن جنى نقطة جديرة بالملاحظة وهى أنه يرى أن العرب يحذفون الشيء أو يستثقلونه وفى كلامهم ما هو أثقل منه ، فعلوا ذلك لئلا يكثر فى كلامهم ما يستثقلون ، وكل ما فعلوا فله مذهب وحكمة .

مما حذفوه من كلامهم وغيره أثقل منه قولهم فى جمع عوانٍ ونوارٍ عون ونور فألزموا العين التسكين ، فعلوا ذلك هربا من الضمة فى الواو .

---

(١) ابن جنى ، المنصف حـ ١ ١٧٣ – ١٨٠ .
(٢) السابق ص ١٨٤ – ٣٤١ .
(٣) السابق ، من بداية الجزء حتى ص ١٨٦ .
(٤) السابق ١٨٦ – ٢٩٨ .

ومع ذلك قالوا فى موطن آخر سُؤْتُ سوورا وغارت عينه غوورا فجمعوا بين واوين وضمتين .

ويستمر ابن جنى فى عرض وجهة نظره فى هذا الشأن مشيرا إلى أن القياس كان يقتضى أنهم إذا هربوا من واو واحدة وضمة أن يكونوا من واوين وضمتين أشد هربا إلا أنهم ألزموا فى عون ونور السكون ، بعد أن كانت الضمـة أحق بها لئلايكثر فى كلامهم ما يستثقلونه .

ابن جنى بهذه الملاحظة لا يقصد إلى أن ينال من القدماء بحال ، بالعكس إنه يحترم التراث ويعتبر التقليد مقدسا فى مثل تلك الأمور الصرفية واللغوية بوجه عام ومن هنا فإنه يقول :

« فضع الأشياء حيث وضعوا ، واتق ما اتقوْا ، وقس على ما أجروْا تُصِب الحق إن شاء الله تعالى »[1] .

ويأتى الجزء الثالث من كتاب المنصف يفسر فيه ابن جنى ما جاء فى كتاب أبى عثمان المازنى بشواهده وحججه ، وكان تركيزه فى ذلك على الكلمات الغريبة التى أوردها المازنى ، وإليك بعض الأمثلة :

قمطر : الشديد ، ومنه قوله تعالى : « إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا » . أى شديدا (الآية فى سورة الإنسان رقم ١٠) .

جحمرش : عجوز كبيرة ، أو العظيمة من النساء أو الأرنب الضخمة .

قُذَعْمِله : لا شىء ، الضخم من الإبل .

كوثر : الرجل الكثير العطاء ، نهر فى الجنة .

---

(١) ابن جنى ، المنصف ح ١ ص ٢٩٩ .

جهور : جهور فى كلامه جهورة إذا أعلاه ، وهو من الجهارة ، ومنه سمى النحويون الحروف المجهورة ، ويقال رجل جَهْوَرى .

وبهذا ينتهى جهد ابن جنى فى شرحه لكتاب المازنى .

كتاب الأفعال[1]

للسَّرَقُسْطى ت حوالى ٤٠٠ هـ

تنبه علماء العربية لأهمية « الفعل » فى بنائه ومصدره ومعناه ، فألفوا الرسائل والكتب فى ذلك ، ومن أهم الكتب التى تناولت الفعل من زاوية بنيته : ثلاثة كتب كلها حمل عنوان « الأفعال » .

أحدها لابن **القوطية**[2] (محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطى ت ٣٦٧ هـ) وقد أسمى كتابه : **الأفعال وتصاريفها** . وقد نشر هذا الكتاب أولا على يد أغناطيوس جويدى Ignazio Guidi ونشره فى ليدن / بريل Leiden, Brill ثم أعاد نشره الأستاذ السيد على فودة وطبعه بالقاهرة سنة ١٩٥٢ .

والثانى لأشهر تلاميذ ابن القوطية وهو **السرقسطى** .

والثالث لابن القطاع الصقلى (على بن جعفر السعدى أبو القاسم ت ٥١٥ هـ) وقد أسمى كتابه : **الأفعال** وطبع هذا الكتاب فى حيدر آباد سنة ١٣٦١ هـ .

نعرض فيما يلى كتاب السرقسطى . واسمه بالكامل أبو عثمان سعيد بن محمد المعافرى القرطبى ، ثم السَّرَقُسْطى المعروف بابن الحداد . وقد توفى حوالى سنة ٤٠٠ هجرية .

عرض السرقسطى فى هذا الكتاب أكبر قدر من أفعال اللغة العربية وأوضح قياس تصاريفها ، مبينا الصحيح والمعتل منها ، وكذلك المجرد والمزيد ، والمتعدى واللازم ، ومصادر الفعل الثلاثى ، وعدداً آخر من المشتقات .

---

(١) نشر هذا الكتاب بتحقيق الدكتور حسين شرف ، وراجعه الأستاذ مهدى علام ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية . القاهرة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م (فى أربعة أجزاء) .

(٢) يذكر الدكتور حسين نصار أن التأليف فى الأفعال بدأ بابن القوطية . انظر المعجم العربى جـ ١ ص ١٥٥ .

وقد أقام كتابه هذا على أساس مما جاء بكتاب أستاذه ابن القوطية فى كتابه الأفعال . ولكن السرقسطى استكمل عمل أستاذه واستدرك ما فاته[1] .

وهو يرتب الأفعال على أساس من المخارج ، باعتبار أن الحرف الأول من الفعل يبدأ بحرف من الحروف المرتبة فى صلب الكتب على المخارج ، وقد جاء على النحو التالى .

الهمزة / الهاء / العين / الحاء / الخاء [الجزء الاول] ، الغين / القاف / الكاف / الضاد / الجيم / الشين / اللام [الجزء الثانى] ، الراء / النون / الطاء / الدال / التاء / الصاد / الزاى / السين / الظاء / الذال / الثاء / [الجزء الثالث] ، الفاء / الباء / الميم / الواو / الياء [الجزء الرابع : القسم الأول] .

وهو إذ يقدم الكلمات التى تبدأ بحرف ما، على الترتيب الذى سلف ، نراه يعطى كل الإمكانات الممكنة فى كل حرف ، فمثلا حرف **الهمزة** : يجىء ليشمل كل الأفعال التى تبدأ بالهمزة ويتبع نوعايتها على القسم التالى .
ـ المعتل بالواو فى لامه .

أنّى بمعنى حضر ، أنى الشئ بلغ وقته وغايته ، أنى يأنى أنيا وأنيّا : تأخر وأبطأ .

ـ الثلاثى المفرد :

الثنائى المضاعف ، أمَّ القوم : تقدمهم ، أمَّ الشىء : قصده ، أمَّ الرجل : شجّه .

---

(١) السرقسطى : كتاب الأفعال حـ ١ ص ٦ من المقدمة التى كتبها الأستاذ مهدى علام .

– الثلاثى الصحيح :

فَعَل / فعَل وفعِل /فَعَل وفُعِل/فَعَلوفَعُل / فعِل وفعُل /فَعَل / فعِل / فعُل / فعُل / فعِل .

– المهموز :

فعَل، وبالياءمثل آض أيضا / وبالواو والياء/فعِل بالياء سالما/ فعَل معتلا / فعِل بالياء سالمًا / وفعَل بالواو والياء معتلا .

الفعل يأتى مضبوطا وبصفة خاصة عين الفعل ، ماضيا ومضارعا وكذلك ترد المصادر مشكولة ، ويستشهد للمادة من القرآن أو الأحاديث أو أخبار الصحابة أو الأمثال العربية القديمة أو الشعر (أحيانا بيت كامل وأحيانا شطر بيت أو جزء من شطره) أو الرجز . وكان ينبه غالباً إلى القائل ، كما كان ينبه إلى أى القبائل أخذت عنها كلمة معينة أو كلمات .[1] .

لا نترك كتاب الأفعال للسرقسطى قبل أن نشير إلى هذا الجهد الكبير الذى قام به **الدكتور حسين محمد شرف** محقق الكتاب ليس فقط فى طريقة التنظيم والتبويب وضبط المفردات والتعليقات الشارحة أحيانا ، بل أكثر من ذلك نجده قد خصص الجزء الرابع : القسم الثانى **لفهارس الكتاب** وقد جاء ترتيبها على نحو يشهد للمحقق العربى المصرى بالشىء الكثير فطالما بهرنا بتصنيفات المستشرقين وفهارسهم . وأقول : إن الفهارس التى وضعها الأستاذ المحقق لا تقل أهمية – إن لم تزد – عما يبهرنا فى فهارس المستشرقين .

وتجىء **فهارس الكتاب** على النحو التالى :

١ – موضوعات الدراسة وحروف الكتاب (مرتبة أبجديا : الفعل وبابه وبناؤه والجزء والصفحة)

---

(١) السرقسطى ، كتاب الأفعال صفحات ٦٥ – ١٢١ بتصرف .

٢ — فهرس الأفعال مرتبة على الحرف التى جاء عليها الكتاب (مرتبة أبجديا) .

٣ — فهرس آيات القرآن الكريم .

٤ — فهرس الأحاديث وأخبار الصحابة .

٥ — فهرس الأمثال

٦ — فهرس الأشعار (صدر البيت ، القافية ، البحر ، القائل إن عُرف ، وحروف القافية هنا مرتبة أبجديا)

٧ — فهرس الأرجاز ، حروف القافية مرتبة أبجديا ثم القائل .

٨ — فهرس أجزاء الأبيات ، مرتب أبجديا بحسب أول حرف فيه ، البحر ثم القائل)

٩ — فهرس اللغات (كلغة الأزد أو الأنصار أو أهل نجد أو أهل اليمن وهكذا)

١٠— فهرس القبائل والأمم والطوائف (اسم القبيلة أو الطائفة بالترتيب الأبجدى ثم الجزء فالصحفة كالعادة) .

١١— فهرس أيام العرب

١٢— فهرس البلدان والمواضع والأمواه .

١٣— فهرس الأعلام (أبجدى حسب الحرف الأول من الاسم الأول)

١٤— فهرس المصادر والمراجع مراعى فيها اسم الكتاب ، المؤلف ، دار الطبع ، مكان الطبع ، تاريخ الطبع بالتقويمين الهجرى والميلادى .

كتاب الشافية لابن الحاجب[1] ت ٦٤٦ هـ
شرح شافية ابن الحاجب
للرضى الاستراباذى ت ٦٨٦ هـ

قمة التأليف فى علم الصرف ، ليس فقط من حيث التنظيم والإسهاب والبسط ، ولكن أيضا لنضج المناقشة وعمق الأفكار ، ولا غرو فهى حصيلة جهود سبقتها ومن هنا فقد أفاد ابن الحاجب من الكثير منها .

وقد شرح الشافية الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى النحوى ونشرت مع شرح الشواهد للعالم الجليل عبد القادر البغدادى صاحب خزانة الأدب والمتوفى فى عام ١٠٩٣ هـ .

الجزء الأول يبدأ بخطبة شارح الشافية وهو الرضى يليها خطبة المصنف نفسه وهو ابن الحاجب ، ثم يأتى تعريف التصريف ، بناء الكلمة ووزنها وصيغتها ، وأنواع الأبنية ما بين مجردة ومزيدة ومحكومة بالميزان الصرفى فى كل مرة ، القلب المكانى وأنواعه وعلاماته ، أبنية الاسم الثلاثى فالرباعى فالخماسى ، ظاهرة الإلحاق : معناها وفائدتها وحروف الإلحاق وشروط الإلحاق ومواضعه وما هو قياسى أو سماعى بالنسبة لهذه الظاهرة .

ثم يتلو ذلك عرض للأغراض التى تقصد من أحوال الأبنية وهنا شرح طويل ومسهب لمعانى كل صيغة من صيغ الزيادة .

المجرد الرباعى ومزيده ، المضارع وأبوابه ، مصادر الثلاثى وذكر ضوابط لأوزانه بحسب ما يدل عليه من المعانى ثم اسم المرة ، وأسماء الزمان والمكان واسم الآلة يليها التصغير وهو يحتل وحده تقريبا ثلث هذا الجزء .

الجزء الثانى : يشمل المنسوب ، ثم جمع التكسير ، فالابتداء (همزة الوصل) والوقف ، فالمقصور والممدود ، ثم ما أطلق عليه « ذوالزيادة » وهنا يورد

---

(١) حققها الأساتذة : محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيى الدين عبد الحميد ونشرتها دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م (فى أربعة أجزاء) .

حروف الزيادة العشرة ويبين أهميتها وأدلتها ويربط بينها وبين الاشتقاق حيث يعتبره دليلًا من أدلة الزيادة،وتطول مناقشة الاشتقاق لتختم هذا الجزء .

الجزء الثالث وقد خصص للمسائل الصرفية التالية : الإمالة ، الإعلال ، الإدغام ، الحذف ، يلي ذلك ما أسماه مسائل التمرين : الخط ثم الفصل والوصل ، الزيادة ، النقص ، البدل .

أما الجزء الرابع من الشافية فقد خصص لشرح الشواهد الواردة فيها . ولنضرب هنا مثالا من الشافية .

قال : وأحوال **الأبنية** قد تكون :

للحاجة : كالماضى والمضارع والأمر واسم الفاعل واسم المفعول والصيغة المشهبة وأفعل التفضيل والمصدر واسمى الزمان والمكان والآلة والمصغر والمنسوب والجمع والتقاء الساكنين والابتداء والوقف . وقد تكون :

للتوسع ، كالمقصور والممدود وذى الزيادة ، وقد تكون :

للمجانسة ،كالإمالة ،وقد تكون :

للاستثقال كتخفيف الهمزة ، والإعلال والإبدال والإدغام والحذف[1] .

---

(١) الشافية حـ ١ ص ٦٥ .

المتمع فى التصريف[1]

لابن عصفور الأشبيلى ت ٦٦٩ هـ

بسط ابن عصفور فى هذا الكتاب مسائل التصريف بسطا مسهبا مدعوما بالتعليل والتفسير والحجج والأدلة والشواهد ، وكان أبو حيان من أشد المعجبين به .

وقد ذكر ابن عصفور فى مقدمته لكتابه :

« ..... إن النحويين قد هابوا علم التصريف لغموضه ، وتركوا التأليف فيه والتصنيف إلا القليل منهم »[2] .

وهو يشير إلى شرف علم التصريف : احتياج جميع المشتغلين باللغة العربية من نحوى ولغوى إليه أيما حاجة، لأنه ميزان العربية ، ألاترى أنه قد يؤخذ جزء كبير من اللغة بالقياس ولا يوصل إلى ذلك إلا من طريق التصريف ، نحو قولهم : كل اسم فى أوله ميم زائدة مما يُعمل به وينقل فهو مكسور الاول نحو مِطرقة ، ومِروحة إلا ما استثنى من ذلك . فهذا لا يعرفه إلا من يعلم أن الميم زائدة ، ولا يعلم ذلك إلا من جهة التصريف .

كذلك فإنه لا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به ، وهنا يربط ابن عصفور — فيما أرى — بين الصرف والمعاجم ، إذ نستطيع أن نلمح هذه الرابطة فى قوله عن أهمية الاشتقاق ان وصف الله بلفظ « سخى » إنما يمتنع ، لأن أصله من الأرض السخاوية ، وهى الرِّخوة ، بل إن وصفه بصفة « جواد » أكثر مناسبة ولياقة لأنه أوسع فى معنى العطاء ، وأدخل فى صفة العلاء[3] ولنا عودة لتوضيح العلاقة تفصيلا بين الصرف والمعاجم .

---

(١) طبع هذا الكتاب ثلاث طبعات على النحو التالى : ط أولى ١٣٩٠ / ١٩٧٠ ، ط ثانية ١٣٩٣ / ١٩٧٣ ، وط ثالثة ١٣٩٨ / ١٩٧٨ من منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت . وقد نشر هذا الكتاب فى جزءين بتحقيق الدكتور فخر الدين قباوة .

(٢) ابن عصفور ، الممتع حـ ١ ص ٧ ، ٨ والنص ص ٢٢ .

(٣) السابق ، ص ٢٨ .

ويقسم ابن عصفور التصريف إلى قسمين :

أحدهما : جعل الكلمة على صيغ مختلفة لضروب من المعانى ، نحو : ضَرَب / ضَرَّب / تَضَرَّب / تضارب / اضطرب .

والثانى : تغيير الكلمة عن أصلها ، دون أن يكون ذلك التغيير دالاً على معنى طارئ على الكلمة نحو تغييرهم لفظة « قول » إلى « قال »[1] .

ويعرض للفرق بين الإبدال والقلب فيعتبر أن .

القلب : تصيير الشىء على نقيض ما كان عليه من غير إزالة ولا تنحية .

والبدل : وضع الشىء مكان غيره على تقدير إزالة الأول وتنحيته .

ثم أشار إلى أن التصريف لايدخل أربعة أشياء هى : الأسماء الأعجمية . الأصوات ، مثل : « غاق » لأنها حكاية ما يصوت به ، وليس لها أصل معلوم . والحروف وما شبّه بالحروف من الأسماء المتوغلة فى البناء مثل : مَنْ / ما .

وفى هذا المجال ينبه إلى أن ثمة بعض الكلمات المبنية جاءت من مشتق نحو « قط » لأنها من قططت أى قطعت ، ومعنى : ما فعلته قط أى فيما انقطع من عمرى .

ونحن نلمح فى هذه الإشارة الأخيرة نوعا من الارتباط والنحو حيث يشير إلى المبنى ويربط ذلك بالاشتقاق الصرفى ، وهنا تقوم علاقة من نوع آخر بين بعض مسائل الصرف وعلم آخر هو علم النحو ، إلى جانب ما أشرنا إليه من قبل من وجود علاقة بين علم الصرف والمعاجم .

وهنا تكمن فكرة **التكامل** الحقة بين هذه العلوم بعضها وبعض بما يجعل منها علوما حية تتفاعل وتتضافر جميعها لتوفير الصحة اللغوية للأسلوب ، وهذا ما قصدنا إليه بنظرية التكامل اللغوى التى نتوفر للتدليل على وجودها ، وتماسكها

---

(١) ابن عصفور ، الممتع ص ٣١

وارتباط فروعها أو أبعادها بعضها بالبعض الآخر .

وينبغى أن يعلم أننا لا نعتمد على هذه الجزئية أو تلك للتدليل على وجود هذه النظرية ، بقدر ما نعدّ ذلك مجرد إشارات عابرة غرضها النمذجة لا أكثر ولا أقل .

أما الارتباط الحى بين فروع هذه النظرية بعضها وبعض فأمر ثابت ثبوت هذه العلوم نفسها .

بعد كل هذا يبدأ ابن عصفور القسم الأول من التصريف بإيضاح الحروف الزوائد ، مشيرا إلى كل من الاشتقاق الكبير والاشتقاق الصغير ، يتلو ذلك باب أبنية الأسماء (المجردة والمزيدة) وأبنية الأفعال ، وحروف الزيادة وفى دراسة تفصيلية وطويلة يناقش متى تزاد هذه الحروف .

أما القسم الثانى من التصريف فيناقش فيه الإبدال ، وحروفه .

وفى الجزء الثانى ، يستمر ابن عصفور فيعرض للقلب والحذف والنقل ، وأحكام حروف العلة الزوائد ، والقلب والحذف على غير قياس ، والإدغام .

ثم يضع فى نهاية هذا الجزء موضوعين أساسيين : أحدهما تطبيقى عن مسائل التمرين ، والثانى عن حروف المعجم وما يدغم منها ومالا يدغم ،ولكن القارئ هنا يشعر بأن ابن عصفور ناقل عن ابن سنان الخفاجى فى كل ما أتى به مع قليل جدا من التحوير والتعديل .[1] .

---

(١) قارن صفحات ٦٦٣ - ٦٦٧ من الجزء الثانى : الممتع لابن عصفور بصفحات ٢٢ وما بعدها فى سر الفصاحة لابن سنان الخفاجى .

أبيات الألفية فى مسائل الصرف
لابن مالك ت ٦٧٢ هـ

نظم ابن مالك فى « **ألفيته** » كل مسائل النحو والصرف ، وقد جاءت فى ١٠٠٣ من الأبيات ، وشرحها كثيرون من أئمة علماء النحو منهم : المؤلف نفسه ، وابنه بدر الدين محمد ، والأبناسى الهاشمى ، وابن عقيل ، والأدكاوى ، والمرادى (المعروف بابن أم القاسم) والأشمونى ، والمختار بن بون ، وابن العينى ، والمكودىّ ، والرعينى الأندلسى ، والهوارى الأندلسى وغيرهم .

وكل هذه الشروح المطبوع منها والمخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية بالقاهرة[1] .

وأول ما يصادفنا من مسائل الصرف فى هذه الألفية هو : تعدى الفعل ولزومه (نظم فيها ابن مالك ١١ بيتا) ، ثم أبنية المصادر (١٧ بيتا) ، ويتلو ذلك : أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين (١٠ أبيات) ، والصفة المشبهة باسم الفاعل (٧ أبيات) ، وأفعل التفضيل (١٠ أبيات) ، والتأنيث (١٣ بيتا) ، والمقصور والممدود وكيفية تثنيتهما وجمعهما تصحيحا (٢٠ بيتا) ، وجمع التكسير (٤٢ بيتا) ، والتصغير (٢٢ بيتا) ، والنسب (٢٦ بيتا) ، الوقف (١٩ بيتا) ، والإمالة (١٥ بيتا) والتصريف (٢٣ بيتا) ، وزيادة همزة الوصل (٥ أبيات) ، والإبدال والإعلال (٤٨ بيتا) . والإدغام (١٢ بيتا) .

من هذا العرض نستطيع أن نؤكد أن عدد أبيات الألفية التى تناولت المسائل الصرفية هو ٣٠٠ بيت ، والباقى من الألفية وعدده ، ٧٠٣ من الأبيات فهى فى علم النحو .

---

(١) انظر ص ٨ من طبعة الألفية ، مكتبة القاهرة د . ت . لم يكن ابن مالك هو أول من نظم مسائل الصرف فقد سبق أن أشرنا إلى ما نظمه ابن دريد ت ٣٢١ هـ فى المقصور والممدود . انظر تفصيل ذلك فى إشارتنا إلى المرحلة الثالثة فى التأليف فى علم الصرف .

ولكن ينبغى أن يعلم أن أبيات الصرف لم تكن وقفا على الأبنية والصيغ وحدها مما يختص به الصرف ، ولكنها تناولت أيضا تراكيبها وأحوال وقوعها فى الجملة وطريقة إعرابها ولذا فإن الـ ٣٠٠ بيت ليست كلها خالصة تماما للصرف . وهذا واضح من النماذج التالية :

أ – نموذج فى المتعدى واللازم

قال ابن مالك فى الألفية :

علامة الفعل المعدًّى أن تصل   ها غير مصدر به نحو عمل
فانصب به مفعوله إن لم ينب   عن فاعل نحو تدبرت الكتب
ولازم غير المعدًّى وحتم   لزوم أفعال السجايا كنهم
كذا افعلل والمضاهى اقعنسسا   وما اقتضى نظافة أودنسا
أو عرضا أو طاوع المعدّى   لواحد كمدّه فامتدا

ب – نموذج من أبنية المصادر

فَعل قياس مصدر المعدى   من ذى ثلاثة كرد ردا
وفعل اللازم بابه فَعَل   كفرح وكجوى وكشلل
وفعل اللازم مثل قعدا   له فعول باطراد كغدا
ما لم يكن مستوجبا فعالا   أو فعلانا فادر أو فعالا

جـ – نموذج من جمع التكسير

أفعلة أفعل ثم فعله   ثمت أفعال جموع قله
وبعض ذى بكثرة وضعا يفى   كأرجل والعكس جاء كالصفى
لفعل اسما صح عينا أفعل   وللرباعى اسما أيضا يجعل
إن كان كالعناق والذراع فى   مد وتأنيث وَعَدّ الأحرف
وغير ما أفعل فيه مطرد   من الثلاثى اسما بأفعال يرد

د - نموذج من التصريف (المجرد والمزيد)

حرف وشبهه من الصرف برِى　　وما سواهما بتصريف حرى
وليس أدنى من ثلاثى يرى　　قابل تصريف سوى ما غيرا
ومنتهى اسم خمس إن تجردا　　وإن يزد فيه فماسبعا عدا
وغير آخر الثلاثى افتح وضم　　واكسر وزد تسكين ثانيه تعم

ب - نماذج من الدراسات الصرفية حديثا

شذا العرف فى فن الصرف ط أولى ١٨٩٤

للشيخ أحمد الحملاوى(*)

هذا الكتاب يجىء فى **مقدمة وثلاثة أبواب**

يعرض فى **المقدمة** تعريفا للصرف وموضوعه وواضعه ومسائله وثمرته واستمداده وحكم الشارع فيه والأبنية .

وهو يقسم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف ، ويشرح الميزان الصرفى ، ويسهب القول فى القلب المكانى .

أما الباب الأول ففيه عدة تقاسيم عن الفعل .

القسم الأول : الفعل **ماض ، مضارع ، أمر**

القسم الثانى : الفعل **صحيح ومعتل** وأقسام كل : فالصحيح ينقسم الى سالم ، مضعف ، مهموز ، والمعتل ينقسم إلى **مثال وأجوف وناقص ولفيف** .

(*) الشيخ أحمد الحملاوى أحد أركان النهضة اللغوية فى العصر الحديث بما ألف من كتب ، وبما تخرّج على يديه من رجال القضاء الشرعى والمحاماه وأساتذه اللغة العربية ، وكلهم ممن شغلوا مكانا فسيحا فى حياة مصر العلمية والأدبية فى معاهدها الكبرى وجامعاتها القديمة والحديثة . انظر ما كتبه عنه الأستاذ مصطفى السقا فى مقدمة الطبعة ١٢ التى ننقل عنها ، ١٩٥٧ (صدرت الطبعة الأولى ١٣١٢ هـ ١٨٩٤ م .

القسم الثالث : ينقسم الفعل إلى **مجرد ومزيد** وأبواب كل منها ، ويلحق ذلك بتنبيهات تليها أوزان الرباعى المجرد وملحقاته ، فأوزان الثلاثى المزيد فيه حرف أو حرفان أو ثلاثة أحرف . ويتلو ذلك بيان معانى صيغ الزوائد وهى : (أفعل ، فاعَل ، فعَّل ، انفعل ، افتعل ، افعلّ ، تفعّل ، تفاعَل ، استفعل)

القسم الرابع : ينقسم الفعل إلى **جامد ومتصرف** ، ويتبع ذلك بفصل يبين فيه تصريف الأفعال بعضها من بعض

القسم الخامس : ينقسم الفعل إلى متعد ولازم .

القسم السادس : ينقسم الفعل إلى **مبنى للفاعل (للمعلوم) أو مبنى للمفعول (للمجهول)** .

القسم السابع : ينقسم الفعل إلى **مؤكد وغير مؤكد** ، حكم آخر الفعل المؤكد بنون التوكيد .

وله بعد هذا **تتمة** فى حكم الأفعال عند إسنادها للضمائر ونحوها .

الباب الثانى : ويخص **الاسم** وتقسيماته عديدة :

ينقسم إلى **مجرد ومزيد** ، **وجامد ومشتق** ، **والمشتقات** هى (**المصدر** ، مصادر الثلاثى وغير الثلاثى **اسم الفاعل** ، **اسم المفعول** ، **الصفة المشبهة** ، **اسم الفاعل** ، **اسم التفضيل** ، **اسما الزمان والمكان** ، **اسم الآلة**) .

ثم يذكر تقسيم الاسم إلى **مذكر أو مؤنث** ، **وإلى منقوص ومقصور ، وممدود وصحيح** وإلى **مفرد ومثنى وجمع** مبينا كيفية التثنيه وجمع الاسم جمع مذكر سالما وجمعه جمع مؤنث سالما ، وطرق جمع التكسير بما فيه من جموع قلة وجموع كثرة وصيغ وكل منها .

ويتبع ذلك بخاتمة تشتمل على عدة مسائل . فى التعويض وجمع

الجمع وتاء منتهى الجموع ، المركيات الإضافية ، واسم الجمع .

كما يذكر **التصغير ، والنسب** .

وفى الخاتمة يذكر **أحكاما تعم الاسم والفعل** وذلك فيما يتعلق بحروف الزيادة ومواضعها وأدلتها ، ويخصص فصلا لهمزة الوصل ، كما يناقش مسائل الإعلال والإبدال ، إعلال الهمزة ، الإعلال فى حروف العلة . (قلب الألف والواو ياء) ، (وقلب الألف والياء واوا) (وقلب الواو والياء ألفا) ثم فاء الافتعال وتاؤه ، وإبدال الميم من الواو ومن النون ، كما يذكر شيئا عن الإعلال بالنقل والإعلال بالحذف ، والإدغام ، ويركز على إدغام المتقاربين من الحروف ، ثم الإمالة ، مُتبِعا كل ذلك بمسائل التمرين وهى عبارة عن تنبيهات وتطبيقات مفيدة وينتهى كتابه **بخلاصة عن الوقف** .

هذه فقط مجرد رءوس الموضوعات التى ناقشها الشيخ **الحملاوى** فى كتابه **شذا العرف** .

تكمله فى التصريف الأفعال[1]

لمحمد محيى الدين عبد الحميد

(فى آخر تحقيق لشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك)

هذه عبارة عن خلاصة موجزة استدرك فيها محمد محيى الدين عبد الحميد ما أغفله ابن مالك فى الألفبة أو أجمل فيه القول إجمالا فى تصريف الأفعال .

---

(١) انظر هذه الخلاصة فى آخر الجزء الثانى من شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ط ١٤ ربيع الأول ١٣٨٥ هـ يوليه ١٩٦٥ مطبعة السعادة ، الناشر المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة صفحات ٥٩٦ – ٦٦٠ .

وهو يشير هنا الى أن تفصيل القول عن الصرف إنما ذكره فى كتابه الآخر . دروس التصريف الذى كان قد أعده لطلاب كليه اللغة العربية بالأزهر .

جعل الشيخ **محيى الدين** هذه الخلاصة فى **خمسة أبواب** :

عرض فى **الباب الأول** : أوزان المجرد والمزيد ، معانى هذه الأبنية ، مضارع الفعل الثلاثى .

الباب الثانى: الصحيح والمعتل وأقسامهما: السالم، المضعف، المهموز، المثال ، الأجوف مع ذكر الأحكام ومضارع هذه الصيغ ، الناقص ومضارعه ، اللفيف المفروق واللفيف المقرون وأحكام كل منهما .

الباب الثالث : فى اشتقاق صيغتى المضارع والأمر .

الباب الرابع : فى تصريف الفعل بأنواعه الثلاثة (ماض ، مضارع ، أمر) مع الضمائر .

الباب الخامس : تقسيم الفعل إلى : مؤكد وغير مؤكد .

ما يلفت النظر فى هذه الخلاصة أن المؤلف لم يذكر الخلافات إلا فى القليل النادر ، وقد علل للمسائل فى الهوامش بطريقة قريبة وواضحة .

ملخص قواعد اللغة العربية (١)

لفؤاد نعمة

مرجع كامل لقواعد النحو والصرف ، ويعنينا هنا القسم الذى خصصه لقواعد الصرف.يأتى هذا القسم فى خمسة أبواب على النحو التالى :

وللتعريف بهذا الكتاب أورد هنا رءوس الموضوعات التى تناولها ومنها يتبين

---

(١) اعتمدت هنا على الطبعة الثامنة د . ت . أما الكتاب فى طبعته الأولى فقد صدر سنة ١٩٧٣ مطبعة نهضة مصر ، الناشر المكتب العلمى للتأليف والترجمة القاهرة .

مدى المنهجية التى أخذ المؤلف بها نفسه[1] .

الباب الأول : فى الميزان الصرفى .

وهو يبين بادئ ذى بدء أن قواعد الصرف تختص ببنية الكلمة العربية وما يطرأ عليها من زيادة أو نقص مشيرا إلى أنه لما كانت معظم الكلمات العربية ثلاثية الحروف فقد اعتبر علماء الصرف أن أصول الكلمات ثلاثة أحرف ، ووضعوا نظاما لضبط بنية الكلمة وقابلوها عند وزنها بالفاء والعين واللام (فعل) .

ومن هنا تكون كلمة شكر على وزن فعل ، وشرب على وزن فعِل ، وكرم على وزن فعُل .

وإذا كانت الكلمة رباعية أو خماسية قوبل الحرف الرابع أو الخامس بتكرار اللام مثل دحرج على وزن فعلل وزمرد على وزن فعلل .

وإذا كانت الزيادة ناشئة عن تكرار حرف من أصول الكلمة كرر ما يقابله فى الميزان مثل علّم على وزن فعّل .

وإذا كانت الكلمة مزيدة بحرف أو أكثر من حروف الزيادة وهى الحروف التى تجمعها كلمة سألتمونيها قوبلت الحروف الأصلية بالفاء والعين اللام ، وزيدت فى الميزان الحروف الزائدة كما هى بحركاتها .

وعلى ذلك تكون كلمة أحسن على وزن أفعل وكلمة شارك على وزن فاعل وكلمة (استنكر) على وزن استفعل وكلمة كاتِب على وزن فاعِل وكلمة محروم على وزن مفعول وكلمة انتخاب على وزن افتعال .

---

(١) فؤاد نعمة ، ملخص قواعد : قسم الصرف ص ٦ .

وإذا حذف حرف من الكلمة الموزونة حذف ما يقابله فى الميزان ، وعلى هذا تكون كلمة خذ على وزن عل وفعل الأمر ف (من وفى) على وزن ع[1] .

الباب الثانى ويبحث فى **الاسم** من حيث قواعد الصرف فيقسمه إلى عدة أقسام[2] :

بالنسبة إلى **البنية** ينقسم الاسم إلى صحيح ، وغير صحيح الآخر والنوع الثانى هو : المقصور مثل الفتى ، والمنقوص مثل المحامى ، والممدود مثل ابتداء وخضراء وشعراء وعظماء .

ما عدا هذا فمن النوع الأول وهو الصحيح مثل رجل وحجرة .

بالنسبة إلى **تعيينه** ينقسم الاسم إلى نكرة مثل إنسان ، أسد ، ومعرفة وهى أنواع :

الضمير : مثل أنا ، ونحن ... إلى آخره .

العلم : اسم وضع لتعيين شخص أو مكان أو شيء مثل محمد ، لبنان ، النيل

والعلم ثلاثة أنواع : كنية مثل أبو بكر ، أم كلثوم

لقب مثل : المأمون الجاحظ

اسم ، ما ليس لقبا ولا كنية .

اسم الإشارة : هذا ، هذه .... إلى آخره .

الاسم الموصول : الذى ، التى .... إلى آخره

المعرف بأل : الرجل ، الحديقة .

المضاف إلى معرفة : كتاب التاريخ .

وبالنسبة إلى **نوعه** ، ينقسم الاسم إلى **مذكر** مثل أب ، رجل ، تلميذ ، **مؤنث** مثل أم ، أخت ، امرأة ، تلميذة .

---

١) فؤاد نعمة ، ملخص قواعد : قسم الصرف ص ٦ .

(٢) السابق ، صفحات ٧ - ٦١ .

الاسم بالنظر إلى **عدده ينقسم إلى مفرد** مثل طالب ، **مثنى** مثل : ولدان ، (ولدين) ، **جمع** وينقسم إلى **جمع مذكر** مثل المعلمون (والمعلمين)، **جمع مؤنث** مثل الطالبات ، **جمع تكسير** مثل أولاد ، كتب .

الاسم بالنظر إلى **تركيبه** ينقسم إلى **جامد مشتق** .

الجامد : اسم ذات (أو اسم جنس مثل : رجل ، غصن ، أو اسم معنى (مصدر) مثل عدل ، أما **المشتق** فمثل نائم ، صبور ، مسموع ، أسمر ، أكبر ، موعد ، ملعب ، مبرد .

بعد ذلك يأتى تقسيم الاسم بالنظر إلى **تصغيره** ، ثم بالنظر إلى النسبة إليه .

الباب الثالث : عن **الفعل** وهو أيضا أقسام :[1]

بالنسبة إلى بنيته : صحيح وهو مهموز مثل أخذ وسأل وقرأ ومضعف مثل شدّ ، سالم مثل فتح ، كتب .

والمعتل ينقسم إلى مثال ، مثل وجد ، يئس ، أجوف فى مثل قال ، باع ، وناقص مثل دنا ، رمى ، لقى .

بالنظر إلى **تركيبه** ينقسم الفعل إلى مجرد ومزيد .

وبالنظر إلى زمن وقوعه ينقسم إلى ماض ومضارع وأمر (هنا نقطة هامة جدا وهى إسناد الفعل إلى الضمائر المختلفة) .

وبالنظر إلى **معموله** ينقسم الفعل إلى لازم مثل قام ، ومتعد مثل فهم .

وبالنظر إلى **ذكر فاعله** ينقسم إلى مبنى للمعلوم مثل قرأ ، ومبني للمجهول مثل قرئ .

وبالنظر إلى **تصريفه** ينقسم إلى جامد مثل ليس ونعم وعدا ، ومتصرف مثل قام ، كتب .

---

(١) فؤاد نعمة ، ملخص قواعد ، صفحات ٦٢ - ٨٤ بتصرف .

ويأتى الباب الرابع ليتحدث عن الهمزة ، الإعلال والإبدال ، الكشف فى المعاجم ، علامات الترقيم .

أما الباب الخامس فتطبيقات عامة لقواعد الصرف مع إعطاء أمثلة وثبت عام بصور جموع التكسير مرتب ترتيبا أبجديا .

هذا بالإضافة إلى قائمة بالأفعال الثلاثية مع ضبط مضارعها بالشكل وصوغ مصادرها مع بعض مشتقاتها[1] هذا بالإضافة إلى ستة جداول مفيدة تلخص كل ما سبق .

والكتاب بهذا كله من أكثر الكتب إفادة للطلاب الذين يدرسون اللغة العربية .

ومنهجه كما نرى منهج مترابط ومنظم إلى حد بعيد ، ولقد اقتصرنا فقط على رءوس الموضوعات ، أما صلب الكتاب نفسه فلا يستغنى عنه دارس للغة العربية سواء فى مسائل النحو أو مسائل الصرف بوجه عام ، ذلك لأن مؤلفه قد توخى فيه السهولة والوضوح إلى جانب ترتيب الأبواب ترتيبا منهجيا وموضوعيا مفيدا[2] .

---

(١) البابان الرابع والخامس صفحات ٨٥ - ٢١٤ .

(٢) أقوم بتدريس هذا الكتاب لطلاب أمريكيين ومصريين وعرب ، وهم يجمعون على استفادتهم منه لأنه يغنيهم عن مشاورة المدرس .

الصرف على المستوى الأدبى

حيث كانت القواعد الصرفية تشكّل بعدا أساسيا فى نظرية الاكتمال اللغوى ، فقد حرص العلماء على المحافظة على أنماط هذه القواعد فى شتى المجالات التى تستخدم فيها اللغة العربية ، وفى مجال نقد الشعر نموذج على هذه الظاهرة ، وذلك إذ راح البلاغيون والنحويون والنقاد يؤاخذون بعض الشعراء على عدة انحرافات صرفية ما كان لهم أن يرتكبوها .

المعيار فى كل هذا هو أن الصيغ الصرفية الصحيحة قد درسها العلماء وقننوها وصنفوها وأشاروا إليها ، ومن هنا فإن أى تشويه كان يحدث لصيغة ما ، لم يكن من المستطاع قبوله على المستوى اللغوى ، وبالتالى فإن ذلك كان يهوِّن كثيرا من قيمته الأدبية .

نورد فيما يلى بعض الملاحظات محاولين فى كل مرة أن نعزو الأقوال إلى أصحابها ، وذلك كى يلحظ القارىء مدى التطور الذى حدث فى هذا المجال .

علَّق المبرد على بيت للفرزدق يقول فيه :

على حلفة لا أشتم الدهر مسلما   ولا خارجا من فىَّ زور كلام[1] .

يقول المبرده :

إن الشاعر هنا قد استخدم اسم الفاعل « خارج » وكان الأجدر والأوفق أن يستخدم المصدر « خروج » ولكن ملاحظة المبرد لم تكن متشددة بل إنه أجاز ذلك .

وعكس هذه الحالة صحيح ، وذلك أن يقع المصدر بدلا من اسم الفاعل ، كما جاء فى القرآن الكريم « إن أصبح ماؤكم غورا »[2] .

---

(١)ديون الفرزدق حـ ٢ ص ٢١٢ .

(٢) المبرد ، الكامل حـ ١ ص ١٢٠ ، ١٢١ ، والآية رقم ٣٠ فى سورة الملك .

الشاعر أو عينية استخدم سَلّ (جذب) دون تشديد الحرف الأخير ، وقد عيب بسبب ذلك ، لأنه بهذا التصرف قد جارى عامة البصرة فيما يفعلون فى نطق هذا الاسم [1] وهذه الإشارة ترينا إلى أى مدى ظل العلماء حريصين على مستوى « الفصيح » فى مواجهة أى مستوى لغوى آخر .

اعترض المبرد أيضا على استخدام « طيال » مكان « طوال » فى الشطرة :

وإن أعزاء الرجال طيالها ....

وقد أشار الى أن استبدال الياء هنا غير جائز ، لأن الواو تصبح ياء إذا وقعت بين كسرة وألف كما فى ثياب ، حياض ، سياط (جمع ثوب ، حوض ، سوط) وبالرغم من أن « طيال » تشبه هذه الكلمات إلا أنها تختلف عنها فى مفردها ، وإذ أن « طويل » واوه مشكولة بالكسر وهى غير الواو الساكنة فى الكلمات الأخرى[2] .

وقد عالج قدامة بن جعفر مثل هذه المسائل الصرفية بإيجاز شديد ، ولكن له إشارة لا يمكن إغفالها هنا وهى أن الأسماء والأفعال يجب أن تتمشى مع الصيغ التى وضعها العرب لها ، وإن أيه محاولة للإضافة إليها أو النقص فيها تعدّ محاولة مرفوضة[3] .

وسبب إحجام قدامة عن المعالجة التفصيلية لمسائل الصرف ربما مرده – كما يشير هو نفسه – إلى خشيته من أنه لو عالجه تفصيلا فلربما ضل طريقه لغايته فى نقد الشعر ولكنه مع ذلك يعترف بأهمية الموضوع[4] .

ومثل قدامة ، فعل العسكرى وذلك حين راح يعالج مسائل الصرف بإيجاز ، ولكنه أورد عددا من الأخطاء الصرفية التى وقع فيها الشعراء ، وحاول تفسيرها على أنها ضرورات شعرية .

---

(١) المبرد : الكامل حـ ٢ ص ٣٨ .
(٢) السابق حـ ١ ، ص ٩١ .
(٣) قدامة بن جعفر ، نقد الشعر ص ١٢٠ .
(٤) السابق ص ٩٥ .

وربما فتحت هذه الإشارة الباب أمام ابن شيق الذى أورد قائمة مهمة بالضرورات الشعرية ، مشيرا إلى أن على الشاعر المولد ألا يتعدى حدود هذه الضرورات كما أرساها القدماء[1] .

وقد لاحظت أن الألوس فى كتابه الضرائر اخذ كل ما قاله ابن رشيق دون أن يشير إليه[2] .

هذا وقد أرجع الدكتور ابراهيم أنيس الضرورات بنوعيها – المقبول وغير المقبول . إلى عدد من الأسباب نجملها فى :

الخطأ فى الرواية ، الاختلاف بين اللهجات ، أو متطلبات العروض[3] .

على أيه حال ، فقد شغلت المسائل الصرفية علماء القرنين : الرابع والخامس الهجريين ، فراحوا يحاجون الشعراء على عدة تجاوزات صرفية ، أساسها الانحراف عن الصيغة الأصلية إما عن طريق إضافة . حروف أو أصوات لها ، أو عن طريق الحذف أو الإنقاص منها .

أحيانا كان النافد يتجاوز قليلا فى مسألة إضافة أصوات إلى الصيغة الصرفية ، وهذا ابن جنى يجيز لأبى ذَرَّة (أحد الشعراء الهذليين) قوله : « هوَّة » بدلا من « هو »[4] .

ومع هذا فإن الخط العام لم يكن ليبيح هذا ، فإذا استخدم البحترى كلمة بازى بتشديد الياء نجد النقاد يوجهون له اللوم بسبب ذلك .

[5] .

---

(١) ابن رشيق ، العمدة حـ ٢ ص ٢٦٩ – ٢٧٩

(٢) قارن الصفحات المذكورة هنا لابن رشيق بصفحات ٣٢٦ – ٣٣٣ من كتاب الألوسى ، لمزيد من التفصيلات عن الضرورة الشعرية بوجه عام ومدى ارتباط ذلك بقواعد النحو . انظر كتاب الدكتور محمد حماسة : الضرورة الشعرية .

(٣) انظر كتابه : موسيقى الشعر ص ٣٢٠ ، ٣٢١ .

(٤) ابن جنى ، التمام فى تفسيرة أشعار هذيل ص ٣١ .

(٥) الحاتمى ، الرسالة ص ٥٦ ، المعرى : عبث الوليد ص ٤٢ .

وبالمثل حين شدَّد المتنبى النون فى كلمة لدنّ ، ثار عليه النقاد أيضا[1] .

وزيادة الشدة على حرف ما ، فى الكلمة لم يكن بأهون من زيادة ألف على أصلها ، ولهذا فقد استرعى نظر النقاد قول المتنبى قلباه فى قوله :

واحر قلباه ممن قلبه شبم[2] .

وفى المقابل ، كان الحذف معيبا ، ولذلك عيب على المتنبى استخدام كلمة غاش بدون تشديد[3] .

كذلك عيب على المتنبى جعل همزة القطع همزة وصل فى أشهب[4] .

وإلى جانب الزيادة والحذف ، كانت ثمة عدة أخطاء صرفية تمس بعض الصيغ مثل صيغ الجمع والمذكر والمؤنث والمصدر .

فمن صيغ الجموع المعيبة ، تعبير أبى تمام بكلمة أدراس جمعا لدارس ، وهذا بالطبع لم يعجب الآمدى بحال[5] .

كذلك حين أورد المتنبى أخاء جمعا لأخ ، عابه كل من الصاحبى والثعالبى[6] . كذلك عابه القاضى الجرجانى على استخدامه بوقات جمعا لبوق[7] . وبالمثل عاب المعرى على البحترى صيغة أواخ جمعا لأُخَيَّة (بنت أو ابنة)[8] .

---

(١) القاضى الجرجانى ، الوساطة حـ ٢ ص ٣٤١ ، الثعالبى ، أبو الطيب ص ٤٨ .
(٢) العاصى الجرجانى ، الوساطة حـ ٢ ص ٣٥٢ .
(٣) الصاحب ، الكشف ص ٥١ .
(٤) الحاتمى ، الرسالة ص ٥٧ .
(٥) الآمدى ، الموازنة حـ ١ ص ٤٠٦ .
(٦) الصاحب ، الكشف ص ٥٤ ، الثعالبى ، أبو الطيب ص ٥١ .
(٧) القاضى الجرجانى ، الوساطة حـ ٢ ص ٣٣٥ .
(٨) المعرى ، عبث ص ٢٨

وفى صيغتى المذكر والمؤنث ، عيب على البحترى استخدام كلمة سُرى (السير ليلا) على أنها مذكرة رغم أنها مؤنثة[1] .

كذلك عيب على المتنبى استخدامه صيغة ملولة بتاء تأنيث ، وكان حقها أن تكون « ملول »[2] .

وبالإضافة إلى ذلك ، كانت صيغ المصادر من المسائل التى انصبّت عليها ملاحظات النقاد تجاه الشعراء ، من أجل ذلك فقد عيب على المتنبى استخدامه « تقيبيس » بدلا من قياس[3] وأيضا استخدامة قنوع بدلا من قناعة[4] .

---

(١) المعرى ، عبث ١٨٥ .
(٢) ابن جنى ، الفتح ١٢٨ .
(٣) الصاحب ، الكشف ٦٩ .
(٤) الجرجانى : الوساطة حـ ٢ ص ٣٥٢ .

البـاب الثـالث

البعـد القـاموسى

الباب الثالث : البعد القاموسى

قال بعض المحققين : معرفة مفردات اللغة نصف العلم لأن كل علم تتوقف إفادته واستفادته عليها .[1]

يقرأ أحدنا اليوم بعض كتب التراث فيلاحظ أحيانا وعورة أو صعوبة فى الأسلوب ، وبالمثل فقد وجد بعض العرب الذين ظهر فيهم هذا التراث صعوبة من نوع ما ، ولم يقتصر الأمر فى ذلك على الرجل العادى أو شبه المثقف ، بل تعداه إلى بعض المتخصصين . والقصة التالية توضح ماأقول :

قال عمر بن خالد العثمانى : قدمت علينا عجوز من بنى منقر تسمى أم الهيثم ، فغابت عنا ، فسأل عنها أبو عبيدة فقالوا : إنها عليلة فقال : هل لكم أن نعودها فجئنا ، فاستأذنا ، فقالت : لجوا ، فسلمنا عليها فإذا هى عليها أهدام وبُجُد ، وقد طرحتها عليها ، فقلنا : ياأم الهيثم كيف تجدينك ؟ قالت : كنت وحمى بالدّكة (الودك) فشهدت مأدبة ، فأكلت جبجبة من صفيف هلعة ، فاعترتنى زُلخة ، فقلنا : ياأم الهيثم : أى شىء تقولين ؟ ! فقالت : أو للناس كلامان ؟ ! والله ماكلمتكم إلا بالعربى الفصيح[2] .

استغراب عالمين لغويين كعمر بن خالد ، وأبى عبيدة مما قالته أم الهيثم يعطينا فكرة عن أن اللغة العربية الفصحى كانت لها مستويات فى ذلك الزمن البعيد . وهذا الأسلوب الذى معنا نموذج على لغة صعبت مفرداتها حتى على المتخصصين .

لانريد أن نستقصى المسألة أكثر فنشير إلى الوجه الآخر الذى نبه إليه حمزة

---

(١) الفيروزابادى : القاموس المحيط حـ١ ص ٢

(٢) القالى : الأمالى حـ٣ ص ٦٩ ، السيوطى : المزهر حـ٢ ص ٥٤٠ طبعة الحلبى ، أيضا : الشلقانى : الأعراب الرواة ص ١٠٦

الأصفهانى ت ٤٦٠هـ حين أورد عددا من تصحيفات علماء اللغة بلغ عددهم ستة وعشرين عالما منهم : أبو عبيدة ، الأصمعى ، أبو زيد ، أبو عمرو بن العلاء ، عيسى بن عمر ، الخليل بن أحمد ، سيبويه ، الأخفش[١] .

ومن هنا لانعجب إذ نرى نفرا يتوفر على هذه اللغة الصعبة ، يجمعها ويصنفها ويشرح معانيها ، وهذه هى التى عرفت بـ « الغريب » .

فى ضوء هذه المقولة يستطيع الباحث أن يتلمس الأسباب لبدايات التأليف المعجمى عند العرب .

وقد نستطرد فنشير إلى أن القرآن الكريم اشتمل أيضا على عدد من الكلمات الغريبة التى نبه الرسول ﷺ إلى الاعتناء بها وفهمها . فقد أخرج البيهقى من حديث أبى هريرة مرفوعا : « أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه » ، وأخرج مثله عن عمر ، وابن عمر ، وابن مسعود موقوفا

والمراد بإعرابه : معرفة معانى ألفاظه ، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة[٢] .

وقد ورد أن الشيخين أبا بكر ، وعمر رضى الله عنهما قد وقفا أمام تفسير كلمة « الأب » فى قوله تعالى : « وفاكهة وأبا » (سورة عبس آية ٣١)[٣] .

وابن عباس رضى الله عنه يصرح بأنه لم يكن يدرى المراد من كلمة فاطر (أول سورة فاطر) ، وأيضا « وحنانا من لدنا » (سورة مريم ١٣) .

وفى رواية أن ابن عباس (ض) قال : كل القرآن أعلمه إلا أربعا :

---

(١) حمزة الأصفهانى : التنبيه على حدوث التصحيف

(٢) السيوطى : الإتقان حـ٢ ع ٧ ص ٣

(٣) الأب : المرعى ، انظر ص ٩ حـ١ من القاموس المحيط للفيروزابادى

« غسلين » (الحاقة ٣٦) ، « حنانا » (مريم ١٣) ، « أوّاه » (التوبة ١١٤) ، « الرقيم » (الكهف ١٦)[١] .

من أجل هذا ألفت كتب فى غريب القرآن ، ومع الأسف ضاع معظمها ولم يبق منها إلا كتاب الغريب المصنف لابن سلام ت ٢٢٤هـ وكتاب ابن قتيبة فى غريب القرآن وإن كان خليطا من منهجْى كتب اللغة وكتب التفسير[٢] .

كذلك فقد ألف أبو عبيد أحمد بن محمد الهروى ت ٤٠١هـ كتابًا فى الغريبين : غريب القرآن وغريب الحديث قام بتحقيقه ونشره الدكتور محمود الطناحى سنة ١٩٧٢ .

قد نتساءل ونحن نعرض البعد القاموسى عن الدافع أو الدوافع التى تحكمت فى مسار التأليف القاموسى . وخير إجابة لذلك هو واقع الجمهور نفسه .

جمهور **القواميس اللغوية** متعدد الخلفيات ، وبالتالى فهو متعدد الأهداف .

فهناك **القراء** بوجه عام ، وهؤلاء قد تصادفهم كلمة لايعرفون معناها ومن هنا تكون حاجتهم لنوعية معينة من القواميس يستفتونها ليحصلوا على بغيتهم .

وهناك **الأدباء** والمنشئون والمترجمون تسبق المعانى إلى أذهانهم وقد لايسعفهم محصولهم اللغوى أحيانا بالكلمة الدقيقة التى تعبر عن المعنى الذى يدور فى أذهانهم .

وهناك **الكُتاب** وهم يعرفون الكلمة أو اللفظة وما تدل عليه وهى مفردة ، ولكنهم أحيانا قد يجانبهم الصواب فى وضعها فى سياق معين ، ومن هنا فحاجتهم تختلف عن حاجة غيرهم .

---

(١) السيوطى : الإتقان حـ٢ ع ٧ ص ٤

(٢) د/ حسين نصار : المعجم العربى حـ١ ص ٣٩

وهناك من يخطىء فى استخدام اللغة ربما لعدم دراية ، أو لأن المسألة اللغوية المطروحة موهمة فى حد ذاتها .

كل هذه الفئات قصدت بالتأليف المعجمى أو القاموسى بمفهومه الشامل . وعلى أساس احتياجات كل فئة جاء التأليف القاموسى عند العرب ليفى بكل هذه الاحتياجات ، ولهذا نرى **المعاجم المتخصصة** أو معاجم الموضوع الواحد ، وأيضا **معاجم الألفاظ** .

ونرى أيضا **معاجم المعانى** ، إلى جانب الكتب التعليمية ، وكتب اللحن للعامة والخاصة على حد سواء .

ومن كل هذا تشكل تراث معجمىّ أو قاموسىّ عربىّ شامل يظل مفخرة العرب على الدوام .

وفيما يلى سوف نعرض للتأليف المعجمى عند العرب فى ثلاثة أقسام رئيسية .

القسم الأول ويتناول **معاجم الموضوع الواحد** ولنسمها المعاجم المتخصصة .

القسم الثانى يشمل معاجم الألفاظ

أما القسم الثالث والأخير فيتناول معاجم المعانى

قبل عرض هذه الأقسام ، يجدر بنا أن نميز بين مصطلحين يترددان فى هذا المجال وهما : معجم ، وقاموس .

كلمة « **معجم** » وردت لأول مرة عند أبى القاسم عبد الله بن محمد البغوى المعروف بابن بنت منيع ، مؤلف المعجمين : الكبير والصغير ، وقد ولد عام ٢١٤هـ ، ثم أطلقت الكلمة فى القرن الرابع على كثير من الكتب ألّفها النقاش الموصلى ت ٣٥١هـ ، وابن مرزوق بغدادى ت ٣٥١هـ ، والطبرانى ت

٣٦٠هـ ، والإسماعيلى ت ٣٧١هـ ، وابن شاهين ت ٣٨٥هـ ، وابن لال ت ٣٩٨هـ

أما كلمة « **قاموس** » فقد أتت من تسمية الفيروزابادى : القاموس المحيط ومعناه : البحر المحيط أى الواسع الشامل ، ثم أطلق على جميع المعاجم اللغوية المتقدمة والمتأخرة[1] .

---

(١) د/ حسين نصار : المعجم العربى ص ١٣ ، ١٤ ، وأيضا د/ إبراهيم محمد نجا : المعاجم اللغوية ط ٣ صفحات ٥ - ١٠

ا – معاجم الموضوع الواحد
أو
المعاجم المتخصصة

اضطلع بهذا النوع من التأليف جماعة من اللغويين عاشوا فى القرن الثانى الهجرى – أى أنهم عاصروا **الخليل بن أحمد**، أول مؤلف لقاموس عربى – وتوفوا قبل نهاية الربع الأول من القرن الثالث الهجرى، وهؤلاء هم:

أبو عبيدة معمر بن المثنى ت ٢١٠هـ، **أبو زيد الأنصارى** ت ٢١٥هـ، **الأصمعى** ت ٢١٦هـ، **أبو عبيد القاسم بن سلام** ت ٢٢٤هـ.

وقد جمعوا أسماء أو صفات إنسان أو حيوان أو حشرة أو نبات أو بئر أو مطر أو سلاح أو درع، محاولين توضيح معانى المفردات الخاصة بكل مجال على حدة، أو نقول بدقة أكثر: إنهم اقتصروا فقط على المفردات الصعبة أو (**الغريب**) وذلك بالشرح والتفسير.

فأبو عبيدة يكتب عن **الخيل**، **وأبو زيد** يكتب عن **المطر**، **والأصمعى**، يكتب عن **خلق الإنسان**، **والخيل**، **والشاء**، **والنبات**، **والشجر**، **والنخل**، **والكرم**، **والوحوش**.

وأبو عبيد يكتب عن **النعم والبهائم**، **والوحش**، **والسباع**، **والطير**، **والهوام**، **وحشرات الأرض**.

يقال إن أول من ألف فى كتب الحيوان هو **أبو خيرة الأعرابى** أخذ عنه **أبو عمرو بن العلاء**، ثم **أبو عمرو الشيبانى** ت ٢٠٦هـ وقد كتب عن **النحل والعسل**، كما كتب **أبو عبيد** عن **الحيات والعقارب**.

وفى **الخيل** خاصة كتب **أبو مالك عمرو بن كركرة**، ثم **النضر بن شميل**

ت ٢٠٤هـ ، ثم **هشام الكلبى ٢٠٤/ ٢٠٦هـ ، وأيضا الأصمعى وابن الأعرابى**[١] .

ظل اهتمام الدارسين بهذه الكتب قاصرا أو غير متوائم مع قيمة مضامينها ، ذلك لأن الإشارة إلى هذه الكتب غالبا ماتجىء فى معرض التمهيد للحديث عن التأليف المعجمى الشامل .

وقد وجه المستشرقون اهتمامهم إلى هذا التراث ، وعملوا على تحقيقه ونشره منذ بداية القرن العشرين .

فقد نشر أوجست هفنر Haffner (ضمن كتاب : الكنز اللغوى فى اللسن العربى ، صدر فى بيروت ١٩٠٣ ، وفى ليبزج ١٩٠٥) كتاب خلق الإنسان للأصمعى ، كما نشر له أيضا كتاب الشاء ، وكذلك نشر الإبل فى ليبزج سنة ١٩٠٥ ، وفى سنة ١٩٠٨ نشر له أيضا كتاب النبات والشجر .

وبالمثل ، نشر فريتس كرتكوى كتاب الخيل لأبى عبيدة معمر بن المثنى ، ونشر وليام رايت كتاب : صفة السرج واللجام لابن دريد .

لاأعنى بذلك أن الأمر اقتصر على المستشرقين وحدهم ، ولكنهم على أية حال كانوا الطليعة فى هذا المضمار ، وبعدهم بنحو نصف قرن تقريبا بدأ الباحثون العرب يدلون بدلوهم أيضا ، فنشر الدكتور عزه حسن فى دمشق كتاب النوادر لأبى عبد الله الأعرابى ، وذلك سنة ١٩٦١ ، وتلاه الدكتور إبراهيم السامرائى الذى نشر كتاب خلق الإنسان للزجاج فى بغداد سنة ١٩٦٣ .

وفى سنة ١٩٧٠ نشر الدكتور رمضان عبد التواب كتاب البئر لابن زياد

---

(١)د/ حسين نصار : المعجم العربى ص ١١٦ ومابعدها ، ص ٣٢٢ ومابعدها .

الأعرابى وتلاه الدكتور عبد الله يوسف الغنيم الذى حقق كتاب النبات للأصمعى ونشره سنة ١٩٧٢ .

وتتويجا لكل هذه الجهود ، قامت باحثة عربية - تحت إشراف الأستاذ الدكتور حسين نصار - بإعداد رسالة للدكتوراه عن : « التأليف فى خلق الإنسان من خلال معاجم المعانى » ونشرتها فى دمشق . د - ت .

الغريب هنا هو أن النظرة إلى مثل هذه الكتب لم توفها حقها ، لأن الباحثين قد مروا عليها مرورا عابرا حيث كان مايشغلهم أكثر هو المعجم العربى الكامل ، وبالمعنى الشامل لكلمة معجم ، لهذا فإنهم دائما يركزون على الخليل ابن أحمد ومعجمه « العين » .

إن اهتمام الدارسين بمعجم « العين » شغلهم عن مؤلفات كانت متزامنة مع « العين » وكان مؤلفوها معاصرين للخليل . وهذه المؤلفات لايمكن اعتبارها بأى حال مجزد « معبر » للتأليف المعجمى بمعناه الشامل ، ذلك لأنها لو كانت هكذا فلماذا استمرت حتى بعد ظهور عدد من القواميس الشاملة ؟ !

فالزجاج ت ٣١١هـ يكتب عن خلق الإنسان ، **وابن دريد** ٣٢١هـ يكتب عن السرج واللجام ، والمطر والسحاب ، **وابن خالويه** ت ٣٧٠هـ يكتب كتابا عن الشجر ، وغيرهم كثيرون ممن ألفوا فى نفس الموضوع مثل : **ابن فارس** ت ٣٩٥هـ ، **الزجاجى** ت ٤١٥هـ ، **والإسكافى** ت ٤٢١هـ ، وعبد الله بن سعيد **الخوافى** ت ٤٨٠هـ . بل إننا نجد من المتأخرين : **الصاغانى** ت ٦٥٠هـ ، شرف الدين على **بن يوسف بن حيدرة** الطبيب ت ٦٦٧هـ ، والجلال **السيوطى** ت ٩١١هـ وغيرهم[1] .

---

(١) د/ وجيهة السطل : التأليف فى خلق الإنسان ص ٢٥ ، د/ أحمد مختار : البحث اللغوى عند العرب ص ٢٠٤

ومن هنا تنتابنا حيرة فى اعتبار ماكتب فى القرن الثانى وأوائل الثالث الهجريين حلقة عابرة نجتاز منها إلى القواميس الشاملة ، خاصة وأن التأليف فى فرع خلق الإنسان على سبيل المثال قد امتد حتى القرن العاشر الهجرى .

لاشك أن اللغويين العرب فى العصور الوسطى كانوا يجدون أهمية وأهدافا لهذا التأليف المعجمى المتخصص جدا ، ربما لاتغنى عنه القواميس الشاملة ، ومن أجل ذلك فقد ظلت له ضرورته – تماما كالقواميس الشاملة – على مدى العصور ، ولهذا فسوف نعتبره فرعا من فروع التأليف المعجمى يضاف إلى معاجم الألفاظ ومعاجم المعانى ، وهو وإن كانت له قرابة بهذا النوع الأخير ، فإنه ومايزال متميزا عنها ، مما يستوجب عرضه على حدة .

وينبغى هنا ألا نغفل عما عرف بكتب الصفات التى كتب فيها كل من النضر بن شميل ت ٢٠٤هـ ، وقطرب ت ٢٠٦هـ ، والفراء ت ٢٠٧هـ ، والأصمعى ت ٢١٦هـ ، والديمرتى ت ٣٥٥هـ(١)

ونظرًا لأهمية المعاجم المتخصصة فقد رأيت أن أعطى نماذج لها فى مجال خلق الإنسان . وسيشمل عرض هذا :

كتاب خلق الإنسان للأصمعى ت ٢١٦هـ

كتاب خلق الإنسان لثابت بن أبى ثابت ت ٢٧٦هـ

خلق الإنسان للزجاج ت ٣١٠هـ

مقالة فى أسماء أعضاء الإنسان لأحمد بن فارس ت ٣٩٥هـ

كتاب خلق الإنسان للإسكافى ت ٤٢١هـ (مخطوط)

---

(١) ابن النديم : الفهرست صفحات ٥٢ ، ٨١ ، ٨٦ ، وأيضا د/ وجيهة السطل : التأليف فى خلق الإنسان صفحات ١٢١ – ١٢٣

كتاب الأصمعى هو أول كتاب وصلنا متكاملا فى هذا الغرض وهو يشمل الحمل والولادة ، أعمار الإنسان ، أسماء جماعة الخلق ، جسم الإنسان وتسمية كل الأعضاء : الرأس ، العنق ، الكتف ، الظهر ، القلب ، الصدر ، البطن ، اليد ، الرجل ، أعضاء التناسل عند الرجل والمرأة ، أوصافا عامة عن كل منهما[1] .

يلاحظ على هذا الكتاب أن المؤلف قد عنى عناية فائقة بالوصف التشريحى لجسم الإنسان من الخارج ومن الداخل على حد سواء . وكذلك فقد أشار إلى وظائف هذه الأعضاء وأدق خصائصها بل وعيوبها وأمراضها وطرق مداواتها .

وقد أورد الأصمعى الكلمات الخاصة بكل عضو دون ترتيب فى ذكر كل معنى على حدة ، كذلك فإنه قد يكرر أحيانا عن طريق ذكر شيء ثم الاستطراد إلى شيء آخر ثم العودة إلى ماذكره أولا وهكذا .

الأصمعى أصيل فى بحثه هذا ، يدل على ذلك أنه لم ينقل عن الآخرين ، لأنه جمع كل هذه المفردات وعرف معانيها من الأعراب والبادية ، ولانجد إحالات إلى أسماء اللهم إلا الشعراء والرجاز أو ممن يستشهد بلغتهم[2] .

المهم هنا هو أن كتاب الأصمعى لم يكن فقط رائدا فى بابه ، بل كان أيضا مصدرا مهما استقى منه العلماء الذين ألفوا فى نفس الموضوع . وبعض هؤلاء المؤلفين قد أشاروا إلى إفادتهم من الأصمعى ، وبعضهم نقل عنه دون إشارة إليه . وقد لاحظت الدكتورة وجيهة السطل تشابها كبيرا بين كتابى « الأصمعى » « وثابت بن ثابت » ، ورجحت بأن « ثابت » قد نقل عن « الأصمعى » الكثير دون إشارة إليه أحيانا ، رغم أن « ثابت » قد خطا بهذا

(١) د/ وجيهة السطل : التأليف فى خلق الإنسان ص ٢٧

(٢) السابق ص ٣٦ ، ٣٧

النوع من التأليف خطوات جيدة تمثلت فى التنسيق والتبويب وإغناء البحث من حيث كثرة الشواهد ومناقشتها . والشيء الذى يتفوق به « ثابت » أكثر هو أنه أورد آراء علماء اللغة والصرف والنحو فى الألفاظ التى يوردها ، وهذا عكس مافعله الأصمعى الذى كان يعنيه المعنى أكثر من أى شيء آخر[1] .

ويأتى « الزَّجَّاج » ت ٣١٠هـ فينقل عن الأصمعى وثابت ، ليس فقط فيما يتعلق بالمادة اللغوية وطريقة عرضها ، بل أيضا فى المنهج الذى أخذ به نفسه ، هذا إذا استثنينا حذفه لموضوع الحمل والولادة وأسماء الإنسان فى مختلف مراحل عمره .

أهم ملاحظة هنا هى أن الزَّجَّاج كان له أسلوبه الخاص ، حيث قسّم الكتاب إلى أبواب : باب لكل عضو ومن تحدث عنه ، وباب فى صفات هذا العضو أو ذاك .

وواضح هنا التطور الذى طرأ على التأليف فى خلق الإنسان ، فعلى حين يخلط الأصمعى بين الحديث التشريحى حول الأعضاء وصفاتها ، يخصص « ثابت » أبوابا من كتابه لصفات بعض الأعضاء ، أما « الزَّجّاج » فلأنه متأخر عنهما فقد لجأ إلى تنسيق أفضل حيث تحدث عن كل عضو فى باب ثم عن صفاته فى باب آخر[2] .

أما مقالة « ابن فارس » ت ٣٩٥هـ فى أسماء أعضاء الإنسان ، فهى صغيرة الحجم جدا ، إذ تبلغ عشر ورقات فقط ، ويهمنا أن نشير إلى بدايتها عن سبب تأليفها وأنه كان لغرض عملى : صحى أو طبّى بوجه عام . وابن فارس يقول إنه ألف فيما ينبغى على المرء حفظه من خلق الإنسان ، حتى لايشكو المرء

---

(١) د/ وجيهة السطل : التأليف ص ٦١ ، ٦٢

(٢) السابق ص ٦٤ ، ٧١ ، ٧٢

من وجع يعتريه فى عضو من أعضائه ، ولا يعرف اسمه .

وابن فارس – كسابقيه ممن ألفوا فى الموضوع – يتبع نفس الترتيب بدءا من الرأس ومعرجا على أعضاء التناسل عند الرجل والمرأة ، ثم يذكر أسماء الشخص عامة ، وموجز رحلة العمر البشرية بقوله :

« يكون ابن آدم طفلا رضيعا ، ثم فطيما ، ثم يافعا . . . » وينهى مقالته بقوله : « هذا أوجز مايقال فى خلق الإنسان »[١] .

وقد لاحظت الدكتورة وجيهة أنه أهمل ذكر بعض الصفات ، ربما بسبب الإيجاز الشديد الذى أخذ به نفسه ، مما كان له أيضا أثر كبير فى خلو مقالته تلك من أى شاهد أو استطراد لغوى أو أى اسم لغوى آخر[٢] .

أما كتاب خلق الإنسان للإسكافى ت ٤٢١هـ ، فيبدأ بمرحلة ولادة الولد ، ثم يسميه فى مراحل الطفولة المبكرة ، ويتابع سلسلة أسماء الإنسان مع تدرجه فى السن ونموّه ، ويقف عند مرحلة الشيب وقفة لغوية .

ثم يذكر الإسكافى جملة خلق الإنسان وعرض جسمه عرضا تشريحيا عضويا مفصلا ، بادئا بالرأس وحتى القدمين ، وأخيرا يخصص بابا للحمل والولادة .

ويلاحظ عليه أن عرضه منظم وأسلوبه متماسك يفضى بعضه إلى بعض دون تكلف أو عناء .

ورغم وحدة اللغة والموضوع والمعانى فإن الإسكافى يتميز عن سابقيه بذكر مرادف اللفظ أو الشرح التفصيلى . وهو يورد أسماء العضو المتحدث عنه أولا ، ثم يتبع ذلك بذكر الحديث عنه من الناحية التشريحية ، وصفاته وأحيانا عيوبه .

---

(١) د/ وجيهة : التأليف ص ٧٤ ، ٧٧

(٢) السابق : ص ٧٨

وللإسكافى إشارات لغوية مهمة ، ولكن يلاحظ عليه أنه تحلل من الشواهد ، وأحيانا كان يورد دلالة اللفظ عند اللغويين .

ومن التعريفات الغريبة التى أوردها فى هذا المجال : (البكر : التى لم تتزوج ، والبكر : التى ولدت واحدا .) وربما كان ذلك من المشترك اللفظى الذى تتعدد فيه المعانى لكلمة واحدة ، وذلك بحسب الاستخدام . كذلك فإنه أورد العكس أى تعدد الألفاظ والدلالة واحدة (الترادف) .

برغم تأثر الإسكافى بالسابقين عليه فى هذا المجال ، فإنه لم يرع الروح العلمية و لم يقدرها حق قدرها وذلك إذ غمط السابقين حقهم ، وأخذ منهم دون الإشارة إليهم[١] .

---

(١) د/ وجيهة : التأليف صفحات ٧٩ - ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩٠ - ٩٣ بتصرف

ب - معاجم الألفاظ

تحت هذا القسم نستطيع أن نتميز ثلاثة أنواع ، تبعا لترتيب المادة اللغوية فى المعاجم ، فهناك من رتبها حسب مخارج الحروف أو حسب القافية ، أو الحرف الأصلى الأخير فى الكلمة ، أو الحرف الأصلى الأول ، بالطبع بعد تجريد الكلمة فى كل مرة من الحروف الزائدة .

١ - الترتيب حسب المخارج :

(معاجم : العين/ تهذيب اللغة/ البارع/ مختصر العين/ المحكم)

معجم العين(*)

للخليل بن أحمد ت ١٧٠/ ١٧٥هـ

هدف المؤلف : حصر وضبط جميع المفردات اللغوية فى كتاب خاص ، وقد وجد طريقه إلى هذا فى محاولة تبديل الحروف وتقليب أماكنها(١) فى الكلمة الواحدة ، كأن يسجل الإمكانات النظرية التى تعطيها مادة مثل ع ب د ، عن طريق البدء بكل حرف منها مع الحرفين الآخرين ؛ فيتحصل فى كل مرة صورتان . وحيث إن هذه الكلمة ثلاثية ، ولكل حرف منها صورتان مع الحرفين الآخرين فإن الحاصل يكون ست صور على النسق التالى :

ع ←—— ب ←—— د = عَبَد

عبد عدب بعد بدع دعب دبع

(*) نشر جزءا منه الأب أنستاس الكرملى فى مجلته : لغة العرب ، عدد آب (أغسطس) بغداد ١٩١٤ ، ثم قام الدكتور عبد الله درويش بتحقيق الجزء الأول منه ونشره ، وكان له فضل السبق فى العثور على مخطوطتين كاملتين لكتاب « العين » : إحدهما فى العراق ، والأخرى فى ألمانيا . انظر كتابه : المعاجم العربية صفحة د من المقدمة .

(١) عن التقليبات ، انظر : د/ إبراهيم محمد نجا : المعاجم اللغوية ص ١٠

المشكلة التى صادفت الخليل هنا هى أن هذه الحصيلة بعضها مستعمل ، وبعضها مهمل ، ولكى يسقط المهمل من حسابه فقد اعتمد على خبرته الصوتية واللغوية بقوانين اللغة العربية ، والحدود التى تسمح بها هذه القوانين .

ولكى يرتب الخليل ماجمعه من مادة ، اتبع ترتيبا مخرجيًا أساسه وضع الحروف حسب مخارجها ، بادئا بالحلق وحتى الفم .

كان عليه والحالة هذه أن يبدأ بالألف ، ولكنه وجد أنه يعتريها بعض التغير كالحذف والقلب وماشاكلهما ، ولهذا فقد اعتمد حرف العين بداية لقاموسه حيث وجدها أنصع الحروف .

وجاء ترتيبه على النحو التالى

ع ح هـ غ خ/ ق ك/ ج ش ض/ ص س ز/ ظ د ت/ ظ ذ ث/ ر ل ن/ ف ب م/ و ا ى[1]

للكشف عن الكلمة التى معنا وهى عبد ، نضطر إلى ترتيب حروفها على أساس المخارج من الحلق وحتى الفم ، والقيام بهذا العمل فى حاجة إلى معرفة صوتية بمخارج الحروف . العين حرف حلقى ، والباء شفوى ، والدال حرف أسنانى . ومن هنا فإن الترتيب يجب أن يكون ع د ب تمشيا مع خطة القاموس وترتيبه ، الكلمة إذًا موجودة فى مادة ع د ب ولاننسى هنا أننا سنجد معها أيضا كلمات أخرى نتيجة التقليبات التى يقوم بها الخليل ويعتبرها من المقبول لغويا .

كان الخليل ينتقل من حرف هجائى إلى الحرف الذى يليه فالذى يليه حتى

---

(١) سجل الباحثون ترتيبا يختلف بعض الشىء داخل بعض المجموعات مثل ع/ خ/ هـ/ ح/ غ وأيضا و/ ى/ ا انظر كتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانى حـ١ ص ٣٨ ، د/ أحمد مختار عمر : البحث اللغوى صفحات ١٣٦ - ١٤٧

يكمل الأبجدية ، فإذا بدأ بالعين استقصى وجودها بمعنى أنه أورد كل الكلمات المشتملة على حرف العين وذلك قبل الحرف الحلقى اللاحق وهكذا .

إذا وضعنا فى اعتبارنا فكرة التقليبات بين حروف الكلمة الواحدة ، أمكننا أن نتصور أن الحرف المعروض أولا يستوفى عديدا من الكلمات ، وكلما تقدم المؤلف فى عرض الحروف ، قلّت صور الكلمات المعروضة .

شيء أخير يتعلق بإجراء عرض هذا الكم الهائل من الكلمات ، وهو أن الخليل قد قسم بحثه إلى كتب ، ثم قسم الكتب إلى أبواب تبعا للأبنية ، (الثنائى ، الثلاثى الصحيح ، الثلاثى المعتل ، اللفيف ، الرباعى ، الخماسى ، المعتل .) .

ومن هنا نضيف أن الذى يكشف فى هذا القاموس محتاج – إلى جانب الخبرة الصونية بالحروف ومخارجها – أن يكون على دراية بقواعد الصرف .

برغم مانتصوره من صعوبة هذا المعجم ومن وجوب حشد الطاقات الصوتية والصرفية قبل التجرؤ على استفتائه والكشف فيه – أقول رغم هذا فمن الملاحظ أن طريقة الخليل هذه قد راقت العديدين من مؤلفى القواميس فى المشرق والمغرب على سواء . ومن هنا نجد بعض المؤلفين الذين عاشوا فى القرن الرابع الهجرى وبعضهم عاش فى القرن الخامس الهجرى ينحون منحى الخليل فى تأليف معاجم على نسقه . ويبدو أن الإعجاب بهذا العمل كان كبيرا لدرجة أن معظمهم نقل الكثير من العين ، وهذا لاينفى أنه كانت لهم أيضا شخصياتهم المستقلة .

ومن هؤلاء نذكر :

أبو منصور الأزهرى ت ٣٧٠هـ وله : تهذيب اللغة

أبو على القالى (من المغرب) ت ٣٥٦هـ وله : البارع

الزبيدى ت ٣٧٩هـ وله : **مختصر العين**

ابن سيده (من المغرب) ت ٤٥٨هـ وله : **المحكم**

وسوف نعرض بإيجاز لكل من هذه القواميس على حدة .

تهذيب اللغة(*)

لأبى منصور محمد بن أحمد (الأزهرى)ت ٣٧٠هـ

يقول الأزهرى فى المقدمة :

« وقد سميت كتابى هذا تهذيب اللغة لأنى قصدت بما جمعت فيه نفى ماأدخل فى لغات العرب من الألفاظ التى أزالها الأغبياء عن صيغتها وغيّرها الغُتم عن سننها فهذبت ماجمعت فى كتابى من التصحيف والخطاء بقدر علمى ، و لم أحرص على تطويل الكتاب بالحشو الذى لم أعرف أصله ، والغريب الذى لم يسنده الثقات إلى العرب »

والذى يتصفح هذا المعجم يجد أن الهدف كان مزدوجا ، شق منه لتنقية اللغة(١) من الشوائب التى تسربت إليها ، وهذا واضح غاية الوضوح فى التسمية التى اختارها لمعجمه وأنه « تهذيب » ، وليس مجرد حصر يضم الغث إلى السمين(٢) ، والشق الآخر كان لتوثيق المادة المعجمية التى يوردها ، ولعل ذلك يجىء تعضيدًا لفكرته الرئيسية فى تنقية اللغة . ومن أجل ذلك راح يذكر العديد من الشواهد القرآنية والشعرية وكذلك الأحاديث النبوية التى تعزّز المادة الواردة فى المعجم . بل أكثر من ذلك نجد الأزهرى حين تصادفه بعض القراءات القرآنية يؤيد صحتها بأكثر من دليل ، وكذلك ينبه إليها ، وهذا يجعل للقاموس أكثر من ميزة .

لقد اعتمد الأزهرى على أئمة اللغة من أمثال :

(*) نشر محققا بمراجعة الأستاذ محمد على النجار فى ١٥ جزءا ، وطبع بالقاهرة ١٩٦٤ - ١٩٦٧ . سنشير إلى المحقق بالنسبة لكل جزء نستخدمه هنا حيث كان هناك أكثر من محقق .

(١) د/ حسين نصار : المعجم العربى ص ٣٠٥

(٢) انظر لزيادة تفصيل : د/ أحمد مختار : البحث اللغوى صفحات ١٤٧ - ١٤٩

أبى عمرو بن العلاء ، خلف الأحمر ، المفضل الضبى ، أبى مالك عمرو بن كركرة ، أبى عمرو الشيبانى ، الأصمعى ، الكسائى ، المازنى ، الفراء ، أبى عبيد القاسم ابن سلام ، ابن زياد الأعرابى ، الشيبانى ، أبى عبيدة ، أبى حاتم السجستانى ، ابن السكيت، الزجاج ، ابن الأنبارى ، وهؤلاء جميعا يأتون فى طبقات موثوق بها[١] . ولهذا فقد نضح الأزهرى منهم الكثير . وسيتضح هذا عند عرضنا لنموذج من تهذيب اللغة .

وتهذيب اللغة يتبع طريقة العين من حيث أن كليهما اتبع مخارج الحروف ، يبدأ بأقصاها فى الحلق وأدخلها وهو العين ، ثم ماقرب مخرجه منها ،الأرفع فالأرفع حتى يأتى على آخر الحروف وهو الياء ، وهذا تأليفها :

ع ح هـ خ غ/ ق ك/ ج ش ض/ ص س ز/ ط د ت/ ظ ذ ث/ ر ل ن/ ف ب م/ و ا ى

ويجرى نظام أبوابه على الوجه التالى :

أولا : المضاعف (العين ومايليها : الحاء ، العين مع الهاء . . وهكذا)

ثانيا : أبواب الثلاثى الصحيح (العين مع الحاء ومايثلثهما بترتيب الحروف ، ثم العين مع الهاء ثم مع الحاء والغين وهكذا ، إلى آخر الحروف مع تقليب كل مجموعة ثلاثية ، ومراعاة عدم التكرار فيما يستقبل .

ثالثا : أبواب الثلاثى المعتل

رابعا : أبواب اللفيف

خامسا : الرباعى مرتبا على أبوابه

سادسا : الخماسى بدون أبواب[٢]

---

(١) الأزهرى : تهذيب اللغة ، حـ١ ص ١٨ - ٢٠ من مقدمة الأستاذ عبد السلام هارون وهو الذى حقق الجزء الأول . وانظر أيضا : د/ عبد الله درويش : المعاجم ص ٢٨

(٢) مقدمة تهذيب اللغة (للمحقق) ٢١ ، ٢٢

لو أردنا الكشف مثلا عن مادة **أبد** ، سنجدها فى باب الدال والباء ، بالطبع فى قسم الثلاثى الصحيح . ويوردها الأزهرى على الوجه التالى :

(**أبد**) أبو عبيد عن أبى زيد : أَبَدْتُ بالمكان آبُدُبه أُبُودا : إذا أقمت به ولم تبرحه . وفى حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن بعير شَرَد فرماه رجل بسهم فأصابه فقال : إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش ، فما عليكم منها فاصنعوا به هكذا .

قال أبو عبيد : قال الأصمعى وأبو عمرو :الأوابد التى قد توحشت ونَفَرت من الإنس ، يقال : قد أَبَدَت تأبُد وتأبِد أبودا ، وتأبّدت تأبّدا .

ومنه قيل للدار إذا خلا منها أهلُها خلفتهم الوحشُ بها ، قد تأبّدت . وقال لبيد : بمنى تأبد غولها فرجامها .

ويقال للكلمة الوحشية : آبدة وجمعه الأوابد ، ويقال للطير المقيمة بأرض شتاءَها وصيفها : أوابد .

أبو عبيد عن الفراء ، يقال : عَبِد عليه وأَبِد وأمِد ، وَبِد ، وَمِد : إذا غضب عليه أبدًا ووبدا ومدا و عَبَدا .

وقال الليث : أتان إِبِد فى كل عام تلد .

قال : وليس فى كلام العرب فِعِل إلا إِبِد وإبل . . إلا أن يتكلف متكلف فيبنى على هذه الأحرف مالم يُسمَع عن العرب .

وقال ابن شميل : الأبِد : الأتان تلد كل عام ، قلت أما إبل وإبد فمسموعان .

ثعلب عن ابن الأعرابى : يقال لاأفعله أبدًا الأبيد ، وأبدا الآباد ، ولا آتيه أبدَ الدهر ، ويَدَ المُسْنَد أى لا آتيه طول الدهر .

وقال اللحيانى : لاأفعل ذلك أبد الآبديْن ، وأبد الأبدية أى أبد الدهر ،

ويقال : وقف فلان أرضه وقفا مؤبدا إذا جعلها حبيسا لاتُباع ولاتورَث . وقد أبّد وقفها تأبيدا[1] .

(١) الأزهرى : تهذيب اللغة جـ ١٤ تحقيق الأستاذ يعقوب عبد النبى ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

البارع لأبى على القالى ت ٣٥٦هـ

لم يكن تأثير « العين » للخليل مقتصرا على علماء المشرق وحدهم ، بل تعدى ذلك إلى المغرب العربى أيضا ، ودليل هذا:معجم « البارع » الذى سار فيه مؤلفه على طريقة الخليل ، وإن كان ذلك لم يمنع من ملاحظة بعض الفروق .

التوافق المبدئى بين « العين » و « البارع » أن كليهما يتبع تقريبا الخطة نفسها فى عرض المفردات ومراعاة التقليبات إلى جانب اعتبار الأسس الصوتية والصرفية : الأولى واضحة فى ترتيب الحروف على المخارج ، والثانية فى تقسيم الكلمات حسب كميتها إلى ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية .

هذا عن التوافق[1] ، أما الفروق فبرغم أنها يسيرة ، إلا أننا نجد ضروريا أن ننبه إليها .

مجموعة الحروف الحلقية وهى خمسة حروف عدا الهمزة ، يخالف القالى بين وضعها فى معجمه عن ترتيب الخليل لها ، بالرغم من مجيئها متتالية وتمثل مجموعة واحدة فى المعجمين . الخليل يضعها هكذا ع ح هـ غ خ أما القالى فقد اختار عرضها على النحو التالى هـ ح ع خ غ

وإن كان من ملاحظة هنا ، فقد يكون السبب صعوبة تحديد مخرج كل حرف حلقى لأن الحيز الذى تخرج منه هذه الحروف محدود نسبيا ، وقد كان من الصعب التمييز الدقيق لموضع كل حرف على هذا الحيز المحدود ، خاصة وأن هؤلاء العلماء قد اعتمدوا على وسائلهم المتواضعة لتوضيح مثل هذه الفروق .

---

(١) انظر : د/ عبد الله درويش : المعاجم ص ٣٢

صحيح أنهم نجحوا تماما فى تحديد المخارج ، وإسقاط الحروف فى كل مخرج ولكن أيهما أول على المخرج وأيهما تال : الحاء أم العين ؟ الغين أم الخاء فهذا ماتجد فيه بعض التضارب من معجم لمعجم .

استفادة دراسة الأصوات اللغوية من معطيات التكنولوجيا الحديثة هى التى تمكن الباحث اليوم على إعطاء نتائج دقيقة فى هذا الموضوع .

لانقول ذلك بهدف النيل من القدماء ، ولكننا نود أن يجيء عرضنا لما قدموه فى إطار الحقيقة العلمية والتاريخية على حد سواء .

لايعيب القدماء بعض القصور فى تحديد مواضع الحروف على المخرج الواحد ، لأن نبوغهم مشهود به فى مجالات أوسع وأرحب ، على الأقل فى تحديد المخارج ، ووصف الحروف وما إلى ذلك مما جاء فى معظمه غاية فى الدقة والعمق والإبداع .

استكمالا للمناقشة أعرض فيما يلى ترتيب **القالى** مقترنا بترتيب **الخليل** كى تسهل المقارنة بنظرة يسيرة (سأقتصر فقط على ماورد فيه اختلاف)

أولا : فى ترتيب المجموعات :

الخليل : قدم مجموعة ص س ز على ط د ت ، على حين فعل **القالى** عكس ذلك .

الخليل : أخر مجموعة ر ل ن بعد ظ ذ ث .

القالى : قدّم هذه المجموعة ووضعها بعد الحروف الشجرية ض ج ش ، وقبل مجموعات : ط د ت ، ص ز س ، ظ ذ ث .

ثانيا : فى ترتيب حروف كل مجموعة :

الخليل : اتبع ترتيب : ع ح هـ غ خ/ ج ش ض/ ص س ز/ ر ل ن

القالى : هـ ح ع خ غ/ ض ج ش/ ص ز س/ ل ر ن

وإذا كان ثمة اختلاف بين الترتيبين فى القديم ، فالغريب وجود اختلاف آخر فى العصر الحديث . ذلك لأن الدكتور حسين نصار يضع ترتيب البارع على نحو مخالف بعض الشىء لما أشار إليه الدكتور عبد الله درويش ، حيث أورد الدكتور نصار (هـ ع غ) ولم يورد (ح خ) ، ثم إنه أضاف فى النهاية الهمزة بعد الياء[1] .

القالى كان أديبا (له كتاب الأمالى يدل على ذوقه الأدبى وحسه المرهف فيما أملى واختار) ومن هنا تغلب عليه وهو بصدد عرض المادة المعجمية صفة الأديب أكثر من صفة اللغوى[2] ومظاهر هذا تتضح فى الاستطرادات الكثيرة ، وكذلك فى العرض التفصيلى للمادة وإن كان يؤخذ عليه أنه أحيانا كان يذكر الكلمة مرتين .

---

(١) قارن د/ درويش : المعاجم العربية ص ٣٢ ، د/ نصار : المعجم العربى ص ٢٨٨ على حين لم يشر إلى هذا الاختلاف الدكتور أحمد مختار عمر فى كتابه البحث اللغوى

(٢) د/ درويش : المعاجم ص ٣٤

مختصر العين للزبيدى ت ٣٧٩هـ

الزبيدى أندلسى آخر ، وهو واحد من تلامذة أبى على القالى ولكن كان أكثر تواضعا من أستاذه على الأقل فى تسمية معجمه إذ أسماه مختصر العين ، عكس مافعله القالى حين أطلق على معجمه البارع بما يوحى بأنه كان معتدا بنفسه وبعمله وأنه أراد أن يظهر أهمية معجمه وتفوقه .

ومادام الكتاب مختصرا فقد كان عليه أن يحمل سمات الاختصار فى أكثر من ناحية .

ذلك أن ترتيبه جاء موافقا تماما لترتيب العين

لم يتصرف فى شرح المفردات بالإضافة إليها أو الحذف منها بل جاء تعبيره وفق ماجاء فى العين خاصا بهذه الناحية .

كان دقيقا فى إيراد مواد المعجم ، وقد جاء ترتيبه لها متمشيا والباب الذى يعالج فيه كل كلمة[1] .

---

(١) د/ عبد الله درويش : المعاجم ص ٣٩ ، ٤٠

هذا المعجم مازال مخطوطا . انظر د/ أحمد مختار عمر : البحث اللغوى ص ١٤٩ ، ١٥٠

المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة(*)

لابن سيده (على بن إسماعيل) ت ٤٥٨هـ

ابن سيده هو أشهر علماء اللغة فى الأندلس فى القرن الخامس الهجرى ، ويكفيه فخرا أن أحد المستشرقين وهو ادوارد لين قد شهد له وأخذ عنه ، بل واعتمد عليه فى تأليف معجمه « مد القاموس »[١] .

ولابن سيده معجمان هما : **المحكم** ، **المخصص** . ويبدو أنه ألف المحكم قبل المخصص[٢] . **والمحكم** معجم موضوعى تجمع فيه الألفاظ التى تنتمى لموضوع واحد فى مكان ما ، ثم تجمع ألفاظ موضوع آخر وتوضع معا ، وهلم جرا .

وهذا النوع يفيد من يريد الكتابة فى أحد الموضوعات وليس لديه ثروة لغوية تيسر له التعبير الحر عن أفكاره التى استلهمها من الموضوع .

ويعد هذا المعجم امتدادا لكتب الموضوع الواحد التى سبقت الإشارة إليها على نحو شبه مفصَّل .

وكما فعل كل من القالى والزبيدى ، اتبع ابن سيده طريقة الخليل والتزمها ، ولكنه أضاف إليها شيئين لم يتوفرا لدى كل من القالى والزبيدى ، ولانغالى إذا قلنا إنهما لم يتوفرا حتى فى معجم العين نفسه .

أولهما : المادة المعروضة فى المحكم تفوق كما وقيمة كل ما جاء فى المعاجم السابقة .

(*) طبعة أولى بتحقيق الأستاذ مصطفى السقا ، والدكتور حسين نصار ، مطبعة الحلبى ، القاهرة ١٩٥٨ - ١٩٧٣ فى ٦ أجزاء ، ج ٧ فى القاف والراء والفاء

(١) د/ درويش : المعاجم صفحات ٤٢ - ٤٤ وأيضا د/ أحمد مختار : البحث اللغوى ص ١٥٠

(٢) المحكم حـ١ ص ١١ من مقدمه المحققيْن .

ثانيهما : الدقة المتناهية فى عرض المسائل ، والنظرة الصوتية العميقة إلى الأمور ، ذلك أنه فصل الهمزة عن حروف العلة ، ولم يدمج الهمزة مع الألف كما فعل الخليل .

كذلك فإنه تجاهل الألف اللينة نظرًا لأن أصلها إما واو أو ياء وذلك عكس مافعله الخليل حين اعتبر الألف اللينة حرف علة .

وشيء أخير يلفت النظر هو أن كل من يطالع فى هذا المعجم يرى بوضوح استيفاء القواعد الصرفية والعناية بها لدرجة تجعله كتاب صرف إلى جانب كونه قاموسا لغويا .

وباختصار فإن **المحكم** إنما يعد أحسن المعاجم التى التزمت منهج الخليل فى العين ، مع ترتيب الأبواب والتعبيرات الموجزة ، والتعليلات والتخريجات النحوية والصرفية ، بالإضافة إلى احتوائه للصيغ والألفاظ والتفسيرات[1] .

يبدأ بحرف العين (أبواب المضاعف وهو الثنائى الصحيح) ويأتى بالكلمة ثم يتلوها بوضعها وهى « مقلوبة » لاستيفاء كل الصيغ الممكنة .

---

(١) المحكم ، تحقيق السقا/ نصار ص ٢٣ (من المقدمة)

٢ – الترتيب حسب الحرف الأصلى الأخير فى الكلمة
(أو حسب القافية)
(الصحاح/ لسان العرب/ القاموس المحيط)
الصحاح للجوهرى ت ٣٩٨ (أو فى حدود ٤٠٠هـ)[١]

يقول الجوهرى فى مقدمة الصحاح :

« فإنى قد أودعت هذا الكتاب ماصح عندى من هذه اللغة التى شرف الله منزلتها ، وجعل علم الدين والدنيا منوطا بمعرفتها على ترتيب لم أسبق إليه وتهذيب لم أغلب عليه فى ثمانية وعشرين بابا ، وكل باب منها ثمانية وعشرون فصلا على عدد حروف المعجم وترتيبها ، إلا أن يهمل من الأبواب جنس من الفصول بعد تحصيلها بالعراق رواية وإتقانها دراية ومشافهتى بها العرب العاربة فى ديارهم بالبادية ، ولم آل فى ذلك نصحا ، ولا ادخرت وسعا نفعنا الله وإياكم به »[٢] .

وقد يستفيد الأديب عموما أو الشاعر على وجه خاص من هذا القاموس حيث يجد فيه بغيته فى الكلمات المسجوعة أو كلمات القافية[٣] ، ذلك لأن المواد مرتبة فيه على أساس الحرف الأصلى الأخير فى الكلمة ، بالطبع بعد حذف الزوائد منها وردّ المعلّ إلى أصله .

وكما تشير تسمية القاموس ، كان هدف الجوهرى هو تسجيل الكلمات

---

(١) د/ نصار : المعجم العربى ، حـ ٢ ص ٤٨٤ ، نشر الصحاح بتحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، القاهرة ١٩٥٦ (فى أجزاء)

(٢) الجوهرى : الصحاح حـ ١ ص ٣٣

(٣) د/ درويش : المعاجم ص ٩١ ، ٩٣ ، د/ أحمد مختار : البحث اللغوى صفحات ١٦٢ – ١٨٢ (مقارنة ممتازة بين الفارابى والجوهرى) ، د/ إبراهيم نجا : المعاجم اللغوية طـ ٣ ص ١١

الصحيحة لغويا فقط ، لأنه وجد الناس فى عصره يخلطون فى استخدام مفردات غير صحيحة من الناحية اللغوية ، فلم يرتض أن يستمر الأمر فوضى على هذا النحو ، ومن هنا قرر تنقية اللغة والتمييز بين ماصح ومالم يصح وخصص قاموسه لما صحّ فقط .

إذًا لم يكن هدفه الحصر أو الإحصاء أو الاستقصاء كما كانت نية الخليل بن أحمد ومن تلاه ممن اتبعوا نظام التقليبات والترتيب على المخارج .

واستكمالا لتسجيل الصحيح لغويا ، رأى **الجوهرى** أن يضع تشكيل الكلمات بحروف بدلا من مجرد العلامات وذلك خشية التصحيف أو التحريف . فهو يقول مثلا : العباب بالضم وحين يورد فعلًا مثل كسر فإنه يتبعه بذكر المصدر تكسير ليفهم من هذا أن الفعل هنا مشدد .

قد نتوقع أن يقابل صنيع **الجوهرى** بالاستحسان والتقدير ، ولكن مع الأسف نجد أن بعض الباحثين قديما وحديثا قد نالوا منه وحاولوا الحط من مكانته والتهوين من جهده وذلك إذ راحوا يعيبون هذا المنهج الانتقائى بأنه قد ترك تسجيل نصف اللغة تقريبا[١] .

والمسألة ماتزال معلقة تحتاج إلى من يحسم الأمر فيها .

وإذا كان **الجوهرى** قد اعتمد فى إعطاء معانى المفردات على آراء الخليل ابن أحمد، فإنه ليس بدعا فى ذلك ، فقد سبقه إلى نفس الصنيع كل من ابن دريد والأزهرى وابن فارس[٢] . والذى يقارن بين قواميس هؤلاء وما وصلنا من قاموس العين يجد التشابه الكثير ، وبصفة خاصة فى الجانب الذى يمسّ معانى مفردات اللغة .

---

(١) د/ درويش : المعاجم ص ٩٢ وهذا الرأى للفيروزابادى صاحب القاموس المحيط .

(٢) السابق ص ٩٥ ، ٩٦

وفى ضوء هذه الحقيقة ، قد يزعم زاعم بأن القواميس العربية لم تتطور حيث اعتمد اللاحق دائما على جهد سابقيه . ولكن ينبغى ألا نغفل هنا عن حقيقة هامة هى فكرة توثيق تراثنا العربى وكيف كان القدماء مغرمين بمسألة التوثيق لكل مايجيئون به . وكان فخرا وإعزازا للاحق أن يشير إلى أنه استفاد من سابقيه وسار على منوالهم وهذه هى الروح العلمية فى أسمى صورها .

كان اللاحق دائما حريصا كل الحرص على كينونة ماخلفه له السابق فى شتى المجالات والعلوم ، ليس فقط فى المجال الدينى فى علوم التفسير والحديث والفقه ، ولكن أيضا فى العلوم اللغوية ومنها القواميس .

آراء السابقين كان لها دائما صفة القداسة ، وكان اللاحق يشعر بمسئوليته تجاه ماسبقه من تراث ، فكان يورده أو يقتبس منه ، وإن كان ذلك لم يمنع بحال من الإضافة إليه أو التطوير فيه ، وهذه مسئولية الأجيال فى نقل التراث .

ونجتزىء هنا بمثال نورده من **الصحاح** :

(**أبد**) نكشف عنها فى باب الدال فصل الألف .

الأبد : الدهر والجمع آباد وأبود . ويقال أبد أبيد ، كما يقال دهر داهر ، ولا أفعله أبد الأبيد وأبد الآبدين ، كما يقال : دهر الداهرين ، وعَوضَ العائضين . والأبد أيضا : الدائم ، والتأبيد : التخليد ، وأبد بالمكان يأبِد بالكسر أبودا : أى أقام به .

وأبَدَت البهيمة تأبُد وتأبِد أى توحشت ، والأوابد : الوحوش ، والتأبيد : التوحش .

وتأبد المنزل : أى أقفر وألفته الوحوش .

وجاء فلان بآبدة أى بداهية يبقى ذكرها على الأبد . ويقال للشوارد من القوافى : أوابد . قال الفرزدق :

لن تدركوا كرمى بلؤم أبيكم وأوابدى بتنحُّل الأشعار

وأَبِد الرجل بالكسر : غضب ، وأبِد أيضا توحش فهو أبِد .

قال أبو ذؤيب :

فافتنّ بعد تمام الظِمء ناجيةً مثل الهِراوة ثِنْيا بِكرُها أَبِدُ

أى ولدها الأول قد توحش معها .

والإبِد على وزن الإبل : الولود من أمة أو أتان . وقولهم

لن يُقلع الجَدُّ النَكِدْ

إلا بجدٍ ذى الإبِدْ

فى كل ماعامٍ تَلِدْ

والإبد ههنا : الأَمَة ، لأن كونها ولودا حرمان وليس بجد ، أى لاتزداد إلاشرا[1] .

---

(١) الجوهرى : الصحاح حـ ١ ص ٤٣٦

لسان العرب لابن منظور ت ٧١١هـ

أكثر المعاجم حجما ، إذ تبلغ نسخه المطبوعة عشرين جزءا من القطع الكبير ، ولهذا فهو يعد موسوعة شاملة .(١)

ولسان العرب يسير على نسق الصحاح فى الترتيب ، وإن كان مع هذا يتميز بشيئْين رئيسيْن .

الأول : أنه أورد أسماء العديد من الرواة اللذين اقتبس منهم ولم يقتصر هذا على أمثال الخليل بن أحمد وأبى عمرو الشيبانى وابن فارس وابن سيده وغيرهم من اللغويين ، ولكنه أورد أيضا نقولا عن علماء النحو والحديث والفقه .

الثانى : أنه لم يقتصر على الصحيح فقط كما فعل الجوهرى ، بل إنه سجل كل المفردات العربية على قدر الإمكان . ولهذا فقد جاء هذا القاموس ليحوى ٨٠ ألف مادة أساسية ، عدا مايشتق من كل منها مما يفوق الحصر ويصعب على العدّ . ومن هذه الناحية فإن لسان العرب يتشابه مع كل من تهذيب اللغة للأزهرى والمحكم لابن سيده ، وإن كان يفوقهما من ناحية الكم .(٢)

يقول ابن منظور فى مقدمة لسان العرب إنه لم يجد فى كتب اللغة أجمل من تهذيب اللغة للأزهرى ، ولا أكمل من المحكم لابن سيده ، وهما من أمهات كتب اللغة على التحقيق ، وماعداهما فثنيات للطريق .

وهو يقول : إن الجوهرى أحسن فى الترتيب ، ولكن قاموسه يأتى وبه

(١) صدرت منه طبعة جديدة محققة ومشكولة شكلا كاملا ومذيلة بفهارس مفصلة ، وقد توفر عليها الأساتذة : عبد الله الكبير ، محمد أحمد حسب الله ، هاشم محمد الشاذلى ، وسيد رمضان أحمد . وقد أعادوا الترتيب وفق ترتيب أساس البلاغة للزمخشرى ، والمصباح المنير للشيخ الفيومى . (وهذه الطبعة فى ٦ أجزاء . القاهرة ١٩٨١) وأيضا انظر : د/ أحمد مختار : البحث اللغوى ص ١٨٢ ، ١٨٣

(٢) د/ نصار : المعجم حـ ٢ ص ٥٤٤

تصحيف وتحريف كما أشار إلى ذلك ابن بَرِّى .[1]

من أجل إعجابه بالصحاح للجوهرى فقد جاء ترتيب « اللسان » على طريقة الصحاح فى الأبواب والفصول .

وقد وضع فى أوله تفسير الحروف المقطعة التى وردت فى أوائل سور القرآن العزيز ، وتلاها باب فى ألقاب الحروف وطبائعها وخواصها . وبعد ذلك يبدأ القاموس بحرف الهمزة .

وفيما يلى سوف أورد إحدى مواد « اللسان » لتتبين منها طريقة عرض المادة عند ابن منظور .

(**أبد**) الأبد : الدهر ، والجمع آباد وأبود ، وفى حديث الحج قال سراقة ابن مالك: أرأيت متعتنا هذه ألعامنا أم للأبد ؟ فقال : بل هى للأبد . وفى رواية : ألعامنا هذا أم لأبد ؟ فقال : بل لأبدٍ أبدٍ . وفى أخرى : بل لأبد الأبد ، أى هى لآخر الدهر . وأبد أبيد كقولهم : دهر دهير ، ولا أفعل ذلك أبد الأبيد وأبد الآباد وأبد الدهر وأبيد الأبيد وأبد الأبدية . وأبد الآبدين ليس على النسب ، لأنه لو كان كذلك لكانوا خلقاء أن يقولوا الأبديين . قال ابن سيده : ولم نسمعه . قال : وعندى أنه جمع الأبد بالواو والنون على التشنيع والتعظيم ، كما قالوا : أرضون ، وقولهم : لاأفعله أبد الآبدين ، كما نقول : دهر الداهرين ، وعَوْض العائضين. وقالوا فى المثل : طال الأبد على لُبَد ، يضرب ذلك لكل ماقَدُم . والأبد : الدائم ، والتأبيد : التخليد .

وأبد بالمكان يأبد بالكسر أبودا : أقام به ولم يبرحه . . . وأبدت البهيمة تأبُد وتأبِد : توحشت . . والتأبد : التوحش . قال أبو ذؤيب :

---

(1) ابن منظور : لسان العرب طبعة الأستاذ عبد الله الكبير وزملائه ، حـ ١ ص ١١ ، ١٢ وكتاب ابن بَرِّى اسمه : التنبيه والإيضاح ، وقد حققه الأستاذ مصطفى حجازى وطبع بالقاهرة ١٩٨١

فافتنّ بعد تمام الظِمء ناجيةً مثل الهراوة ثنيا بِكرُها أبِدُ

أى ولدها الأول قد توحش معها . الأوابد الأُبَّد : الوحش . الذكر : آبد ، الأنثى : آبدة ، وقيل سميت بذلك لبقائها على الأبد .

ويستمر ابن منظور فى عرض بقية هذه المادة ، موردا آراء كل من الأصمعى ، ورافع بن خديج ، ويورد بيت لبيد من أول المعلقة . ثم يورد حديث أم زرع ، ويورد كذلك بيت الفرزدق :

لن تدركوا كرمى بلؤم أبيكم وأوابدى بتنحّل الأشعار

ويقال للكلمة الوحشية آبدة ، وجمعها الأوابد

ويستمر **ابن منظور** فى النقل عن ابن شميل ، وأبى منصور ، وأبى مالك ، والجوهرى .

وينهى تقديمه لهذه المادة بقوله : وقف فلان أرضه وقفا مؤبدا إذا جعلها حبيسا لاتباع ولاتورث .[1]

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، حـ ١ ص ٤

القاموس المحيط للفيروزابادى(*) ت ٨١٦/ ٨١٧هـ

يعتبر **الفيروزابادى** أول من سمى معجمه « **القاموس** » ومعناه البحر أو البحر العظيم ، وبمرور الوقت صارت كلمة « **قاموس** » مرادفة لكلمة « **معجم** » وأصبحت تستخدم بديلا عنها .(١)

وقاموس الفيروزابادى يعدّ أوسع المعاجم انتشارا ، ربما لأنه قاموس عملى حيث اقتصر على إيراد الكلمات ومعانيها المختلفة دون إضاعة الجهد فى الإشارة إلى الرواة أو إيراد الشواهد المتعددة .(٢)

والكاشف فى هذا القاموس عليه أن يكون على بينة من الرموز التى يستخدمها الفيروزابادى وهى :

م : معروف ، ع : موضع ، ج : جمع ، هـ : قرية ، د : بلد .

وقد أوضح الفيرزابادى ذلك فى مقدمته ونظم تلك الرموز فى قوله :

ومافيه من رمز فخمسة أحرف   فميم لمعروف وعين لموضع
وجيم لجمع ثم هاء لقرية   وللبلد الدال التى أهملت فَعِ

وهو ينبه إلى التشكيل الداخلى ليس فقط بوضع فتحة أو كسرة بل يقول أيضا كلمة كذا بالفتح .

نظرًا لأهمية القاموس المحيط فقد قام بعض الباحثين والمؤلفين بمحاولات هدفها تيسيره أكثر أو استكماله بصورة أدق .

(*) طبع بالقاهرة فى ٤ أجزاء ، وقد شرحه الزبيدى اليمنى ت ١٢٠٥هـ : تاج العروس ، انظر د/نصار : المعجم حـ ٢ ص ٦٣٩

(١) د/ حسين نصار : المعجم حـ ١ ص ١٣ ، ١٤ ، ٥٧٣ ومابعدها

(٢) د/ درويش : المعاجم ص ١٠٥ ، ١٠٦

ومن هذه المحاولات : محاولة الأستاذ الطاهر أحمد الزواوى بإعادة ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة . ونشر ذلك فى أربعة أجزاء .[1]

أما المحاولة الأقدم والأهم فهى محاولة السيد محمد مرتضى الحسينى (**الزبيدى**) الذى ألف قاموسا أسماه : **تاج العروس من جواهر القاموس** . وقد صدر منه حتى الآن ٢١ جزءا ، طبعت جميعها بالكويت . وقام بتحقيقها الأستاذ عبد الستار أحمد فراج وآخرون .

ونقتطع هنا مثالا لطريقة عرض المادة فى القاموس المحيط وهو عن كلمة (أبد) ونجدها فى الجزء الأول من القاموس المحيط فى باب الدال فصل الهمزة .

(**الأبد**) محركة : الدهر ج آباد وأبود ، والدائم والقديم الأزلى ، والولد الذى أتت عليه سنة . ولا آتيه أبد الأبدية وأبد الآبدين ، وأبد الآبَدِين كأرضين ، وأبد الدهر : محركة ، وأبد الأبيد ، وأبد الآباد ، وأبد الدهر ، وأبيد الأبيد : بمعنى .

والأوابد : الوحوش لأنها لم تمت حتف أنفها كالأبد ، والدواهى ، والقوافى الشُّرد . وأبِد كفرح : غضب وتوحش ، وأتان وأَمَةٌ إبد كإبل وكتف وقِنْو ولود ، والإبد بكسرتين : الأمة والأتان المتوحشة ، والإبِدَان : الأمة والفرس ، وناقة آبدة : ولود ، والأبيد : نبات ، وأُبَّدة كقُبَّرة (د) بالأندلس ، ومأبِد كمسجد (ع) ، وغلط الجوهرى فذكره فى م ى د . وتصحف عليه فى الشعر الذى أنشده أيضا ، وتأبّد : توحش ، والمنزل : أقفر ، والوجه : كلِف ، والرجُل : طالت غربته وقلَّ أربه فى النساء ، وأبدت البهيمة : تأبِد وتأبُد : توحشت ، وبالمكان : يأبِد أبودا : أقام ، والشاعر : أتى بالعويص فى شعره ومالا يعرف معناه . وناقة مؤبدة إذا كانت وحشية معتاصة ، والتأبيد : التخليد ، والآبدة : الداهية يبقى ذكرها أبدا .[2]

---

(١) انظر الطبعة الثانية لعمل الأستاذ الزواوى . القاهرة ١٩٧١ – ١٩٧٣

(٢) هذه المادة موجودة بالجزء الأول من القاموس المحيط حـ ١ ص ٢٨٢ ، ٢٨٣

٣ - الترتيب على الألفباء العربية بترتيبها المألوف
(تحت الحرف الأول فى الكلمة بعد تجريدها من الزوائد)
(الجيم/ ديوان الأدب/ مقاييس اللغة/ المجمل/ أساس البلاغة)
كتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانى ت ٢٠٦هـ(*)

الجيم معناه الديباج ، كأن القاموس يشبه الديباج فى الحسن . وقد اختلف الباحثون حول عدّ هذا الكتاب ضمن القواميس .

فقد قيل إنه ليس معجما بالمفهوم الدقيق ، لأنه عبارة عن ألفاظ غريبة جمعها **الشيبانى** ونسبها إلى قبائل قديمة ، موثقا مادته بالشواهد الشعرية والنثرية .

واعتمادا على هذا ، فقد قيل إن هذا القاموس من معاجم لغات القبائل حيث أورد الشيبانى أشعار مايزيد على ثمانين من القبائل العربية ولهذا فإن هذا المعجم جاء ليحوى مفردات عليها طابع البداوة ويشيع فيها الغريب .

وإذا كان **الشيبانى** قد رتب معجمه وفق حروف الهجاء المألوفة فإنه لم يلتزم قاعدة معينة لترتيب الألفاظ داخل الباب الواحد ، بل كثيرا ما أوردها دون مراعاة لترتيب الحرف الثانى والثالث من الكلمة[1]

(*) طبع فى ثلاثة أجزاء بالقاهرة بإشراف مجمع اللغة العربية ، الجزء الأول بتحقيق إبراهيم الإبيارى ، الثانى بتحقيق عبد الكريم الغرباوى والثالث بتحقيق عبد العليم الطحاوى ١٩٧٤/ ١٩٧٥

(١) إبراهيم الإبيارى (محقق) : كتاب الجيم حـ ١ ، القاهرة ١٩٧٤ ص ٣ من تصدير الأستاذ محمد خلف الله أحمد عضو المجمع

ديوان الأدب للفارابى ت (حوالى ٣٥٠هـ)

الفارابى هو أول من سار على طريقة **الباب والفصل** وأخذ عنه الجوهرى (ابن أخته) فى معجمه : الصحاح .

والفارابى وإن كان قد رتب معجمه على حروف الهجاء بترتيبها العادى ، فإنه قد وزَّع المادة اللغوية على الأبواب توزيعا **بحسب الأبنية** ، وذيّل معظم أبواب الأفعال بأحكام تصريفية .

والكتاب مقسّم إلى ستة أقسام أسماها كتبا وهى : **السالم** ، **المضاعف** ، **المثال** ، **ذوات الثلاثة** ، **ذوات الأربعة** ، **المهموز** .

لم يختر هذه المصطلحات ، بل كان يعبر أحيانا عن المصطلح بعبارة ، فمثلا السالم يعرفه بأنه ماسلم من حروف المد واللين والتضعيف . والمضاعف هو ماكانت العين منه واللام من جنس واحد ، وهكذا .

قسم كل كتاب إلى شطرين : **أسماء وأفعال** ، وقدم الأسماء على الأفعال فى كل كتاب .

وفى عرضه لكل من الشطرين راعى **المجرد** أولا ثم **المزيد** .

وإذا كان الناظر فى القواميس العربية بحاجة إلى أن يتسلح ببعض مبادىء علم الصرف فإن هذه العدة تكون من ألزم اللوازم للناظر فى **ديوان الأدب للفارابى** .

وقد طبع هذا الكتاب فى أربعة أجزاء ، حققه الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر (سنوات ١٩٧٤ - ١٩٧٩) وجعل الجزء الرابع للفهارس ، الفهرس الأول : للمواد اللغوية ، والثانى للشواهد (آيات وقراءات قرآنية ، أحاديث وآثار ، أمثال وحكم) ، والثالث : للأعلام ، أما الرابع فللقوافى : أشعار وأراجيز ، أنصاف وأجزاء أبيات .

معجم مقاييس اللغة لابن فارس ت ٣٩٥هـ

اتبع الترتيب الهجائى العادى ، الحرف الثانى فى الكلمة هو التالى للحرف الأول . يقول مثلا : الحاء وما بعدها يقصد الخاء .

وفى شرحه للمفردات حاول أن يوجد لكل مادة من المواد معنى مشتركا عاما يدمج فيه كل المعانى الفرعية : حقيقية أو مجازية .[١]

وهو يربط بين المعانى الجزئية والمعنى العام ، فمثلا كلمة « جن » يقول فيها : معناها : الستر والتستر ، ويفرع على ذلك الكلمات الآتية : الجنة والجنة : البستان ، الجنين والجنان والمجن : الترس ، الجنة والجنون والجنان : الليل .

ويحاول فى كل مرة أن يكشف الستار عن المعنى الأصلى المشترك فى جميع صيغ المادة .[٢]

وقد طبع هذا المعجم بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون فى ستة مجلدات ، لها فهارس دقيقة وذلك سنة ١٩٥١ .

ومعنى المقاييس : الاشتقاق الكبير الذى يرجع مفردات كل مادة إلى معنى أو معان تشترك فيها هذه المفردات .

وبرغم مافيه من نضج لغوى فإنه لم يشتهر اشتهار « المجمل »[٣]

قسم ابن فارس مواد اللغة إلى كتب تبدأ بكتاب الهمزة وتنتهى بكتاب الياء .

---

(١) د/ درويش : المعاجم ص ١٢٥

(٢) د/ أحمد مختار عمر : البحث اللغوى ص ١٥٨

(٣) معجم مقاييس حـ ١ ص ٤١

وقسّم كل كتاب إلى أبواب ثلاثة ، أولها باب الثنائى المضاعف والمطابق ، وثانيها أبواب الثلاثى الأصول من المواد ، وثالثها باب ماجاء على أكثر من ثلاثة حروف أصلية .

الأمر الدقيق فى هذا التقسيم أن كل قسم من القسمين الأولين قد التُزم فيه ترتيب خاص ، هو ألا يبدأ بعد الحرف الأول إلا بالذى يليه ، ولذا جاء باب المضاعف فى كتاب الهمزة ، وباب الثلاثى مما أوله همزة وباء ، مرتبا ترتيبا طبيعيا على نسق حروف الهجاء .

ولكن فى باب الهمزة والتاء وما يثلثهما يتوقع القارىء أن يأتى المؤلف بالمواد على هذا الترتيب (أتب/ أتل/ أتم/ أتن/ أته/ أتو/ أتى) ولكن الباء فى (أتب) لاتلى التاء بل تسبقها ، ولذلك أخرها فى الترتيب إلى آخر الباب فجعلها بعد مادة (أتى) .

فى باب التاء من المضاعف يذكر أولا (تخ) ثم (تر) إلى أن تنتهى الحروف ، ثم يرجع إلى التاء والباء (تب) لأن أقرب مايلى التاء من الحروف فى المواد المستعملة هو الخاء .[1]

يذكر ابن فارس الكتب التى اعتمد عليها فى تأليف قاموسه هذا ، ويحصرها فى خمسة كتب هى :

كتاب العين ، كتابا أبى عبيد : غريب الحديث ، مصنف الغريب ، كتاب المنطق لابن السكيت ، كتاب الجمهرة لابن دريد .

وننقل فيما يلى نموذجا لتقديمه المادة المعجمية :

---

(١) ابن فارس : معجم مقاييس اللغة حـ ١ ص ٤٢ ، ٤٣ من مقدمة المحقق (الأستاذ عبد السلام هارون) .

(**أبد**) الهمزة والباء والدال يدل بناؤها على طول المدة ، وعلى التوحش . قالوا : الأبد للدهر وجمعه آباد ، والعرب تقول : أبد أبيد ، كما يقولون : دهر دهير ، والأبْدة : الفَعْلة تبقى على الأبد ، وتأبد البعير : توحش . وفى الحديث : « إن هذه البهائم لها أوابد كأوابد الوحش . وتأبد المنزل : خلا . قال لبيد :

عفت الديار محلُّها فمُقامها   بمنى تأبّد غَوْلُها فرجامها[1]

وقال ابن الأعرابى : الإبد : ذات النتاج من المال ، كالأَمَة والفرس والأتان ، لأنهن يضنأن فى كل عام ، أى يلدن . ويقال : تأبد وجهه : كَلِف .[2]

قام الأستاذ عبد السلام هارون بوضع **فهارس عامة** لمعجم مقاييس اللغة ، وهى ذات فائدة كبيرة جدا لمن يستخدم هذا المعجم .

وهذه الفهارس هى :

فهرس اللغة/ الأشعار/ الأرجاز/ الأمثال/ الأعلام/ البلدان/ والكتب .

المهم هنا أن الأستاذ المحقق قد بذل جهدا كبيرا فى تصنيف مادة كل فهرس . وخذ مثلا أنه تحت **فهرس اللغة** يذكر :

- ماورد من الألفاظ اللغوية فى غير مادته
- الألفاظ غير العربية
- مافات المعاجم المتداولة أو انفرد به ابن فارس

وفى ذلك من الإفادة الشىء الكثير .

---

(١) موضعان والبيت مطلع معلقة لبيد

(٢) ابن فارس : معجم مقاييس حـ ١ ص ٣٤

المجمل لابن فارس(*) ت ٣٩٥هـ

راعى **ابن فارس** فى هذا المعجم أصول الكلمة بما فيها الحرف الأول والثانى والثالث . وقد رتب الكلمات على أساس حروف الهجاء بترتيبها المألوف .

أفرد لكل حرف من حروف الهجاء فصلا قال فيه مثلا : باب الحاء ومابعدها ، بالطبع حسب ماتعطيه الإمكانات اللغوية .

وبعد أن ينتهى إلى الياء يبدأ من الهمزة فالباء حتى تعود الدائرة إلى الحاء مرة آخرى .

بعدها ينتقل إلى حرف الخاء بنفس الطريقة ثم الدال فالذال وهكذا .

أخذ **ابن فارس** نفسه فى هذا القاموس بخطة تدوين المستعمل من الألفاظ حتى عصره ، وقد أوجز فى شرح المعانى ، كما نقل عن عدد من اللغويين السابقين عليه .

ويلاحظ الدكتور حسين نصار أن **ابن فارس** قد أقام « المجمل » على أسس فلسفية لغوية .

والذى تجدر الإشارة إليه أن **ابن فارس** فى هذا المعجم قد أخذ نفسه بخطة إيراد الصحيح فقط مثله فى ذلك مثل الجوهرى ،ولاغرو ،فقد كانا متعاصرين . وهذه النغمة توحى لنا بأن اللغة فى هذا العصر (القرن الرابع الهجرى) كانت تتأرجح بين الصحة والاعتلال ومن هنا جاء رد الفعل إيجابيا من قبل الغيورين عليها فراحوا يسجلون ماصح لديهم وتوثق .

وهذا **ابن فارس** يقول فى نهاية « المجمل » :

« قد توخيت حد الاختصار ، وآثرت فيه الإيجاز ، واقتصرت على ماصح

(*) انظر د/ عبد الله درويش : المعاجم ص ١٢٣ ، ١٢٤

عندى سماعا ، ومن كتاب صحيح النسب مشهور ، ولولا توحى ما لم أشكك فيه من كلام العرب لوحدت مقالا »[1]

ويشير الأستاذ عبد السلام هارون إلى أن ابن فارس فى معجميه : **المجمل** ، **والمقاييس** لم يرتب موادهما على أوائل الحروف وتقليباتها كما صنع ابن دريد فى الجمهرة ، ولم يطردها على أبواب أواخر الكلمات ابتدع الجوهرى فى الصحاح ، وكما فعل ابن منظور والفيروزابادى فى معجميهما ، ولم ينسقها على أوائل الحروف فقط كما صنع الزمخشرى فى أساس البلاغة ، والفيومى فى المصباح المنير . ولكنه سلك طريقا خاصا به ، لم يفطن إليه أحد عن العلماء ولانيه إليه .

وأقول إن هذا الطريق يتضح فى عرض ترتيب المادة المعجمية فى **معجم مقاييس اللغة** .

أساس البلاغة للزمخشرى ت ٥٣٨هـ

يأتى هذا القاموس هنا من حيث اتباعه الترتيب الألفبائى المعروف ، وحيث إنه جاء ليميز بين المعانى الحقيقية والمجازية للكلمات ، فقد رأيت أن أعرضه ضمن معاجم المعانى .[2]

---

(١) ص ٢١ من مقدمة الأستاذ هارون لمعجم مقاييس اللغة حـ ١ ، وهو يشير إلى أن « المجمل » قد نشر الجزء الأول منه بالقاهرة فى مطبعة السعادة سنة ١٣٣١هـ وللأسف لم أعثر عليه .

(٢) هذا القاموس فى جزءين : الأول من حرف ا حتى ش ، والثانى من : ص إلى الياء .

حـ - معاجم المعانى

(كتب الفروق ، معاجم : تهذيب الالفاظ/ فقه اللغة/ المخصص/ أساس البلاغة)

الفرق الحاسم بين **معاجم الألفاظ** و **معاجم المعانى** ، أن **معاجم الألفاظ** يقصد بها - بالدرجة الأولى - القارئ العربى حين تعترضه كلمة صعبة أو غريبة لايفقه معناها .

أما **معاجم المعانى** فمقصود بها الكتاب والمنشئون والمترجمون - هؤلاء الذين يحضرهم المعنى ويكونون فى حاجة إلى لفظ يعبر عنه .

ولقد دعت الحاجة كُتاب الدواوين فى الدولة الإسلامية إلى جمع ألفاظ كتابية ، تجمع الألفاظ الخاصة بمعنى من المعانى فى باب واحد ، فكانت مجموعة الكتب الأولى التى وضعها الأصمعى وأضرابه ، ومن هنا دونت معجمات المعانى أو ماأسماه ابن سيده « بالكتب المبوبة » .

ونرى أن **كتب الفروق** تأتى هنا نموذجا لمعاجم المعانى ، وقد ألّف فى الفروق عديد من العلماء . ولكن مع الأسف لم يبق منها إلا كتاب **لقطرب** ت ٢٠٦ هـ وآخر **للأصمعى** ت ٢١٦هـ .

والفروق يعنى بها اختلاف الألفاظ فى وحدة المسميات بين نوع من المخلوقات ونوع آخر ، أو بين فصائل النوع الواحد أحيانا .[١]

وذلك مثل إطلاق الشفة : للإنسان ، المشفر : لذوات الخف ، المجفلة : لذوات الحافر ، والمقمة والمرمة : لذوات الظلف ، والفنطسة : للخنزير خاصة .[٢]

---

(١) د/ وجيهة السطل : التأليف فى خلق الإنسان ص ٢٢

(٢) السابق ص ٢٣

وقد أسمى **قطرب** كتابه : **ما خالف فيه الإنسان البهيمة فى أسماء الوحوش وصفاتها** .

العجيب هنا أنه لم يذكر الإنسان رغم النصّ عليه فى عنوان كتابه ، ولكنه تكلم فى أسماء الحيوان ، وأسماء الجماعات ، وأصوات الحيوانات .

أما **الأصمعى** فقد أقام كتابه فى « الفروق » على ثلاثة وعشرين بابا .

وتكلم عما اتصل بالشفة ، ثم بالأنف ، ثم بالظفر ، ثم بالرجل ، ثم بالصدر ، فالثدى .

عرض لما هو خاص بالذكر ، وما هو خاص بالأنثى ، يليه المخاط فالبصاق فالعرق فالجلوس والتغوط ، ثم الغلمة والنكاح ، فالحمل والولادة ، ثم أسماء الأولاد فأسماء الجماعات ، وأخيرا الأصوات .[1]

وإذا كانت كتب الفروق مرحلة تمهيدية لهذا النوع من التأليف ، فقد اكتمل التأليف فى معاجم المعانى من القرن الثالث الهجرى وحتى منتصف القرن الخامس .

و كان نتاج ذلك ثلاثة معاجم للمعانى هى :

تهذيب الألفاظ لابن السكيت ، فقه اللغة للثعالبى ، والمخصص لابن سيده وأساس البلاغة للزمخشرى . وسوف نشير إلى كل منها فى إيجاز .

---

(١) د/ وجيهة : التأليف ص ٢٢ ، ٢٣

تهذيب الألفاظ
لابن السكيت ت ٢٤٤هـ

هذا الكتاب مرتب على أبواب المعانى : باب الغنى والخصب ، وباب الفقر والجدب ، وباب الجماعة وهكذا .

وقد كان عمل **ابن السكيت** فتحا جديدا لكل من جاءوا بعده ممن اهتموا بنفس الظاهرة . فقد نسج على هذا المنوال : ابن قتيبة فى أدب الكاتب ، ثم جاء بعدهما الهمذانى (عبد الرحمن بن عيسى ت ٣٢٠هـ) فألف الألفاظ الكتابية على أبواب المعانى ، واقتفى أثرهم : الثعالبى ٤٢٩ فى فقه اللغة ، ووصلت الظاهرة إلى قمتها فى المخصص لابن سيده ت ٤٥٨هـ .

« **وكتاب الألفاظ** » نشر فى آخر القرن التاسع عشر ببيروت مرتين بعناية الأب لويس شيخو ، الطبعة الأولى كانت سنة ١٨٩٥ وقد ضم إليه فى حواشيه شرح التبريزى المسمى : تهذيب الألفاظ ، كما ضم فى الصلب بعض زيادات التبريزى ، وسمى عمله هذا « كنز الحفاظ » .

ثم عمد مرة أخرى وأفرد الصلب وحده مع بعض الزيادات وسمى عمله هذا مختصر تهذيب الألفاظ وطبعه سنة ١٨٩٧ .[1]

---

(١) انظر مقدمة الأستاذين : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون لكتاب ابن السكيت : إصلاح المنطق ط ٢ ، القاهرة ١٩٥٦ ص ١١ وأيضا د/ وجيهة : التأليف فى خلق الإنسان ص ١٥ ، ١٦

فقه اللغة للثعالبى[1] ت ٤٢٩هـ

أخذ الثعالبى مادة هذا القاموس أو الكتاب كما يقول فى المقدمة من عدد كبير من اللغويين والنحاة وهم :

الخليل بن أحمد ، الأصمعى ، أبو عمرو الشيبانى ، الكسائى ، الفراء ، أبو زيد ، أبو عبيدة ، ابن الأعرابى ، النضر بن شميل ، أبو العباس ، ابن دريد ، نفطويه ، ابن خالويه ، الخارزنجى ، الأزهرى ومن سواهم .

وهذا الكتاب يشتمل على ثلاثين بابا ، كل منها ينقسم إلى فصول . فالباب الأول فى الكليات ويأتى تحته الفصل الأول : فيما فصّله القرآن من ذلك وجاء تفسيره عن ثقات الأئمة وذلك مثل أن يقول الثعالبى :

كل ماعلاك فأظلك فهو سماء ، وكل أرض مستوية فهى صعيد ، كل حاجز بين الشيئين فهو موبق ، وكل بناء مربع فهو كعبة ، وكل بناء عال فهو صرح . وهكذا

والفصل الثانى من الباب الأول فى ذكر ضروب الحيوان ، والفصل الثالث فى النبات والشجر ، والرابع : فى الأمكنة ، والخامس فى الثياب ، وفصل عن الطعام وهكذا .

ويستمر الثعالبى فى الأبواب وتحت كل منها فصول متفرقة فالباب الثانى فى التنزيل والتمثيل ، وتحت هذا يجىء فصل عن طبقات الناس وآخر عن الإبل وهكذا .

أما الباب الثالث فيجعل عنوانه . فى أشياء تختلف أسماؤها وأوصافها باختلاف أحوالها .

---

(١) الطبعة الرابعة تصحيح الأب لويس شيخو اليسوعى . بيروت ١٩٠٣

وأرى أن أقتطع هنا نموذجا من هذا الباب من الفصل الأول يقول الثعالبى :

لايقال كأس إلا إذا كان فيها شراب ، وإلا فهى زجاجة . ولا يقال مائدة إلا إذا كان عليها طعام وإلا فهى خوان . ولايقال كوز إلا إذا كانت له عروة وإلا فهو كوب . ولايقال قلم إلا إذا كان مَبْرِيا وإلا فهو أنبوبة . ولايقال خاتم إلا إذا كان فيه فص وإلا فهو فتحة . ولايقال فرو إلا إذا كان عليه صوف وإلا فهو جلد .[1]

بمثل هذه التحديدات الخاصة للمعانى يستمر الثعالبى فى عرض موضوعه . وإن كان من ملاحظة هنا فهى صعوبة الكشف عن شىء بعينه والعثور عليه بسهولة .

ومن هنا كان للفهرس المرتب على حروف الهجاء فائدة كبيرة جدا لأنه يمكن الناظر فى هذا المعجم من معرفة طريقه وعما إذا كانت ضالته هناك أم لا .

تحت حرف الجيم مثلا تأتى كلمات : جبل ، جبن ، جد ، جرد ، جرح ، جرى ، جسم ، جمع ، جن ، جلد ، جلس ، جلق ، جاء ، جاع ، جاش .

---

(١) الثعالبى : فقه اللغة ص ٢٣

المخصص لابن سيده ت ٤٥٨هـ

هذا المعجم يذكرنا بكتب خلق الإنسان ، فهو يورد مثلا كل الألفاظ الدالة على معان مختلفة عن الحمل والولادة والرضاعة ، أو وصف الإنسان وصفا خارجيا ، ثم المحاسن والمساوىء، الهزل والسمن ، العلل والنقائص ، الشفة ومايعتريها من أعراض . فإذا كان العرض يمس لون الشفة فهو : حوّة ، وإذا كان يتعلق بمدى ليونتها أو طراوتها فهى : خريع أى لينة وهكذا .[١]

وابن سيده يبدأ بذكر مصادره ، والكتب التى استقى منها معلوماته ، وهو يقول إنه أخذها من اللغويين أمثال :

أبى عبيد ، ابن السكيت ، ثعلب ، الفراء ، الأصمعى ، أبى زيد ، أبى حاتم ، المبرد ، كراع ، النضر ، ابن الأعرابى ، ابن قتيبة .

كذلك فقد أفاد من أصحاب قواميس : العين والجمهرة والبارع ، والزاهر لأبى بكر بن الأنبارى .

وبالإضافةإلى هذا ، فإنه يذكر من بين مصادره كلا من : سيبويه ، أبى على الفارسى ، السيرافى ، ابن جنى وكلهم أساتذة فى النحو واللغة .

الطبعة الموجودة للمخصص بآخرها فهرس مرتب على الألفباء العربية .

تحت حرف الألف نقرأ عن : الإبل ، الأرض ، الأكل ، الإنس ، الأهل .

وتحت حرف الباء تجد مواد مثل :

الآبار، الباب ، الباع (البيع) ، البحث ، البحر ، البخل ، البدل ، البرء ، البر والإحسان ، البصل ، البطن ، البغال ، البقر ، البكاء ، البلح ، وما إلى ذلك .[٢]

---

(١) طبع المخصص فى ١٧ جزءا (٩ مجلدات) القاهرة ١٨٩٨

(٢) هذا الفهرس يشمل صفحات ١ — ٢٧ فى نهاية الجزء ١٧

أساس البلاغة للزمخشرى[1] ت ٥٣٨هـ

كان هدف **الزمخشرى** من تأليفه هذا القاموس هو إيضاح وجوه الإعجاز البلاغى للقرآن الكريم . ومن أجل ذلك فقد شرح **الزمخشرى** المفردات العربية على أساس التفرقة بين المعانى الحقيقية والمعانى المجازية للألفاظ .

ومما يميز هذا القاموس أن **الزمخشرى** اقتبس فيه تعبيرات بأكملها من الكتب الأدبية ، وذلك ليوضح طرق استخدام المفردات فى الجمل وما تتمخض عنه من معان فى سياقاتها المختلفة .

والزمخشرى يقول فى مقدمة قاموسه هذا إنه « تخير ماوقع فى عبارات المبدعين ، وانطوى تحت استعمالات المفلقين ، أو ماجاز وقوعه فيها وانطواؤه تحتها من التراكيب التى تملح وتحسن ، ولاتنقبض عنها الألسنة لجريهارَسْلات على الأسلات ومروها عذبات على العذبات . . ومنها التوقيف على مناهج التركيب والتأليف ، ومنها تأسيس قوانين فصل الخطاب ، والكلام الفصيح بإفراد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح .

والكتاب فى جزءين : الأول من حرف ا حتى ش ، والجزء الثانى من : ص إلى الياء .

والزمخشرى يقول إنه قد رتبه على أشهر ترتيب وأسهله وإليك هذا المثال : الهمزة مع الباء : **أبد** ، لاأفعله أبد الآباد وأبد الأبيد وأبد الآبدين ، وتقول رزقك الله عمرا طويل الآباد ، بعيد الآماد . وأبّدت الدواب وتأبّدت : توحشت ، وهى أوابد ومتأبّدات . وفرس قيد الأوابد وهى نُفَّر الوحوش . وقد تأبّد المنزل : سكنته الأوابد ، وتأبّد فلان : توحش ، وطيور أوابد : خلاف القواطع .

ومن المجاز : فلان مولع بأوابد الكلام وهى غرائبه ، وبأوابد الشعر وهى التى لاتشاكَل جودة ، ثم يورد الزمخشرى بيتين من الشعر استخدما مادة أبد ، أحدهما للفرزدق والثانى للنابغة .[2]

---

(١) طبع بمطبعة دار الكتب فى جزءين ١٣٤١هـ/ ١٩٢٢

(٢) الزمخشرى : أساس البلاغة حـ ١ ص ٣

قائمة بالمعاجم العربية التى عرضناها
وأسماء مصنفيها مرتبة ترتيبا زمنيا
(حسب سنى وفيات المؤلفين)

العين	الخليل بن أحمد ت ١٧٠ / ١٧٥ هـ
الجيم	أبو عمرو الشيبانى ت ٢٠٦هـ
الفروق	قطرب ت ٢٠٦هـ
الفروق	الأصمعى ت ٢١٦هـ
خلق الإنسان	" "
خلق الإنسان	ثابت بن قرة ت ٢٧٦هـ
خلق الإنسان	الزجاجت ٣١٠/ ٣١١هـ
الجمهرة	ابن دريد ت ٣٢١هـ
ديوان الأدب	الفارابى ت ٣٥٠هـ
البارع	أبو على القالى ت ٣٥٦هـ
تهذيب اللغة	الأزهرى ت ٣٧٠هـ
مختصر العين	الزبيدى ت ٣٧٩هـ
معجم مقاييس اللغة	ابن فارس ت ٣٩٥هـ
المجمل	" "
مقالة فى أسماء أعضاء الإنسان	" "
الصحاح	الجوهرى ت ٣٩٨هـ
خلق الإنسان	الإسكافى ت ٤٢١هـ
المحكم	ابن سيده ت ٤٥٨هـ
المخصص	" "
أساس البلاغة	الزمخشرى ت ٥٣٨هـ
لسان العرب	ابن منظور ت ٧١١هـ
القاموس المحيط	الفيروزابادى ت ٨١٧هـ

ملاحظات على القواميس العربية القديمة

لقد قدّم لنا جامعو القواميس خدمة عظيمة عن طريق ماوفروه لنا من وسائط نستطيع عن طريقها أن نتفهم لغة أجدادنا الأوائل وأن نعى تماما مافى تراثنا العربى من كنوز .

ونظرة يسيرة إلى أى قاموس عربى إنما تشهد بالجهد الكبير الذى بذله هؤلاء ، خاصة حين نقيم العمل المعجمى فى سياق ظروفه التاريخية حيث اعتمد المؤلفون على جهودهم الشخصية دون أى استعانة بما يتوفر لدينا الآن من وسائل العلم والتكنولوجيا المعاصرة .

قد تزداد نظرة الإعجاب حين نعليم أن واحدا كابن سيده كان كفيفا واستطاع مع ذلك أن يؤلف لنا قاموسين لاغناء لنا عن واحد منهما وهما « المحكم » و « المخصص » .

وقد نتصور أن كف البصر لايعجز عن الاضطلاع بأية مسئولية علمية أو حرفية ، أما أن يتجرأ صاحبه فيساهم فى التأليف المعجمى فهذا أمر جدير بالملاحظة خاصة وأن العمل المعجمى ليس سهلا ، بل يحتاج إلى مهارة ويقظة ومباشرة تستولى على حواس المبصر جميعها . فما بالك بالكفيف ؟ ! ولكننا نقول إن هؤلاء المؤلفين كانوا يشعرون بمسئوليتهم ، كما كانوا يدركون تماما واجباتهم تجاه جيلهم والأجيال التالية ولأدل على ذلك من أننا نقرأ فى مقدمات أعمالهم سواء كانت معجمية أم غيرها أنهم أرادوا أن يضعوا للناس عملا فى هذا الحقل أو ذاك كى ييسر لهم الطريق ويبصرهم بالأصول من أقصر غاية . وهذه الروح الأصيلة هى السر وراء بقاء هذا التراث حيا إلى اليوم .

العرب - ولاشك - كانوا من طليعة الرواد إلى التأليف المعجمى ، وكما أن للريادة مزاياها ، فإن لها أيضا تبعاتها ، وفى ظل هذه التبعات يجد الباحث

عددا من الملاحظات نرى لابأس من إيرادها هنا ، وهذه الملاحظات أولا وأخيرا لاتهون من الجهد الكبير الذى بذله القدماء فى مجال العمل المعجمى .

بعض القواميس اتبعت **الترتيب المخرجى** ، ولانظن أن ذلك كان أمرا سهلا على المتعاملين بهذه اللغة . ربما عرف المتخصص طريقه إلى الكشف فى قواميس تتبع هذا الترتيب ، ولكن غير المتخصص كان فى حاجة إلى دراية **صوتية** كى يستطيع عن طريقها أن يجد بغيته فى مثل هذه القواميس .

وحتى فى وقتنا هذا ، فإن غير المتخصص يجد صعوبة فى الكشف فى أمثال هذه القواميس دون معرفة بمسائل علم الأصوات وتحديد الحروف على مخارج النطق .

كذلك فإن بعض القواميس الأخرى قد رتب المواد على نظام **الأبنية الصرفية** ، والأمر هنا أبيْن من سابقه ، ذلك لأن الدراسة الصرفية إنما تعد مدخلا للكشف فى القاموس .

ومعنى ذلك أن الباحث فى القواميس كان بحاجة إلى دراسة **صوتية** ودراسة أخرى **صرفية** . وقد يرى البعض فى ذلك نوعا من الصعوبة تجعل من القواميس وسائل غير عملية .

ولكنى أرى أنها ميزة من ميزات التراث العربى ، أن تتكامل هذه العلوم فيما بينها وهذا ماجعلنى ألملم شتات هذه الأبعاد وأضعها جنبا إلى جنب فيما أسميته **بنظرية الاكتمال اللغوى عند العرب** .

هذا ويؤخذ على هذه القواميس طموح أصحابها لحصر كل مفردات اللغة العربية ، مما حدا بهم إلى وضع **المهمل** إلى جوار **المستعمل** دون تمييز بينهما .

كذلك فقد **خلطوا** فى إيراد المادة المعجمية : خلطوا بين الأفعال والأسماء – إلانادرا – كما خلطوا بين المشتقات بعضها وبعض ولم يأخذوا

أنفسهم بطريقة ثابتة لإيرادها ومن أجل ذلك فإن الباحث فى القواميس العربية يجد نفسه مسوقا لقراءة كل جزئيات المادة إلى أن يجد طلبته .

وأيضا فإن معانى الكلمة لم **ترتب** هى الأخرى بحسب أكثرها شيوعا أو تواردا ، ولهذا وضعت المعانى كيفما اتفق .

وفى تحديد المعانى ، كان هناك أحيانا بعض **الغموض** ، فمثلا حين يذكر القاموس المحيط معنى أزرق يقول : هو لون .

أمر آخر ، إيراد أسماء **الرواة** رغم أنه ينظر إليه على أنه توثيق للمادة فإنه يعطل الباحث فى القاموس عن العثور على بغيته من أقصر طريق .

كذلك فقد **نقلوا** عن بعضهم البعض ، والذى يقارن ماأوردناه عنهم فى مادة « أبد » يتحقق من ذلك بوضوح .

بعض جامعى القواميس وقعوا فى **أخطاء** ، وذلك إذ وهموا فى تحديد معانى بعض المواد أو حرفوا مواد أخرى أو صحفوها ، ولهذا فقد استدرك عليهم ذلك مؤلفون لاحقون . سبب هذا أحيانا عدم وجود نظام تستوفى على أساسه كل أبعاد المادة الواحدة . فالقاموسيون القدماء كانوا غالبا ما يوردون « مصدر » كلمة ما دون ذكر أصلها ، أو يذكرون « المفرد » ولا يذكرون « الجمع » . وأحيانا صيغة واحدة لجمع كلمة ما ، على حين تكون هناك صيغ أخرى . هذه نقطة .

وأخرى ، هى أن القواميس لم تجمع المادة **بطريقة شاملة** . ففى مقدمة قاموس تهذيب اللغة نجد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م) وهو جامع القاموس يعترف بأنه لم يورد فى قاموسه كل الكلمات التى قرأ عنها . لقد أورد فقط ماثبت لديه أنه أصح . وأكثر من هذا ، نعرف أن بعض القواميس اللاحقة قد أضافت أو حتى صححت بعض ماورد فى قواميس سابقة . وعلى

سبيل المثال : الصاغانى (ت ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) أورد فى : التكملة ، الذيل ، الصلة مافات الجوهرى(ت ٣٩٥هـ/١٠٠٤م) فى قاموسه الصحاح . وعمل الصاغانى هذا يأتى أكبر حجما مما عمله الجوهرى .

إذا أضفنا إلى هذا أن بعض **مانقله** القاموسيون من رواة الشعر لتوثيق المادة اللغوية كان **مشكوكا فيه** أو لايعتمد عليه ، فإن من الممكن أن نتحقق مدى الخطر فى الاعتماد على مادة القاموس معيارا يحكم به رفضا أو قبولا (على نحو ماسنرى حين نعرض لدور القواميس على المستوى الأدبى) .

وأخيرا فإننا نقرأ فى كتاب **كالمزهر للسيوطى** (ت ٩١١هـ/) عنوانا لموضوع « معرفة ماروى من اللغة ولم يصح ولم يثبت » نأسف كثيرا حين نجد أن مضمون هذا الفصل إنما يجيء ليحوى اقتباسات من الجمهرة لابن دريد (ت ٣٢١هـ/ ٩٣٢م) والصحاح للجوهرى (ت حوالى ٤٠٠هـ) وتهذيب اللغة للأزهرى (ت ٣٧٠هـ) والمحكم لابن سيده (ت ٤٥٨هـ) .

يبدو أن هذا النشاط قد راق الكثيرين حتى فى العصر الحديث ، فهذا **أحمد فارس الشدياق** يكتب « **الجاسوس على القاموس** » .

كما نجد كلا من الأساتذة : أحمد تيمور ، وعبد السلام هارون ، وعبد الستار فراج يستدركون العديد من النقاط على **لسان العرب لابن منظور** .

أهمية الدلالة المعجمية

رغم مايقال عن عيوب القواميس العربية أو الاستدراكات عليها أو بعض المآخذ فيها ، فإن ذلك لايزلزل بحال أهمية هذه القواميس عند العرب ، بوصفها المستودع الأمين الذى حفظ اللغة .

ومن أجل هذا فإن أى تجاوز فى الالتزام بالدلالة المعجمية كان دائما محل نقد ولفت نظر .

وفيما يلى سوف أعرض لأهمية هذه الدلالة على المستويين : العام ، والأدبى .

أولا : الدلالة المعجمية على المستوى العام

حظيت هذه الدلالة بأهمية كبيرة بين المتحدثين باللغة العربية ، والذين يكتبون بها أيضا . وصدر - تبعا لذلك - العديد من المؤلفات غير القاموسية لخدمة القارىء والكاتب والخطيب والأديب ، وتبصير كل منهم بأهمية هذه الدلالة ، والالتزام للكلمات بمدلولاتها القاموسية . ومن هنا فقد حاسبوا على الانحراف بهذه الدلالة إلى أى جانب مهما كانت الأسباب .

وهذه الكتب فى الحقيقة تتمم مهمة القواميس ، ربما لأن مؤلفيها اعتبروا أنفسهم حراسا على اللغة العربية بوجه عام ، وعلى الدلالة المعجمية على وجه الخصوص .

هذا ولم تقتصر مهمة هذه الكتب على إيراد المعانى القاموسية للفظة المفردة فقط ، بل تعدت ذلك إلى بيان دلالة الكلمة فى تركيب أو سياق معين ، كما بينت أى الدلالات كان مقبولا وأيها كان مرفوضا على المستوى الوظيفى أو المباشر وهو غير المستوى الجمالى) . ومن هذه الكتب نذكر :

لحن العامة للكسائى ت ١٨٠هـ

الغريب المصنف لأبى عبيد ت ٢٢٤هـ

إصلاح المنطق } لابن السكيت ت ٢٤٤هـ
كتاب الألفاظ }

أدب الكاتب لابن قتيبة ت ٢٧٠هـ

الفصيح لثعلب ت ٢٩١هـ

الألفاظ الكتابية } للهمذانى ت ٣٢٠هـ
متخير الألفاظ }

جواهر الألفاظ لقدامة بن جعفر ت ٣٢١هـ

مبادىء اللغة للإسكافى ت ٤٢١هـ

كفاية المتحفظ لابن الأجدابى ت ٦٥٠هـ

أضف إلى هذا ، ماكتب حول اللحن أو الأخطاء اللغوية بمعناها العام ، ففيها أيضا نماذج عديدة للانحرافات بالدلالة عن معناها القاموسى .

ثانيا : الدلالة المعجمية على المستوى الأدبى :

دارت مناقشات كثيرة حول كبار شعراء العصر العباسى : أبو تمام ، والبحترى ، والمتنبى ، يهمنا هنا مادار حولهم فيما يتعلق بجانب الدلالة القاموسية . وقد راح نقاد العصر العباسى من أمثال الآمدى ، والعميدى ، والحاتمى ، والقاضى الجرجانى ، والمعرى ، والصاحب بن عباد ، وأبو بكر الصولى وأبو القاسم الأصفهانى ، ومعهم ابن جنى - راح كل هؤلاء يخطئون الشعراء الثلاثة على عدة أمور مردها إلى القاموس وهذه الأمور نجملها فيما يلى :

ا - **عدم الدقة** فى استعمال بعض الكلمات فى ضوء الدلالة المعجمية .

ب - **استعمال كلمات غريبة** .

جـ - **استعمال كلمات عامية** .

د - **استخدام كلمات غير عربية** .

ولكى نخصب المناقشة أكثر ، فسوف نحتكم إلى نفس السلاح الذى استخدمه النقاد ضد الشعراء وأقصدبه « القاموس العربى » وينبغى أن نوضح منذ البداية أن الحاجة بالقواميس العربية يجب ألاتوهم بأن هذه القواميس كانت قد اكتملت حتى تلك الفترة (القرن الرابع الهجرى) كما يجب ألاتوهم بوجود معجم تاريخى عربى ، لأن هذا المعجم لم يتوفر حتى الآن (باستثناء محاولة المستشرق الألمانى فيشر الذى أعد من الهمزة إلى أبد) .

ومادام الناقد كان يحاجّ الشاعر على أمور مردها إلى القاموس ، فقد رأينا استخدام نفس المعيار ، ورحنا نعرض المادة النقدية على القواميس التى ظهرت فى تلك الفترة ، من أجل بلورة هذا الصراع وإعطائه حجمه الحقيقى على خارطة تاريخ اللغة والنقد الأدبى .

ا - عدم الدقة فى استعمال بعض الكلمات

هنا نميز **ثلاثة مستويات** بالنسبة لصحة النقاط التى أوردها النقاد ضد الشعراء فيما يتعلق بالمعانى القاموسية .

فأحيانا كان **النقاد على حق** ، وأحيانا كان **الحق مع الشعراء** ، وفى أحايين أخرى كانت المسألة **موهمة** أو تحتمل أكثر من تفسير .

وهذه الحالات الثلاث لها نماذج كثيرة[١]، ولكنا فقط نكتفى بإيراد بعض الأمثلة .

بالنسبة لآراء النقاد الصحيحة ، اعترض الآمدى على البحترى فى استخدامه صيغة الفعل « **قسط** » مكان « **أقسط** » حيث إن « **قسط** » معناها : ظلم ، أما « **أقسط** » فمعناها : عدل .

وحيث كان البحترى يقصد إلى التعبير عن العدل فقد كان أجدر به أن يستعمل « **أقسط** » .

وقد عضدِ الآمدى رأيه - إلى جانب المعنى المعجمى - بالقرآن الكريم فى قوله سبحانه « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا » واسم الفاعل هنا مشتق من « قسط » بمعنى : ظلم ، والآية الأخرى «إن الله يحب المقسطين » حيث إن اسم الفاعل هنا مشتق من « أقسط » بمعنى : عدل .[٢]

ونرى أن احتكام الآمدى إلى الآيات القرآنية ليس وراءه احتكام ، وإن

---

(١) انظر فى هذا : الآمدى : الموازنة ، العميدى : الإبانة عن سرقات المتنبى ، الحاتمى : الرسالة الموضحة فى ذكر سرقات المتنبى ، القاضى الجرجانى : الوساطة بين المتنبى وخصومه ، المعرى : عبث الوليد (البحترى) ، الصاحب بن عباد : الكشف عن مساوىء شعر المتنبى ، أبو بكر الصولى : أخبار أبى تمام ، أبو بكر الصولى : أخبار البحترى .

(٢) الآمدى : الموازنة جـ ١ ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ .

كنا نضيف : إن هذه التفرقة بين الفعلين قد نبّه إليها قبل الآمدى أكثر من عالم لغوى.ففى **فصيح ثعلب** (ت ٢٩١هـ/٩٠٣م) اقتباس لرأى ابن الأعرابى فى التفرقة بين صيغتىْ : **قسط وأقسط** ، تماما بما يتمشى مع الاستخدام القرآنى لكل منهما .[١]

بل وأكثر من هذا ، فإن مايميز الكلمتيْن نجده مسوقا أيضا فى قواميس القرن الرابع الهجرى[٢]. وأحيانا مردودا إلى **الفراء** (ت ٣٠٧هـ/ ٨٢٢م) .[٣]

كل هذا يجعلنا نحسب للناقد هنا نقطة ضد الشاعر ، فالبحترى – على هذا – لم يكن على دراية بهذه التفرقة ، ولهذا أخطأ . وربما كان البحترى على علم بالفرق بين الكلمتين ، ولكن الوزن لم يطاوعه لاستعمال الصيغة الصحيحة ، أو طاوعه الوزن ومع ذلك استخدم الكلمتين بمعناهما العام الذى من الممكن أن يكون الناس فى عصره درجوا عليه على المستوى الشعبى أو غير الرسمى للغة .

كل هذه احتمالات قد يقوى منها مانجده لدى **ابن منظور** مؤخرا (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) حيث أورد الكلمتين فى قاموسه على أنهما يعنيان شيئا واحدا .[٤]

والاحتمال قائم فيما لو كان **ابن منظور** قد اطلع على مصدر من القرن الرابع مايزال مجهولا لنا ، تماما كاحتمال تطور اللغة بعد القرن الرابع الهجرى .

---

(١) ثعلب : فصيح ثعلب والشروح التى عليه ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجى ط أولى . القاهرة ١٩٤٩ ص ٢١

(٢) ابن دريد: جمهرة اللغة . بيروت ، د . ت . عن الطبعة الأولى ١٣٤٤هـ حـ ٣ ص ٢٦

(٣) الأزهرى : تهذيب اللغة حـ ٨ ص ٣٨٨ ، الجوهرى : الصحاح ، تحقيق وتصنيف : نديم وأسامة مرعشلى ط ١ بيروت حـ ٣ ص ١١٥٢

(٤) ابن منظور : لسان العرب . القاهرة عن طبعة بولاق د . ت . حـ ٩ ص ٢٥٣

مثال آخر على صحة رأى الناقد نجده فى استخدام المتنبى لكلمة **زها** بمعنى افتخر ، وهى أساسا تعنى : احمرّ أو اصفرّ .

اعترض الناقد – وهو هنا **الحاتمى** – على استخدام المتنبى هذا ، وقال إنه كان من الأصوب أن يستعمل الشاعر فى هذا المقام صيغة المبنى للمجهول « **زهى** » التى تعنى : افتخر .

ونرى أن الفرق بين الصيغتين يمكن أن يستدل عليه من كتاب « الفصيح » لثعلب ، ولكن يبدو أن الشاعر قد اتبع لهجة بنى سليم ، وفيها يستعملون المبنى للمعلوم : **زها** ، ليعنى : افتخر .(١)

وفى ديوان المتنبى المحقق ، الكلمة مشكولة « **زهت** » وقد عزاها المحقق إلى لغة طيء .(٢)

وبرغم كل هذا فإن مادة « **زها** » تظهر فى قواميس القرن الرابع الهجرى هكذا : **زها** : احمرّ أو اصفرّ ، **زهى** : افتخر .

هذا مع أن ابن منظور بعد ذلك قد اقتبس من ابن دريد فى أن « **زها** » معناها : افتخر ، ومع الأسف لم أجد هذا فى الجمهرة .(٣)

فى معظم الأحوال ، لم تكن آراء النقاد صحيحة لغويا ، لقد قادتهم بعض المعايير القاموسية الضيقة ، ولم يكونوا أحيانا على دراية كاملة بمعانى بعض الكلمات أو حتى بصيغتها ، وربما يكون هذا قد نشأ من طبيعة اللغة العربية نفسها حيث تنشأ صعوبتها من وجود دلالة مركزية للكلمات ، ودلالات هامشية غفل عنها النقاد أحيانا إزاء لغة الشعر .

---

(١) الحاتمى : الرسالة الموضحة ص ٦٣ ، ٦٤ مثال آخر لنفس النوع ص ٥٩

(٢) البرقوقى : شرح ديوان المتنبى ط ٢ جـ ٤ ص ١٢٤ ، ١٢٥

(٣) لقد فتشت عن هذه الكلمة فى الجمهرة حيث يظن وجودها فى الجزء الثالث ص ٢٢ ، ٢٥٥ ، ٤٣٨ ، ٤٧٩ ولكن لم أجد ما قاله ابن منظور عنها .
انظر : تهذيب اللغة جـ ٤ ص ٣٧٠ ، ٣٧٣ ، الصحاح جـ ١ ص ٥٥٠

لقد حصروا أنفسهم فى الإطار الضيق للدلالة المركزية لبعض الكلمات ، ولهذا اعترضوا على الشعراء ، فى حين أن الشاعر كان أرحب أفقا ، وأكثر انفتاحا على ما للكلمات من دلالات هامشية ، أو حتى نقول بوجود أكثر من دلالة مركزية للكلمة الواحدة .

خذ مثلا كلمة « سماء » فإلى جانب معناها المتعارف عليه نجدها أيضا تعنى : السقف ، الحشيش والمطر[1] ، ومثل هذا كثير .

هل المسألة جهل النقاد أحيانا ، أم كان العداء شخصيا ؟ إن لدينا العديد من الأمثلة على الافتراض الأخير ، وعلى سبيل المثال نذكر أن لغويا كالأصمعى لم يكن على وفاق مع العلويين . ويحدثنا التاريخ عن سبب هذا بأن الإمام على ابن أبى طالب رضى الله عنه كان قد قطع يد جد الأصمعى فى حد سرقة ، ولهذا السبب فإن الأصمعى ظل يحقر شعر الكميت لتأييده العلويين .[2]

ونمضى فى إيضاح أبعاد الصراع بين النقاد والشعراء حول المعجم اللغوى ، فنورد النقاط التى اعترض فيها النقاد على الشعراء ، ولكن النقاد لم يكونوا على حق هذه المرة ، لأن المسائل التى اعترضوا عليها كانت من المسائل الخلافية فى اللغة .

لقد عيب على المتنبى استخدامه كلمة « **محتشم** » فى قوله

ضيف ألمّ برأسى غير محتشم

---

(١) الأشناندانى : كتاب معانى الشعر (برواية ابن دريد) تحقق عز الدين التنوخى . دمشق ١٩٦٩ ص ٨٧ صحيح إن معظم البلاغيين العرب يكادون يجمعون على أن الشعر يتعامل مع المعانى الثوانى ، ولكن ذلك كان خطوة تالية لحتمية صواب المعنى الشعرى مع أسس ما أسميناه بنظرية الاكتمال اللغوى ، وعلى هذا فإن مناقشة المعانى الثوانى إنما تندرج تحت نظرية أخرى هى نظرية الجمال البلاغى ، نرجو أن نوفق إلى تجليتها ونشرها فى بحث مستقل .

(٢) داود سلوم : شعر الكميت (جمع وتقديم داود سلوم) حـ ١ بغداد ١٩٦٩ ص ٣١

يقصد الشيب ، وقد استخدم كلمة « محتشم » بمعنى منقبض ، بينما هى أساسا تعنى غضبان .

ولكى يدافع المتنبى عن نفسه قال إن بعض الشعراء قبله قد استعملوها لتعنى ماعناه هو بها ، وهو منقبض . ولكن الناقد - وهو هنا الحاتمى - رفض تبرير المتنبى هذا ، وادّعى أن ما احتج به المتنبي إنما يعود إلى قول شاعر محدث أو مولد ، وليس ذلك بحجة فى اللغة .[1]

باستفتاء قواميس القرن الرابع الهجرى ، وهو القرن الذى دار فيه الصراع ، نجد أن القواميس تؤيد المتنبى فى هذه النقطة ضد ناقده الحاتمى . كلمة « الحشمة » كانت مسألة خلافية بين اللغويين ، ففى جمهرة ابن دريد : الحشمة تعنى الغضب ، وهذا منسوب لابن السكيت والفراء . ومع هذا فإن الليث قال : إن الحشمة تعنى الانقباض ، على حين نجد ابن الأعرابى يقرر أن الحشمة معناها الخجل[2] ولهذا فليس بعجيب أن يلجأ Arberry إلى هذا المعنى الأخير فى ترجمته لبيت المتنبى الذى يحتوى على كلمة محتشم .[3]

لو قرأنا الشطرة مرة أخرى : ضيف ألمّ برأسى غير محتشم

نجد أن المسألة موهمة إلى حد كبير ، فهل قصد المتنبى إلى أن الشيب الذى وخط رأسه كان صفيقا لايخجل ، كناية عن سرعة الانتشار ، أم أن الشيب قد وخط رأسه وهو لذلك لاينقبض لما يجرى ، بل هو راض به ، نازل على حكم الظروف وتغير الأحوال ؟ !

سواء كان هذا أم ذاك ، فإن الذى يعنينا هنا وننبه إليه أنه أحيانا وبرغم

---

(١) الحاتمى : الرسالة الموضحة ص ٨٦ ، ٨٧

(٢) ابن دريد : الجمهرة حـ ٢ ص ١٦٠ ، الأزهرى : تهذيب اللغة حـ ٤ ص ١٩٤ ، الجوهرى : الصحاح ص ٢٦٨

(٣) A . J . Arberry : Poems of Mutanabbi , P . 48

أن الكلمة كان من الممكن أن يراد بها أكثر من معنى ، فإن الناقد كان يؤثر أن يرتكز فى نقده على أحد المعانى التى تؤيد هجومه ضد الشاعر ضاربًا بالمعانى الأخرى عرض الحائط . وليت المسألة كانت تقف عند هذا الحد : حد لفت نظر الشاعر إلى المعنى الآخر المحتمل ، ولكنها كانت تمتد إلى ساحة التخطئة والرمى بالعيب ، والهجوم الشنيع على الشاعر ، وكأن هذا الشاعر أو ذاك جاهل بما يقول .

وقريب من موقف الحاتمى فى هذه النقطة ، مافعله **ابن خالويه** الذى عاب على المتنبى استعماله « **أشجى** » بدلا من « **شجى** » وكان رد المتنبى أنه استعمل « أشجى » على أنها أفعل تفضيل .[1]

وفى مناسبة أخرى ، يخطىء **الحاتمى** المتنبى فى ضبط اسم إحدى القرى القريبة من بغداد قائلا : إن ضبطها الوحيد هو **كلواذ** بكسر الكاف وليست كما استعملها المتنبى **كلواذ** بفتحها[2] ، وبرغم هذا فقد وجدت أن الصورتين تستخدمان دون إثارة غبار .[3]

أخشى أن أتطاول فأقول إن هؤلاء النقاد لم يظهروا استقلالا فى آرائهم ، فقد اقتبسوا من بعضهم البعض ولا أدل على هذا من أمرين : الأول : أن نقاط العيوب أو قل التركيز على السلبيات من الخصائص التى يشترك فيها معظم النقاد ، والثانى : أن بعض النقاد لم يكتف بترديد ما قاله غيره فى نقاط الضعف لدى الشعراء بل راح يستعمل كلمات المحاجة نفسها كلمة كلمة وخذ لذلك مثالا ما قاله **الصاحب** عن عيب **المتنبى** فى استعمال **جبرين** بدل

---

(١) العميدى : الإبانة عن سرقات المتنبى ، تحقيق : إبراهيم البساطى ، القاهرة ١٩٦١ ص ٩٦

(٢) الحاتمى : الرسالة الموضحة ص ٥٦

(٣) شرح ديوان المتنبى حـ ٢ ص ١٨٧ ، وأيضا : لسان العرب حـ ٥ ص ٤١

جبريل[1] . الثعالبى من بعد الصاحب لم يقتبس فقط المثال بل راح يردد تقريبا نفس كلمات الصاحب عن الكلمة[2] . إن المتعارف عليه فيما يتعلق باسم هذا الملاك هو جبريل على الأقل كما ورد فى القرآن الكريم ، ولكن برغم هذا فإن بعض المصادر اللغوية المتأخرة تذكر أن ذلك قاعدة فى كل اسم آخره لام ، من الممكن أن يستبدل بها النون وعلى ذلك فقس جبرين وإسماعين وإسرائين . أكثر من هذا : فى لسان العرب نجد ابن منظور يورد ثلاث صيغ لهذا الاسم هى : جبريل ، جبرين ، جبرائيل .[3]

الوجه الثالث من أبعاد الصراع بين النقاد والشعراء حول التحديدات القاموسية نجد فيه أن الناقد كان على حق إذا ماقيس رأيه على ما ورد فى المادة القاموسية ومع هذا فإن اختيار الشاعر للكلمات المعترض عليها يمكن الدفاع عنها أو تصويبها فى إطار السياق العام لمعنى البيت الشعرى ككل . وأصدق أمثله على هذا ما أورده الآمدى فى نقده لشعر كل من أبى تمام والبحترى .

هنا أرى أن اقتباس البيت كله ضرورى . قال أبو تمام :

قسم الزمان ربوعها بين الصبا   وقبولها ودبورها أثلاثا[4]

اعترض الآمدى على أبى تمام لأنه فى نظره قد ناقض نفسه إذ ظن أن « الصبا » تختلف عن « القبول » ولا أدل على هذا من أن الشاعر استعمل

---

(١) الصاحب بن عباد : الكشف عن مساوئ شعر المتنبى ، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين ، ط أولى . بغداد ١٩٦٥ ص ٦٠

(٢) الثعالبى : أبو الطيب المتنبى ، ماله وماعليه . ط أولى ، القاهرة ١٩١٥ ص ٩

(٣) ابن منظور : لسان العرب جـ ١٣ ص ١٠٥

(٤) الموازنة حـ ١ ص ١٥٢ ، ١٥٣ ، التبريزى (شارح ديوان أبى تمام) ، تحقيق محمد عزام (فى أربعة أجزاء) القاهرة ١٩٦٤ ، ١٩٦٥ حـ ١ ص ٣١٢

كلمة « أثلاثا » فى نهاية البيت فكأن أنواع الرياح تبعا لهذا : صبا وقبول ودبور ، وهذا فى نظر **الآمدى** مجاف للصواب إذ الحقيقة أن الرياح نوعان : صبا (أو قبول) ودبور .

وقد يؤيد **الآمدى** فيما ذهب إليه شيوع القول بأن **القبول** هى الصبا وقد يؤيده كذلك **الجوهرى** فى قاموسه « **الصحاح** » .

ورغم هذا فإن بعض اللغويين وبالأخص **النضر بن شميل وابن الأعرابى** قد فهما كلمة « **القبول** » بطريقة مختلفة ، فالنضر يحدد « **القبول** » بأنها ريح بين الصبا والجنوب . ونحن لا نستطيع أن نجزم أن كلمة « بين » فى هذه العبارة تعنى المكانية أو السرعة فكلتاهما محتملة . على أى حال فإن « **القبول** » تعنى على رأى النضر ريحا تختلف عن ريح « **الصبا** » .

أما **ابن الأعرابى** فكان أوضح من **النضر** فى تحديده لريح « **القبول** » ، لقد قال إن « **القبول** » معناها : « كل ريح لينة طيبة المسّ تقبلها النفس » .[1]

وبمراجعة القواميس اللغوية على هذه النقطة وجدنا أن **ابن دريد** فى **الجمهرة** لم يحدد كلمة « **صبا** » بوضوح ، لقد عرّفها بأنها « الريح المعروفة »[2] هذا على حين أن **الأزهرى** لم يذكرها أصلا فى **تهذيب اللغة** أما **الجوهرى** فقد ذكرها فى « **الصحاح** » على أنها الريح التى تهب من الشرق وهى عكس الدبور[3] . وربما كان هذا هو الرأى اللغوى الذى استند إليه **الآمدى** فى نقده .

مثال آخر من شعر **أبى تمام** قوله :

---

(١) التبريزى ، السابق حـ ١ ص ٣١٢

(٢) ابن دريد : الجمهرة حـ ٣ ص ٢٠٧

(٣) الجوهرى : الصحاح حـ ٤ ص ٢٣ ، ٩٨

هاديه جذع من الأراك وما تحت الصلا منه صخرة جلس

عنق الفرس صلب كجذع شجر الأراك بينما مؤخرته شديدة كصخرة جامدة . **الآمدى** يقيم اعتراضه على أساس أن كلمة « **جذع** » ليست مناسبة هنا لأن شجر الأراك يكون له « **عود** » أو « قائم » وكلاهما يكون أرفع فى حجمه من الجذع . الجذع فقط هو جذع النخلة لا جذع الأراك . ويستمر **الآمدى** فى اعتراضه قائلا إن كلمة **جذع** قد استعملها **ذو الرمة** ليصف الساج فى قوله :

وهاد كجذع الساج

والآمدى لايلوم ذا الرمة على هذا الاستعمال لأنه يفترض أن الساج والنخل صنوان يشبه كل منهما الآخر وذلك فيما يتعلق بالغلظ والمتانة ، وليست هذه هى الحالة فيما يتعلق بشجر الأراك . ويروح **الآمدى** فى حملته على **أبى تمام** يجد مبررا لاستعمال **ذى الرمة** جذع الساج قائلا : إن مايجمّل بيته هو احتواؤه على تشبيه .

وموقف **الآمدى** هذا غريب بعض الشىء ، ولا ندرى عما إذا كان قد قصد أن الاستعارة فى بيت **أبى تمام** تتطلب دقة قاموسية أكثر مما يتطلبه مجرد التشبيه الذى قدّمه **ذو الرمة** . ربما كان هذا أساسا مبنيا على فهم الآمدى لطبيعة الصنعة فى كل من الاستعارة والتشبيه ولكنه لم يفصح بصراحة عن هذا ولم تأت مناقشته لتضيف إليه ، ولو قد فعل لكان ذلك منه تفجيرا لقضية من أخطر قضايا النقد العربى : قضية البحث عن الجذور اللغوية الكامنة فى صور البيان العربى بما يشتمل عليه من مجاز وتشبية واستعارة وكناية . **الآمدى** على أية حال قد اعترض فقط على الشكل الخارجى لشجر الأراك مستمدا أعتراضه من مجرد التميز اللغوى بين الجذع والعود بالنسبة لغلظ الأول ودقة الثانى : ولكنه مع هذا غفل عن حرية الشاعر فى تجربته مع الكلمات . صحيح

ان لكل كلمة معناها القاموسى المحدد ، ولكن هناك أيضا المعانى الهامشية[1] التى لا تحصى والتى لاينبغى تجاهلها خاصة إذا كنا نتعامل مع عمل أدبى .

مثال أخير على هذا النوع قول أبى تمام .

حلت محل البكر من معطًى وقد زفت من المعطِى زفاف الأيم[2] .

آخذ العطية قد أخذها وكأنها عروس بكر بينما مانحها قد أعطاها غير عابئ بقيمتها الحقيقية كما لو كانت امرأة ثيبا .

اعترض الآمدى على استعمال أبى تمام لكلمة «الأيم» فى مقابل « البكر » بالطبع يقوم هذا الاعتراض على أساس من الأسلوب القرآنى فى قول الله تعالى : « وأنكحوا الأيامى » وهى تصدق على النوعين من النساء بكرا كن أم ثُيبا . كذلك تقول القواميس . ومع هذا فهناك من التراث الشعرى ما يؤيد استعمال أبى تمام الذى يفرق بين البكر والأيم . كلمة « أيم » وردت فى بيت للسرى بن العلاء وهى تعنى المرأة المتزوجة .[3]

بعد كل هذا نستطيع أن نقرر أن الانحراف عن المعنى القاموسى للكلمات لايسبب أية مشاكل فى فهم المعنى الكلى للأبيات السابقة .

---

(١) يجب ألا يؤخذ موقف التطبيقيين على أنه الموقف المثالى لكل نقاد العرب ، فكثير من نقاد العرب تحمسوا للعديد من الشعراء وكانت لهم معهم مواقف مشهورة ، وحبذا لو أتيحت لى فرصة أخرى لإبراز دورهم الرائد فى هذا المجال . لزيادة التفصيل حول هذا النقطة ، انظر : د/ إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ ، ص ١٠٢ ومابعدها ، وهو يميز تمييزا واضحا بين الدلالة المركزية والدلالة الهامشية .

(٢) الآمدى : الموازنة جـ ١ ص ١٥٨ ، التبريزى جـ ٣ ص ٢٥٨

(٣) الأشناندانى : معانى الشعر ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ وأيضا .

Edward Lane W : An Arabic - English Lexicon , 2 vols , London - Edinburgh 1863 - 1874 , vol - I pp . 137 , 138 .

حيث يقتبس مغنى اللبيب لابن هشام فى أن كلمة أيم هى التى ليست بكرا، كذلك هناك تفرقة بين « أيم » و « بكر » بالنسبة لسبق الزواج أو عدمه وهى فى مخطوطة : إبراهيم بن الأجدابى : كفاية =

كذلك فلا نعتقد أن أبا تمام قد فعل كل هذا عن جهل باللغة، بالعكس فإن تمكنه من اللغة ربما كان السبب فى مثل هذا التصرف . إن تمكنه فى اللغة يساوى إن لم يزد تمكن **الآمدى** نفسه وهذه الحقيقة قد ردّدها كل من **ابن أبى الإصبع** فى « **تحرير التحبير** » ، **وياقوت الحموى** فى « **معجم الأدباء** » .[1]

لقد شهد العديد من اللغويين بحجية أبى تمام فى اللغة ، وهذا هو **الزمخشرى** يستدل على بعض مناقشاته اللغوية بأبيات يقتبسها من شعر **أبى تمام** .[2]

وأكثر من هذا فإن **أبا تمام** – دون غيره من معاصريه – قد وضع ضمن قوائم النحويين والأدباء فى كتب التراجم[3] كذلك فقد قيل إن **ابن طاهر** قد كتب كتابا أسماه « **سرقة النحويين من أبى تمام** »[4] كل هذا يشهد بعلو باعه فى المسائل اللغوية .

الآمدى كان متشددا بعض الشىء مع أبى تمام ، وعلى العكس كان كل من الناقدين الآخرين : **القاضى الجرجانى والمعرى** بالنسبة للمتنبى .

فالقاضى الجرجانى قد صوَّب استعمال المتنبى « **أثاب** » ليعنى « رجع » بدلا من « **ثاب** » . وقد استند القاضى فى هذا التصويب إلى **أبى زيد اللغوى** قائلا إن أبا زيد ربما يكون قد سمعه من عربى حجة فى مسائل اللغة . ويؤيد هذا أن فعل « **أثاب** » مذكور فى **الغريب المصنف لأبى عبيد** ليعنى نفس المعنى الذى يعنيه الفعل ثاب بمعنى رجع ، وأكثر من هذا فإن عددا من اللغويين غير **أبى عبيد** قد قضوا بأن « **أثاب** » و « **ثاب** » بمعنى واحد هو

=المتحفظ ونهاية المتلفظ ، وهى موجود فى :
Library of Princeton University, USA, Yahuda Collection 1(3586),2 (3851) - Fol, 142

(١) ابن أبى الإصبع : تحرير التحبير ص ٣٧٠ ، ياقوت الحموى : معجم الأدباء حـ ٨ ص ٢٧

(٢) السيوطى : المزهر حـ ١ ص ٥٨

(٣) ابن الأنبارى : نزهة الألبا صفحات ٢١٣ – ٢١٦

(٤) ابن النديم : الفهرست ص ١٤٦

« رجع » .[1]

وشبيه بموقف **القاضى الجرجانى** موقف **المعرى** ، فقد حاول هو الآخر تمحيص المسائل قبل الحكم للشاعر أو عليه . وقد اختط لنفسه طريقا هو أن يبحث أولا عن المعنى الدقيق للكلمات وذلك قبل أن يصدر حكمه ، وها هو ذا يصوّب استعمال **المتنبى** للفعل « أرعد » « بدل » « رعد » وقد أرجع **المعرى** هذا إلى **أبى زيد اللغوى** برغم اعتراض **الأصعمى** على هذا الاستعمال .[2]

وقد يهمنا أن نقرأ عن قصة هذا الفعل كما أوردها **ابن دريد فى الجمهرة** : الشاعر **الكميت** كان قد استعمل الفعل « أرعد » على أنه فعل أمر ، فخطأه **الأصعمى** واتهمه بأنه جرمقانى (ليس من أصل عربى) ينتمى إلى أهل الموصل (مدينة فى شمال العراق) ولذلك فإنه ــ أى **الكميت** ــ ليس بحجة فى اللغة .[3]

وعلى حين لم يقبل **الأصمعى** هذا فإننا نجد الكوفيين يقبلون صيغتى « رعد » و « أرعد » ، بل أكثر من ذلك فقد وجدت أن الشاعر الجاهلى **المهلهل** قد استعمل فعل « أرعد » تماما كما استعمله **المتنبى** .[4]

الجوهرى قد أورد هذا الفعل مشفوعا برأى **الأصمعى** ولكنه لم يعلق عليه[5] . وفى مناسبة أخرى نجد **المعرى** يدافع عن استعمال **البحترى** لكلمة

---

(١) القاضى الجرجانى : الوساطة بين المتنبى وخصومه حـ ٢ ص ٣٣ ، أيضا : ابن منظور : لسان العرب ، حـ ١ ص ٢٣٦

(٢) أبو العلاء المعرى : رسالة الغفران ، ص ٣٥٤

(٣) ابن دريد : الجمهرة ح ١ ص ٢٦٩ ، حـ ٢ ص ٢٤٩ ،٣٥٠ ، حـ ٣ ص ٤٣٥

(٤) الأزهرى : تهذيب اللغة حـ ٢ ص ٢٠٧ ، شعر الكميت حـ ١ ص ٣١

(٥) الجوهرى : الصحاح حـ ١ ص ٤٨٩

« إن » لتعنى « نعم » وقد برر المعرى رأيه بأن هذه كانت عادة لغوية لقبيلة كنانة فى مكة .[1]

(١) المعرى : عبث الوليد ص ٥٠

ب - استخدام كلمات غريبة فى الشعر

الحوشى أو الغريب فى الشعر : لماذا كان مرفوضا ؟ ما هى الدوافع وراء رفضه ؟ هل نجح النقاد القدماء فى تقديم مقاييس واضحة للغريب فى الشعر ؟ ثم ما علاقة ذلك بتطور الذوق الأدبى عموما عند العرب ؟ وأخيرا إلى أى مدى نستطيع أن نتلمس عناصر الموضوعية فى مناقشة القدماء للغريب ؟

من البدهى أن الكلمات الغريبة موجودة فى القاموس العربى جنبا إلى جنب مع قسيماتها من كلمات غير غريبة ومع هذا لاقت هذه الكلمات الغريبة هجوما عنيفا من جمهرة النقاد وبخاصة نقاد العصر العباسى . السؤال المفتوح إذن هو أنه كيف حاق بهذه الكلمات داء الإهمال فنسيت أو تنوسيت وأصبحت تقع خارج دائرة الاستعمال ، للمشكلة فيما أرى جذور أعمق من تبريرها بمجرد التطور اللغوى .

وفى عرض النقاد التطبيقين للمشكلة نستطيع أن نتبين أبعادا متنوعة قد يكون أحدها أو كلها معا قد وقفت لتحد الغريب . فثمة نصوص تبين أن الكلمة كانت تعد غريبة وذلك حين كان يغمض معناها على أحد الثقات من علماء العربية والأمثلة على ذلك كثيرة فأبو حاتم السجستانى (ت ٢٥٥/ ٨٦٨) يعترف صراحة بأن بعض كلمات فى شعر أبى تمام كانت غامضة عليه(١) وقبله تحير الأصمعى فى تعيين دلالة كلمة « كهل » وهل هو الحظ أو الضخم(٢) ، ونفس الموقف يقفه المعرى فى القرن الخامس الهجرى وذلك حين تساءل ما المقصود بكلمة « بكر » فى بيت لامرئ القيس(٣)

---

(١) الصولى : أخبار أبى تمام ص ٢٤٤

(٢) ابن سنان : سر الفصاحة ص ٥٧

(٣) المعرى : رسالة الغفران ص ٣١٤

نستنتج من هذا إذًا أن مثل هذه الكلمات عدت غريبة لا لشيء إلا لمجرد غموضها على أمثال هؤلاء العلماء . هذا بُعد .

وبعد آخر للغريب نجده يرتكز هذه المرة على دعامة من محلية اللغة أو قل جغرافية الكلمة . وتقسيم العرب إلى بدو وحضر قد لعب دورا بارزا فى هذا المجال ، فالمتنبى مثلا كان يشار إليه من نقاده على أنه شاعر حضرى وما كان يحق لشاعر حضرى مثله أن يستعمل ألفاظا بدوية فى شعره ، فالصاحب ابن عباد قد لام المتنبى على استعمال كلمة « توارب » بدل « تراب » و « جفخ » بدل « افتخر »[1] ، والثعالبى من بعد الصاحب بصفة خاصة نموذج صادق لهجوم النقاد هنا بالذات فهو يذكر عدة كلمات ذكرها المتنبى فى شعره مؤكدا على أنه كان من اللازم أن يتجنبها المتنبى لأنها غريبة ، وذلك مثل : قدى ، تطس ، يرمع ، يلل ، كنهور ، نال (وهى تعنى على الترتيب : مقدار ، تدق ، حجارة بيضاء رقيقة ، عيب فى الأسنان ، سحاب ، عطاء)[2] .

البعد الثالث للغريب يمكن أن يطلق عليه بعد أو مقياس التنظير أو الترداد ففى حالة عدم وجود نظير للكلمة وارد فى الشعر القديم فإن الناقد كان يجد فرصته لرفض الكلمة على أنها غريب . الثعالبى يلوم المتنبى على كلمة ابتشاك (كذب)[3] ونفس الموقف يقفه المعرى حين نراه يطبق نفس المعيار على استعمال البحترى لكلمة تنين (حية)[4] .

---

(١) الصاحب بن عباد : الكشف ص ٤٨ ، ٧٣

(٢) الثعالبى : أبو الطيب ص ٥٠ ، ٥١ ، يتيمة الدهر حـ ١ ص ١٣٤

(٣) السابق ص ٥١

(٤) المعرى : عبث الوليد ص ٣٧ ، ٣٨

(القزوينى والسبكى من بعده قد عرّفا الغريب أو الوحشى بأنه الكلمة التى لم تكن معروفة للعربى فى الجزيرة)[1] .

وحيث كان المتنبى أكثر الشعراء تعرضا للوم النقاد على استعماله الغريب فقد يغرينا هذا بأن نتعمق السبب فى ذلك . العميدى (ت ٤٣٣/ ١٠٤١) يقول إن المتنبى إنما استعمل كلمة قنديد (الخمر) لمجرد اللعب بالألفاظ وليبين أنه على دراية باللغة العربية أو أنه يناظر الشعراء الجاهليين[2] . وفى إشارة العميدى هذه نلمح موقفا فى غاية الغرابة : الشعر الجاهلى أو بالأحرى لغة هذا الشعر كانت تتخذ دائما ، مقياس المثالية الذى على أساسه يتم تقييم الشعر العباسى ، بعبارة أخرى،العناصر التقليدية فى الشعر الجاهلى كانت لا تزال تجاز وتطبق معيارا للجودة المثالية وذلك مثل بعض المعانى الشعرية والاستعارات وما إليها . وبالرغم من ذلك فإننا نعجب لأن العميدى يلوم المتنبى على محاولته التشبه بالجاهليين .

على أى حال فإن إشارة العميدى هنا قد ترينا أنه كان ثمة تمييز بين شيئين : بين التقليد المقبول للقدماء وبين التقليد العشوائى لهم والأخير فقط هو الذى كان موضع اللوم . ويجب مع ذلك فهم إشارة العميدى هذه فى ضوء تطوير الذوق الأدبى لفهم لغة الشعر فالنقاد العباسيون برغم إيمانهم المخلص بالتقليد كما ينعكس بوضوح فى النصوص الشعرية للجاهليين وأيضا نصوص الشعر الأموى – إنما يعترفون صراحة بأن فى لغة الشعر القديم شذوذيات كان من المفروض أن يتجنبها شاعر العصر العباسى . وفى هذا الإطار ينبغى لنا أن نفهم إشارة العميدى .

---

(١) القزوينى : الإيضاح جـ ١ص ٣٣ ، السبكى : عروس الأفراح جـ ١ صفحات ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥

(٢) العميدى : الإبانة عن سرقات المتنبى ص ١٦٥

هناك بعد رابع لاعتبار الكلمة من الغريب ، وهذا البعد أو المعيار يبدو ذاتيا إلى حد بعيد إذ هو يعتمد أساسا على وقع الكلمة على الأذن وسواء كانت أذن المتلقى عموما أو أذن الناقد على وجه الخصوص فإن النتيجة لاتزال ذاتية ، فالكلمة التى لم يسعدها الحظ بأن كانت غير جميلة فى سمع ناقد ما، تعدمن الغريب . وهنا نرى أن النقاد العرب قد خلطوا ملاحظاتهم الموضوعية أحيانا باعتبارات صوتية عامة : ذاتية فى أغلب الأحوال .

والخلاصة أن الكلمة إنما كانت تعد من الغريب إذا كانت غامضة فى معناها على الناقد أو إذا كانت مستقاة من ألفاظ البادية أو إن لم يوجد لها نظير فى الشعر القديم وأخيرا إن لم ترتح لها أذن الناقد .

هذه هى الأبعاد التى رسمها النقاد التطبيقيون للغريب فى الشعر ، ولأن القواميس تلقى الضوء أكثر على هذه الأبعاد نرى ضروريا أن نقول هنا كلمة عن المصطلحات التى استعملت فى مناقشة الغريب . كانت هناك خمس كلمات[1] تستعمل أعلاما على هذه الظاهرة وهذه الكلمات أو المصطلحات هى **غريب ، وحشى ، نافر ، شاذ . عوراء** . المصطلح الأخير نسقطه من المناقشة لأنه كان من اختراع الثعالبى وحده ولم أجد غيره يستعمله . أما الكلمات الأربع الأخرى فقد كانت أكثر دورانا فى عرض القدماء لهذه المشكلة وإن كان من الصعب الوصول إلى تفرقة مميزة تفصل هنا بين مصطلح وآخر فكلها مترادفة تعنى الكلمة أو الكلمات التى لم تعد تروق الذوق الأدبى فى العصر العباسى . ومع هذا فنستطيع أن نقرب بين معانى هذه الكلمات كما تظهر لنا فى القواميس .

---

(١) فى مصطلح الغريب انظر : الصاحب : الكشف ص ٧٣ ، الثعالبى : أبو الطيب ص ٥٠ ، ٥١ ، العميدى : الإبانة ص ١٦٥ ، فى مصطلح وحشى انظر : الثعالبى : أبو الطيب ص ٥٠ ، ٥١ ، فى مصطلحى نافر وشاذ انظر : الصاحب : الكشف ص ٤٨ ، فى مصطلح كلمة عوراء انظر : الثعالبى : أبو الطيب ص ٤٥ .

الغريب معناه : الغامض أو غير المألوف ، الوحشى : مالا يستسيغه الإنسان[1] ، النافر : جزء من الكلام لا يتناسب وأجزاء الكلام الأخرى[2] ، أما الشاذ فهو غير العادى[3] . إذا وضعنا كل هذا فى تعريف واحد فإننا نستطيع أن نقول بأن الغريب إنما يعنى : كلمة غامضة لا تستقيم مع غيرها فى نص ما وبالتالى فإنها تعطى انطباعا بخشونتها أو عدم اتساقها مع الكلمات الأخرى فى النص . وهذا كما نرى يتلاقى فى مجمله مع ما قدمه التطبيقيون ليحدوا به الغريب .

وهذا من جهة أخرى إنما يعنى أن النقاد العرب أو التطبيقيين بصفة خاصة كانوا يحومون حول المفهوم القاموسى للغريب ومعنى هذا أن ثقافتهم كانت معجمية وهذه هى التى فرضت نفسها على تذوق الأدب . على أية حال فإننا مهما قدمنا من تعريفات للغريب فإن التطبيق العملى لواحد منها أو لها جميعا ليس سهلا على الإطلاق .

إننا إذ نقيم عمل التطبيقيين هنا نرى أن معيار التعرف على الغريب فى جملته كان ذاتيا (سواء كان الغموض على الناقد أم الكراهة فى السمع أم غيرهما) فمسألة «غريبية» الكلمة كانت تعتمد بالدرجة الأولى على التجربة الشخصية لكل ناقد ، وسواء كانت الكلمة مألوفة له حبيبة إلى أذنه أم لا . هذا فيما أرى أرضية مهزوزة لأن ما قد يعده أحد النقاد غريبا قد يعده الآخر مألوفا أو مألوفًا جدا وذلك حسبما تمليه الخلفية اللغوية لكل من الناقدين . إن الأذن ليست معصومة لكى يتخذ القرار على أساسها وباطمئنان ، فكل إنسان له تجربته الشخصية مع الكلمات وهذه التجربة وحدها تجعل من الصعب إصدار الحكم

---

(١) ابن منظور : لسان العرب جـ ٨ ص ٢٦١ .

(٢) السابق جـ ٧ ص ٨٢ .

(٣) السابق جـ ٥ ص ٢٨ ، ٢٩ .

بأن كلمة ما غريبة أو غير غريبة .

إنه لا يوجد فى الأدب العربى قوائم « وفيات » للكلمات . والسؤال المحير ليس فقط فى كيفية انعزال كلمات ما عن دائرة الاستعمال بل أيضا فى كيفية التعرف عليها تعرفًا موضوعيا يصلح أساسا مشتركا للتقيم . ولإحقاق الحق نقول : إن الكلمة فى مجال الشعر العربى كانت تعتبر حية ومألوفة وذلك إذا استطاع الشاعر استعمالها بطريقة مناسبة . لقد اعتاد النقاد العرب القول بأن الكلمة إنما تحسن إذا كان وقعها حسنا على الأذن ، العنصر الموضوعى لهذا المعيار يكمن فقط فى احتمال أن الأذن كان عليها أن تحظى بتدريب لغوى يمكنها من إصدار مثل هذا الحكم . هذا هو جهد التطبقيين فى الغريب .

أما النظريون فقد سبقوا زمنيًا إخوانهم التطبيقيين فى الإشارة إلى تجنب الغريب وإن كانت مناقشة التطبيقين للموضوع قد خلقت صراعا أكثر حدة مما صنعته إشارات النظريين وقد كان هذا سبب عرضنا لجهد التطبيقيين أولا .

ومن النظريين وفى مقدمتهم **الجاحظ** الذى رأى أن على الشعراء أن يتجنبوا الوحشى[1] (ربما استقى هذا من صحيفة بشر بن المعتمر) ولقد أعجب الجاحظ بلغة الكتاب لأنها فى نظرة اللغة المثالية إذ إن الكتاب يختارون كلماتهم بحرص ولهذا جاءت لغتهم وهى غير متوعرة وحشية (ولا ساقطة عامية)[2] من المؤسف أننا لا نجد لدى الجاحظ أكثر من هذه الإشارة دون تحديد واضح للمصطلحات كما هى عادته غالبا .

وبالمثل فإن ابن قتيبة لم يحدد مصطلح « وحشى » بوضوح ، بالعكس راح يستعمل ثلاثة مصطلحات : حوشى ، وحشى ، غريب لتشير إلى نفس

---

(١) الجاحظ : البيان جـ ١ ص ٢٥٥ .
(٢) السابق جـ ١ ص ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٤ .

الشيء[1] ومع هذا فقد نستطيع من خلال ما أورده من أمثلة أن نتفهم ماذا كان يعنى الحوشى أو الغريب من وجهة نظره . لقد عاب ابن قتيبة ابن أحمر الباهلى على استعماله أربع كلمات لا توجد فى العربية وهى ماموسة للنار ويابوسة للجمل فى سنته الأولى ، بنس بمعنى تأخر ، أرنة للطاقية أو الباروكة[2] . كذلك ذكر ابن قتيبة أن أمية بن أبى الصلت استعمل كلمات حوشية ، مثلا استعمل ساقورة وحاقورة وبرقع للسماء كما استعمل اسما لله عز وجل كلمة سلطيط وسمى الثغر ثغرور .. يعلق ابن قتيبة بأن هذه الكلمات لم تكن معروفة حتى للعرب القدماء . افتراضا فإن أمية قد اقتبسها من لغة أخرى أو من لغة أهل الكتاب كما يقول ابن قتيبة والنتيجة لهذا أن ظل مشكوكا فيه لغويا ولم يعتبره أحد من اللغويين المتأخرين حجة فى مسائل اللغة[3] . الحوشى إذن على رأى ابن قتيبة معناه : كلمات اخترعت كمترادفات لكلمات أخرى أكثر استعمالا أو كلمات استعيرت من لغة أخرى .

وفى أواخر القرن الثالث الهجرى . التاسع الميلادى يضيف ثعلب نقطة تجىء عرضا لتحد الغريب لديه وذلك إذ راح يوضح الجزل بأنه « ما لم يكن بالمغرب المستغلق البدوى ولا السفساف العامى » .

وبالرغم من أن هذا شبيه بما قاله الجاحظ فإننا نرى فى نص ثعلب[4] شيئين : أولا أن الغريب أو المغرب ، كلمة غامضة أو غير مناسبة للمجتمع الحضرى وثانيا أن الغريب إنما كان يمثل تطرفا كما يمثل العامى تطرفا كذلك ، وبين هذين يقع المستوى المثالى : الجزل ، والشاعر الماهر هو الذى يختار كلمات

---

(١) ابن قتيبة : الشعر والشعراء جـ ١ ص ١٣٨ .
(٢) السابق : ص ٣٥٧ .
(٣) السابق : ٤٥٩-٤٦١ .
(٤) ثعلب : قواعد الشعر ص ٥٧ وانظر الكامل ج ١ ص ١ ، ٢ لكلمتى غريب ومستغلق فقط .

من هذه المنطقة الآمنة المفصولة من حدود الرذيلتين . ومثال هذا الجزل قول الحادرة[1] .

وتصدفت حتى استبتك بواضح صلت كمنتصب الغزال الأتلع

وبمقلتي حوراء تحسب أنها وسنان حرة مستهل المدمع

أما فى القرن الرابع/العاشر فإن أمثال قدامة والعسكرى قد أجمعوا كذلك على احتقار الغريب وكان لهم فى ذلك بعض إيضاحات فى الموضوع فقدامة يؤكد أن القدماء فقط هم الفئة التى يجب أن تسامح لا ستعمالها الكلمات الغريبة ، ذلك لأنهم كانوا بدوا وعلى هذا أدخلوا الغريب فى شعرهم « على سجيتهم » أو استعملوا الغريب فى أشعارهم عن « إسماح » .

وفى هذا نرى أن هناك على رأى قدامة كلمات غريبة بطبيعتها لا دخل لاختلاف العصر فيها ، وهى نقطة كنا نود أن نجد لها إيضاحا أكثر . المهم أنه فى الوجه الآخر للمسألة نرى أن استعمال المحدثين للغريب إنما جاء محظورا لأنهم يتكلفون لذلك . مثلا أبو حزام العكلى – كما يقول قدامة – مدح كاتبا للخليفة المهدى بقصيدة أولها

تذكــرت ليلى وإهلاسهــا فلم أنس والشوق ذو مطروءة

وكانت القافية الموحدة للقصيدة تضم كلمات غريبة منها : محجوءة منهوءة ، محموءة ، متكوءة ، مبدوءة (المعانى على الترتيب : شخص يعتمد عليه أو مسئول ، عدم نضج ، قذارة ، راحة ، بداية) . قدامة على أية حال ينبه إلى خطر الغرام بالغريب واستعماله وينبه أيضا إلى استعماله بإفراط إنما يصم صاحبه ، ويكفى أن شاعرا مثل محمد بن عبد الرحمن الكوفى كان يوصم يلقب « الغريبى » وذلك لإفراطه فى استعمال الكلمات الغريبة[2] .

---

(١) قدامة : نقد الشعر ص ١٠ وأبيات الحادرة فى ديوانه ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٢) السابق : ص ١٠٠ ، ١٠١ .

نعطى لقدامة نقطة ونؤاخذه على أخرى : نعطيه أنه تنبه إلى مسألة فى غاية الأهمية وهى تتعلق بالتكنيك أو طريقة استعمال الكلمات،وإشارته إلى استعمال الغريب بالسجية أو الإسماح إنما يوضح لنا أن قدامة أدرك أن على الشاعر أن يوازن جيدا بين كلماته وألا يجعل من إحداها عنصرا ناشزا أو جافيا فى موضعه عن الأجزاء الأخرى . ومع هذا فإننا نؤاخذ قدامة على أنه قد ألمح ضمنا بأن ثمة كلمات غريبة بطبيعتها وهى التى سامح القدماء فيها : والفيصل فى رد هذا هو تصور عبد القاهر فيما بعد للموضوع حيث رأى أن الكلمات كلها سواء وإنما تشرف كلمة ما بأن تكون قد جاءت فى موضعها المناسب وذلك يتوقف على طريقة استعمال الشاعر لها فى سياقها ، لاأكثر ولا أقل .

هذا ونستطيع أن نرى أصولا لمثل إشارات هؤلاء النقاد فى نصوص العجاج (وهو الذى اشتهر أكثر من غيره باستعمال الغريب فى شعره) العجاج مرة راح يقارن نفسه بالطرماح والكميت فقال مامعناه : لأننى بدوى فإنى أصف ما أرى حقيقة ولذا يأتى استعمالى للغريب متسقا ومتناسبا فى موضعه ، وهذا كما رأى يضعه فى مكانة تفوق مكانة نظيره : الطرماح والكميت اللذين سكنا المدن ولم يصفا البادية عن عيان[١] .

العسكرى تقريبا على رأى قدامة فهو يؤكد فى أكثر من موضع بأن الاستعمال المفرط للغريب عيب يجب تجنبه ولهذا فقد عاب العسكرى مجموعة « المفضليات » لأن جامعها فى نظره قد حشد فيها فقط القصائد المملوءة بالغريب[٢] . نستطرد للحظة فنقول : إننا نرى فى نص العسكرى هذا نوعا من التطور فى الذوق الأدبى بين النظريين والتطبيقيين .

---

(١) الأصفهانى : الأغانى جـ ٢ ص ٩٧ .

(٢) العسكرى : الصناعتين ص ٩ .

التطبيقيون كانوا يأخذون أشعار القدماء كمقياس يحكمون به على شعر العباسيين على حين نجد أن اعتراض العسكرى على (المفضليات) فيه استثناء من هذه القاعدة التى درج عليها النقاد القدماء من نظريين وتطبيقيين على السواء . لا نجرؤ أن نقول إن ذلك تطور مطلق فى الذوق الأدبى بقدر مانرى أنه كان هناك نوعان من هذا الذوق عاشا جنبا إلى جنب : أحدهما ظل يمجد القديم ويقيس به أو عليه كل جديد ، وبقدر احتواء هذا الجديد على عناصر من القديم تكون جودته واحترامه ، وثانيهما بدأ يحس عصره ويرى أنه برغم احترام هذا القديم فإنه ينبغى للمحدث أن يعيش عصره وأن يستجيب لروح هذا العصر بترك الكلمات الصعبة أو الغريبة واختيار ما يناسب ثقافة العصر العباسى وذوقه الأدبى .

وقد يختتم الحديث عن جهد النظريين باقتباس ابن رشيق لقول عبد الكريم ابن إبراهيم وهو الذى لا يختلف مطلقا عن إشارة ثعلب وذلك إذ يضع المجوّد من الشعر فى منزلة بين الوحشى المستكره والمولد المنتحل[1] هذا دون إيضاح للمقصود من هذا الوحشى . ومثل هذا الإيجاز والتعميم هو ما يدمغ مساهمة النظريين جميعهم للموضوع . وكم كنا نأمل لو أضاف عبد القاهر إلى هذا ، وهو الذى فلسف قضايا البلاغة والنقد القديم وراح يتأملها ويحللها ويشرحها بعناية وتفصيل ولكنه مع الأسف لم يزد هو الآخر عن مجرد الإشارة إلى عيب الغريب فى الشعر دون تحديد يذكر لأبعاد هذا الغريب[2] .

من هذا كله نرى أن المناقشة النظرية للغة الشعر وبصفة خاصة حين مناقشة الغريب فى الشعر قد جاءت مبتسرة ومقصورة عن حدود مناقشة التطبيقين

---

(١) ابن رشيق : العمدة جـ ١ ص ١٣٣ .

(٢) عبد القاهر : أسرار البلاغة ص ٤ يذكر فقط كلمات وحشى ، غريب ، عامى سخيف دون تحديد يذكر لأى منها .

من النقاد للموضوع . ولكنها مع ذلك تكملها وتضيف إليها أولا فزع النظريين عموما من « الإفراط » فى استعمال الغريب كأنه لا ضير عموما من استعماله وثانيا التنبيه إلى مسئولية الشاعر وهو يستعمل الكلمات ومعنى ذلك أن الغربة والألفة فى الكلمات إنما تتوقف على طريقة استعمال الشاعر للكلمات وليست ترد لطبيعة هذه الكلمات . ولعل ذلك كله يكون قد ألقى بعض الضوء على موقف نقاد العرب القدماء تطبيقيين ونظريين من ظاهرة استعمال الكلمات الغريبة فى الشعر وهو موقف يرينا قبل أى شىء مدى أهمية لغة الشعر العربى لدى النقاد القدماء .

جـ - استعمال كلمات عامية

ما تضمنه القاموس العربى إنما هو فقط اللغة العربية الفصحى أو قل اللغة الرسمية إن صح التعبير ، وما وراء هذه فقد كان عاميا يجب أن تبرأ منه لغة الشعر ، وبرغم أن الكلمات العامية تعيش وتستعمل فقد كان محظورا على الشاعر أن يستعملها وإذا فعل فقد كان محلا لهجوم عنيف من قبل النقاد . صحيح أن بعض الكلمات العامية كان له أصل فى القاموس ولكن تحريف الناس لها فى الشكل أو المعنى قد جعلها دائما موضع انتقاد . فى استعمال كلمات غير دقيقة كان الشاعر هو وحده المسئول ، أما هنا فى استعمال كلمات عامية فالمسئولية موزعة بين الشاعر والمجتمع الذى يعيش فيه .

لقد راح نقاد العرب **التطبيقيون** يعيبون بعض الأبيات الشعرية لاحتوائها على كلمات عامية قالوا عنها إنها من المبتذل أو المستهجن أو المولد أو العامى . المصطلحان : عامى ومولد كانا مترادفين للكلمة التى لا تنتمى للقاموس العربى على حين أن مصطلحى : مستهجن ومبتذل كانا يعنيان الدرجة الدنيا فى سلم العامى نفسه : مثال على ذلك قول المتنبى :

إنى على شغفى بما فى خمرها لأعف عما فى سراويلاتها[1]

اعترض النقاد على استعمال الشاعر لكلمة « سراويلاتها » لأنها من المبتذل ونرى هنا أن المقياس اللغوى قد ارتبط بأساس خلقى .

أحيانا كانت مهاجمة العامى فى الشعر نابعة من عملية تحوير الشاعر لبعض الصيغ ، فنطق الكلمة أو ضبطها كان له ارتباط وثيق باعتبارها من الفصحى أو من العامية . ومثال هذا كلمة ترنج التى استعملها المتنبى بدل كلمة

---

(١) الصاحب : الكشف ص ٧٥ ، الثعالبى : أبو الطيب ، ص ٥٣ .

« اترنج »[1] .

استعمال الكلمة القاموسية بالمعنى العامى الذى يتداوله الناس كان أيضا أمرا محظورا على الشعراء ، فالآمدى يعترض على بيت لأبى تمام يقول فيه :

جليت والموت مُبْدٍ حُرَّ صفحته   وقد تفرعن فى أفعاله الأجل[2] .

لقد أبديت مهارة وشجاعة بينما كان الموت على الأبواب وقد تفرعن عمر الإنسان فى تلك اللحظة الرهيبة .

اشتقاق **أبى تمام** « تفرعن » من اسم فرعون كان من وجهة نظر **الآمدى** استعمالا عاميا .

ومثال آخر قول **أبى تمام** :

ما مقرب يختال فى أشطانه   ملآن من صلف به وتلهوق[3] .

الحصان لا يلحق ، يعدو بخيلاء فى حباله ، يمتلئ دلالا وهو يزهو بسرعته .

قال **الآمدى** إن استعمال كلمة « صلف » لتعنى الفخر موجود فقط فى الاستعمال العامى للكلمة . الكلمة فى معناها الفصيح مشتقة من فعل « صلف » **الذى يعنى** عدم الحظ أو **المكروه**[4] ، وعلى هذا الأساس **فإن أبا تمام** من وجهة نظر **الآمدى** قد عاب الحصان من حيث ظن أنه يمدحه .

---

(١) الوساطة ، ص ٣٥٨ ، الكشف ، ص ٥٣ ، أبو الطيب ، ص ٤٨ ، الواضح ، ص ٦٢ وفى هذا الكتاب الأخير لم يعترض الناقد على الكلمة . انظر فى معنى هذه الكلمة : فصيح ثعلب ، ص ٦٩ .

(٢) الموازنة ، جـ ١ ص ٢٢٦ ، التبريزى ، جـ ٢ ص ١١١ .

(٣) الموازنة ، جـ ١ ص ٢٣٤ التبريزى ، جـ ٢ ص ٤٠٩ .

(٤) صفحة ٦ فى **ذيل الفصيح لعبد اللطيف البغدادى** (ت ٦٢٩/ ١٢٣١) صلف : عديم الحظ وليس المكروه كما أشار المعرى .

برغم إيراد **الآمدى** لهذين البيتين كنموذجين لاستعمال العامية ، فإنى أرى أن الأساس مختلف فى كل منهما . ففى حالة « تفرعن » شعر **أبو تمام** بحريته فى اشتقاق صيغة جديدة من الأصل « فرعون » ، بينما فى الحالة الأخرى نجده قد استجاب وبطريقة طبيعية للغة المستعملة فعلا فى الحياة اليومية ، ولهذا فقد استعمل كلمة « صلف » بمعناها الواسع الذى تعرفه القاعدة العريضة من الناس .

الناقد القديم وهو هنا **الآمدى** لم يكن ليسمح للشاعر باستعمال أية عناصر من العامية فى شعره ، المقبول من اللغة هو الموجود فى القواميس . وما عداه عامى .

وبرغم هذا الموقف المتشدد من الآمدى فإن **المعرى** فى القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى كان يسمح بوجود عاميات فى الشعر ، لقد قبل مثلا كلمات مثل « اشتيام » ، « برطيل » ، طبخشى (قائد السفينة أو سمكة كبيرة ، رشوة ، شحاذ على الترتيب) .

والسؤال الآن : لماذا لا نعترف بوجود ذوق عام **غير** متخصص ربما كان يعجبه أن يرى نفسه فى الشعر على الأقل بكلمة أو كلمتين . وربما أيضا أصاخ الشاعر لهذا الإحساس وأراد الاقتراب من مجتمعه حين راح يطعم شعره بكلمة أو كلمتين من العامية وهى اللغة الطبيعية فى حياة الناس . إن لنا من التراث ما يؤيد هذا الافتراض ، لقد أشار **الفتح بن خاقان** على **البحترى** ألا ينقّح كلماته كثيرا ، وقد طلب من **البحترى** أن يختار أسلوبا رقيقا ولينا ، وحجته لذلك أن **الخليفة المتوكل** يستمتع فقط بما يفهمه[1] .

بالطبع نحن نعترف بجدارة الذوق الآخر : « المتخصص » والذى كان

---

(١) الصولى : أخبار البحترى ص ٨٦ .

يتشدد فى مثل هذه المسائل ، ولكنا نعيب عليه أنه قد بالغ كثيرا فى التطبيق ، ولا أدل على هذه المبالغة من أن النقاد راحوا يعيبون على **أبى تمام** استعماله لكلمتىْ : التين والعنب فى شعره وذلك فى البيت الذى يقول :

تسعون ألفا كآساد الشرى نضجت   وعمرهم قبل نضج التين والعنب(١)

وقد نستميح القارىء عذرا فى اقتباس الخلفيّة التاريخية لهذه القصة . كان البيزنطيون قد زعموا **أن المعتصم** لن يغزو بلادهم فى فصل التين والعنب ، وقد كان ذلك صحيحا لأنه هـاجمهم وانتصر عليهم قبل أوان التين والعنب . **أبو تمام** على هذا وهو يتمثل الواقعة راح يستغل هذه الحكاية فى شعره . لقد استعملت هاتان الكلمتان فى الشعر قبل **أبى تمام** بكثير ،استعملهما **ابن قيس الرقيات** (ت ٨٥/٧٠٤) فى بيته الذى يقول :

سقيا لحلوان ذى الكروم وما   صنف من تينه ومن عنبه

وقد يدفعنا هذا الموقف إلى أن نقول إن مقاييس النقاد لم تكن أبدا ثابتة ، فبالرغم من حرصهم على تطبيق معيار التراث وتمجيد القديم والحكم على شعر العباسيين فى ضوء ماورد فى التراث الشعرى القديم – أقول بالرغم من حرصهم على هذا فإنهم أحيانا لم يطبقوا هذا المقياس خاصة عندما كانوا يجدونه ضد آرائهم .

الصاحب بن عباد هاجم **المتنبى** أيضا لأنه قال :

فكأنما حسب الأسنّة حلوة   أوظنها البرنى والآزاذا

ظن العدو أن أسنة الرماح شيئا حلوا أو هذين النوعين من التمر : البرنى والآزاذ . يقول **الصاحب** : هاتان الكلمتان تستعملان فقط فى سوق البلح

---

(١) الصولى : أخبار أبى تمام ، ص ٣٠ .

فى البصرة وليس فى الشعر الذى يصف معركة[1] ، وكأن فى ذلك دعوة إلى تلاؤم المعجم الشعرى لشاعر ما والموضوع الذى يتناوله .

هذا و لم يقف الأمر فى مسألة العامية عند حدود استعمال كلمة ، بل تعدى ذلك إلى الهجوم على استيحاء عبارة عامية فى الشعر ، ولهذا نجد الثعالبى يعيب على المتنبى الشطر الثانى فى البيت :

وكل مكان أناه الفتى ... على قدر الرجل فيه الخطى[2]

قائلا : إن ذلك كلام عامى ما كان للشعر أن ينحدر إليه .

المقياس هنا هو أن العبارة إذا كانت مستمدة من كلام الناس فإنها فى نظر النقاد منحطة كثيرا عن تلك المكانة التى كانوا يتهافتون فيها على استيحاء نماذج مثلها من القديم ولكن الشفيع هنا هو أن السابقين قد قالوها .

باختصار كان معيبا أن يدخل الشعر أية عاميات أو كلمات مبتذلة أو أسماء أطعمة فى مناسبة جليلة أو حتى عبارات مستوحاة باستعمالاتها العامية .

د - استعمال كلمات أجنبية

الشاعران اللذان انفردا بإدخال كلمات غير عربية فى شعرهما هما : المتنبى بدرجة كبيرة والبحترى بدرجة أقل . فالمتنبى قد عيب على استعماله كلمة « مخشلب » = اللؤلؤ الأبيض ، وقد دافع المتنبى عن نفسه بأنه لم يكن بدعا فى هذا لأن الكلمة قد استعملها الشاعر العجاج من قبله ولكن ناقدا كالقاضى الجرجانى يرد عليه بأنه لم يرها فى شعر العجاج ولكنه مع ذلك لا يلومه على استعمالها قائلا إن الشعراء العرب القدماء قد استعملوا كلمات غير عربية فى أشعارهم أحيانا لضرورة القافية . لكن فى أحايين أخرى كانوا يستعملون

---

(١) الصاحب : الكشف ٦٥ ، الحاتمى : الرسالة ٤٢ ، المعجم الكبير ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٢٥ .

(٢) الثعالبى : أبو الطيب ٥٢ .

كلمات غير عربية بالرغم من وجود نظائر لها فى العربية ،والنظير أحيانا كان أكثر من كلمة واحدة . فمثلا هم استعملوا كلمة « البرق » بدلا من كلمة « الحمل »[١] وهذه الكلمة استعاروها من كلمة « بره »الفارسية ، والعرب غالبا ما تستبدل بالهاء قافا[٢] .

وعلى هذا فإن **القاضى الجرجانى** كان متسامحا مع **المتنبى** فى استعماله الكلمات الأجنبية لأن موقفه هذا له نظيره فى التقاليد الشعرية الموروثة وهو المقياس الذى احترمه تقريبا كل النقاد[٣] باستثناء القليل منهم .

وشبيه بموقف **القاضى الجرجانى** القليل فى القرن الرابع الهجرى موقف **المعرى** فى القرن الذى يليه ، حين راح يورد عددا من الكلمات الأجنبية التى استعملها **البحترى** فى شعره . وهو لا يحاسب **البحترى** على مجرد استعمالها وإنما يعيب عليه تشويهه لها من أصلها الأجنبى . فمثلا عاب عليه أنه غيّر تشكيل كلمة طرسوس وجعلها **طرسوس** بفتح الطاء وهى صيغة نادرة فى العربية كما يقول **المعرى** والنتيجة لهذا أن الكلمة تصبح ثقيلة على الأذن العربية[٤] .

فى مناقشة **المعرى** هذه نلاحظ نقطتى ضعف ،أولاهما أننا نجد فى **فصيح ثعلب** أن الكلمة قد تم ضبطها[٥] تماما كما استعملها البحترى . وثانيهما أنه

---

(١) الجواليقى : المعرب من الكلام الأعجمى ، ص ٩٣ ، ١٩٩ ، ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٣٨٤ .

(٢) الجواليقى : المعرب ، وانظر اقتباسا من لسان العرب ، ص ٣١٣ .

(٣) الوساطة : جـ ٢ ص ٣٥١ ، ٣٥٤ .

(٤) المعرى : عبث الوليد ، ص ٢٢٥ ، نفس الاعتراض على كلمة قطربل ص ٢٠١ .

(٥) ثعلب : الفصيح ص ٤٥ بتركيزنا على دور التطبيقيين لانغفل دور النظريين وما لهم من أمثلة تطبيقية ، ولكنا نضرب صفحا عنهم هنا لما يأخذنا به منهج الموضوعية فى بحث هدفه التركيز فقط على دور التطبيقيين ولا نرى فى ذلك إنقاصا أو نيلا من دور النظريين الرائد .

كان شائعا أن تغير بعض الصيغ التى لم تكن عربيـة الأصل . والذى يتصفح كتاب « المعرّب » للجواليقى يدرك بوضوح أنه كان مسموحا أن تغيّر الصيغ المستعارة من لغة غير العربية سواء عن طريق إبدال حرف من حرف أو حركة من حركة أو إضافة حرف ما أو حذف حرف أو إبدال حرف بحركة أو حرف بحرف . فعل العرب هذا بالطبع إلى جانب الإبقاء أحيانا على بعض مانقلوه من صيغ واستعمالها كما هى . ومع ذلك فيبدو أن نقاد العصر العباسىّ قد حمّلوا المسألة أكثر مما تحتمل .

وباختصار فإن هؤلاء النقاد كانوا يقبلون الكلمات الأجنبية فقط عندما كانت تتمشى مع الأشكال والصيغ العربية ، ويبدو أن تأثير اللغويين كان عميقا فيهم ولا شك أن ذلك كان انعكاسا واضحا لموقف **أبى على الفارسى وابن جنى** فى أن « ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب » ونضيف على هذه المقولة بأن ما جاء غير مقيس على كلام العرب كان موضع ملاحظة ولفت نظر .

على أية حال فإن استعمال الشاعر لكلمة غير عربية لم يكن معيبا بالقدر الذى عيب فيه الشعراء على استعمالهم كلمات عامية . وهذا يجعلنا نؤكد أن النقاد لم يتسامحوا فى استعمال العامية رغم كونها صنوا للفصحى بقدر ما تسامحوا بالنسبة لاستعمال كلمات غير عربية أصلا ، وهذا موقف غريب بعض الشىء .

الخلاصة لهذا العرض كله أن نقاد العرب التطبيقيين قد طبقوا مقاييسهم الخاصة بالمعجم الشعرى تطبيقا ضيقا إلى حد كبير ، وكما رأينا فإنهم قد ربطوا ربطا وثيقا بين المعجم الشعرى والمعجم اللغوى وكأنهم أرادوا للأول أن يجىء أمينا وانعكاسا للثانى كما قرره اللغويون العرب . وقد ثبت من هذا العرض أن نقداتهم لم تكن كلها صوابا على طول الخط كما أن بعض الآراء النقدية

جاءت ذاتية تأثرية لا تحمل إلا قدرا بسيطا من الموضوعية أو تخلو منها تماما . كما أن بعض الآراء كانت تعسفية وذلك بالتركيز على السلبيات .

وفى سبيل التطبيق الحرفى للمعنى القاموسى للكلمة فى الشعر تجاهل النقاد أو جهلوا المعانى الهامشية للكلمات ، وفى عملية فرز دقيق لاعتراضاتهم لم نجد ثمة حالة واحدة توقف فيها معنى البيت ككل على استعمال كلمة ما بهذه الطريقة أو تلك . هذا ولم تخدم كل نقدات النقاد العملية الفنية فى الشعر بقدر ما كانت مجرد مباراة لغوية بحتة . كذلك فإننا لا نبرئ بعض النقاد من تعصبهم الشخصى تجاه شاعر عظيم كالمتنبى وذلك واضح فى طريقتهم فى مؤاخذته على أشياء ثانوية لم تستوعب أسلوبه كله . وقد نتقدم خطوة فنقول إن الاعتراضات ربما قصد بها هدم شهرة الشاعر والنيل منه وليس إرشاده أو تصويب خطواته .

عناوين الكتب التى كتبها النقاد التطبيقيون كان فيها بعض التمويه فكلمة الموازنة أو الوساطة أو الكشف أو الإبانة أو الرسالة الموضحة كل هذا يبدو حياديا ، ولكن ما أن نبدأ فى قراءة صلب الكتاب حتي يسفر العداء عن نقابه والصاحب والثعالبى أوضح مثالين على ما نقول . ومع هذا فقد كان هنالك بعض المتسامحين من أمثال القاضي الجرجانى والمعرى .

النقاط التى تركز حولها النقد كانت هى هى وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على أن هؤلاء النقاد لم يكونوا مستقلين فى آرائهم بل راحوا ينقلون عن بعضهم البعض أو ربما نقلوا من مصدر واحد ولكن هذا المصدر مايزال مجهولا لنا حتى الآن .

وختاما لهذا العرض نرى أن نصنف الشعراء فى ضوء ماأثير عنهم من أخطاء من قبل نقادهم على النحو التالى :

ا – فى مسألة عدم الدقة فى استعمال الكلمات وانحرافها عن المعنى القاموسى المحدد لغويا فإن جملة الاعتراضات والمؤاخذات كانت موجهة إلى المتنبى وأبى تمام .

ب – فى مسألة استعمال الغريب انصبّ كل النقد تقريبا على المتنبى .

جـ – فى استعمال العامية كان اللوم ضد المتنبى وأبى تمام .

د – فى استعمال الكلمات الأجنبية دارت المناقشات حول المتنبى والبحترى .

ولعل هذا يلقى الضوء أيضا على إحدى خصائص كل واحد من هؤلاء الشعراء الكبار الذى دار حولهم صراع النقاد التطبيقيين فى أحد جوانب نظرية الاكتمال اللغوى وهو جانب المعجم الشعرى على وجه الخصوص .

ولعلنا بهذا كله نكون قد جلونا أهمية الدلالة المعجمية على المستوى الأدبى .

الباب الرابع
البُعد النحوى

الباب الرابع : البعد النحوى

يجىء هذا البعد متمما ومتوّجا للأبعاد السابقة من صوتية وصرفية ومعجمية . فالأصوات والصرف دراستان لازمتان للدراسة النحوية ،[1] وكذلك فإن المعجم والجراماطيقا متكاملان ، لأنهما طريقتان لتناول المعنى من وجهتىْ نظر مختلفتين .[2] وهذا هو عين ما قصدنا إليه بنظرية الاكتمال اللغوى .

يقول ابن خلدون : كانت اللغة العربية ملكة فى ألسنتهم (يقصد ألسنة العرب) يأخذها الآخر عن الأول ... فلما جاء الإسلام ، وفارقوا الحجاز لطلب الملك الذى كان فى أيدى الأمم والدول ، وخالطوا العجم ، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التى للمستعربين ... وخشى أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا ويطول العهد بها ، فينغلق القرآن والحديث على المفهوم ، فاستنبطوا من مجارى كلامهم قوانين لتلك الملكة ... ثم رأوْا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات ، فاصطلحوا على تسميته « إعرابا » ، وتسمية الموجب لذلك التغير « عاملا » .... واصطلحوا على تسميتها بـ « علم النحو »[3]

لقد قيل إن العربى يتكلم بالسليقة حتى إنه لو أراد أن يخطىء ما أخطأ ، وربما كان وراء ذلك فكرة دينية مستمدة من أن اللغة توقيف وإلهام من الله عز وجل ، علَّمها آدم ، إذ قال سبحانه « وعلم آدم الأسماء كلها »[4]

---

(١) المخزومى : مدرسة الكوفة ص ١٩٧ .
(٢) تمام حسان : مناهج البحث ص ٢٣٣ .
(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤٦ .
(٤) ابن جنى : الخصائص حـ ١ ص ٤٠ .

وهذه مسألة فيها نظر ، ذلك لأن ظاهرة الإعراب ليست شيئا يُعرف بالسليقة ، حيث إن التشكيل الإعرابى لم يكن فى مقدور كل العرب ، لقد كان صفة من صفات اللغة النموذجية الأدبية ، يعزّز ذلك ما ورد إلينا من روايات موثقة بوقوع العرب والموالى فى اللحن الإعرابى ، وأيضا مؤاخذة من يلحن[1] . وإذا كان اللحن بمعناه العام قد ورد فى مجالات عديدة كالأصوات والصرف والمعنى ، فإنه كان أسبق فى مجال الإعراب .

يقول أبو الطيب اللغوى :

« واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب وأحوج إلى التعليم :الإعراب ، لأن اللحن ظهر فى كلام الموالى والمتعربين من عهد النبى (ﷺ) فقد روينا أن رجلا لحن بحضرته ﷺ فقال : « أرشدوا أخاكم فقد ضل » . وقال أبو بكر رضى الله عنه : « لأن أقرأ فأسقط أحب إلىّ من أن أقرأ فألحن »[2] .

وبتوالى الأيام ، انتشرت جرثومة اللحن فأعدت الخاصة ، حتى صاروا يعدّون من لا يلحن ، وانتقلت من الحاضرة إلى البادية . قال الجاحظ : « قالوا : وأول لحن سمع بالبادية : هذه عصاتى »[3] .

من هذه النصوص وأمثالها ينبغى أن ينظر إلى مسألة السليقة فى ضوء مستويات الأداء اللغوى ، وقد حفظ لنا كتاب سيبويه العديد من الاختلافات كتلك التى كانت بين الحجازيين وبنى تميم فى اعتبارات نحوية أساسية .

فالقول بأن العربى يتكلم بالسليقة أو أنه لا يخطئ ، إنما ينصرف إلى اللغة المحكية الموروثة إرثا عفويا سليقيا لا يحتاج المرء معه لأية ضوابط ،

---

(١) عبد الرحمن السيد : مدرسة البصرة ص ٣١٢ .
(٢) أبو الطيب اللغوى : مراتب النحويين . أيضا : محمد الطنطاوى : نشأة النحو ص ٩ .
(٣) الطنطاوى : السابق ص ١١ .

لا من الناحية الاشتقاقية ولا من الناحية الدلالية ولا من الناحية التركيبية (والحديث هنا عن ابن اللغة وليس الأجنبى الذى يتعلم العامية إذ هو محتاج إلى تعليم وتدريب) .

وعلى ذلك فإن انتفاء الخطأ فى اللغة الفصحى أو النموذجية المشتركة أمر لا يقطع به دليل علمى .[1]

على أية حال ، فقد جاء التأليف فى علم النحو نتيجة للاحتياجات المتغيرة والظروف الملحة فى المجتمع الإسلامى .

كان سبب تسمية هذا العلم « **نحوا** » أنه يقال : إن عليا بن أبى طالب أعطى رقعة إلى **أبى الأسود الدؤلى** جاء فيها :

« الكلام كله اسم وفعل وحرف ، ثم قال له : انح هذا « النحو » وأضف إليه ما وقع لك »[2] .

كما يروى أن أبا الأسود عندما عرض على الإمام « على » ما وضعه ، أقرّه عليه بقوله : « **ما أحسن هذا** « **النحو** » الذى نحوت »[3] .

وكان يطلق على النحو « **علم العربية** » ، فهذا ابن سلام يقول فى « الطبقات » : وكان أول من أسس « العربية » ، وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها : « **أبو الأسود الدؤلى** » . كما ذكر **ابن قتيبة** نفس الشيء فى كتابه « المعارف » حيث يقول : « أول من وضع « العربية » أبو الأسود »[4] .

هذا وإن كلمة « **نحو** » مصدر شائع تقول : نحوت نحوا أى قصدت

---

(١)د / عفيف دمشقية : المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربى ، ط أولى ، بيروت ١٩٧٨ .

(٢) د / عبد الرحمن السيد : مدرسة البصرة ص ٤٤ .

(٣) الطنطاوى : نشأة النحو ص ٢٣ ، ٢٤ .

(٤) ابن سلام : الطبقات ص ١١ ، ابن قتيبة : المعارف ص ٧ .

قصدا ، ثم خصَّ به انتحاء هذا القبيل من العلم ، كما يشير ابن جنى فى كتابه « الخصائص »[1] .

والذى يتتبع نشأة النحو العربى يجد أنه جاء ثمرة من ثمرات الدراسة القرآنية[2] ، وقد نشير إلى ذلك بتفصيل على نحوٍ ما .

لقد نبتت ونمت فكرة جمع القرآن فى الصحف ، وذلك فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، وقد تم جمع القرآن فى عهده بإشارة من عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ثم توحدت نصوص القرآن فى المصاحف ، بعد أن رأى أولو الأمر ما كان بين المسلمين من خلاف وجدال ، وكان ذلك فى عهد عثمان رضى الله عنه ، والذى دعا عثمان للقيام بهذا العمل توضحه القصة التالية :

« كان حذيفة بن اليمان فى غزو أذربيجان مع أهل الشام وأهل العراق ، وكان الشاميون يقرأون بمصحف أبى بن كعب ، وأهل الكوفة من العراقيين يقرأون بمصحف عبد الله بن مسعود ، وأهل البصرة منهم يقرأون بمصحف أبى موسى الأشعرى ، وكانوا لذلك يتجادلون ، بل كان أهل الشام يكفرون أهل العراق ، وأهل العراق يكفرون أهل الشام .

فلما رجع حذيفة من الغزو ، أقبل على عثمان يطلب إليه أن يعمل شيئا يجمع كلمة المسلمين ، وكان عثمان نفسه قد لمس هذا الخطر بنفسه ، فقد كان قراء المدينة يختلفون فيما بينهم ، وهم منه ومن الصحابة على كثب . فعمل على توحيد نصوص القرآن وإذاعتها فى الناس ، واختار لذلك جماعة من الصحابة من حفظة القرآن ، وتم على أيديهم ما أراد ، ونسخ القرآن بلغة قريش لأنه إنما

---

(١) د / عبد الرحمن السيد : مدرسة البصرة ص ٦١ .
(٢) المخزومى : مدرسة الكوفة ص ٤٤٣ .

أنزل بلسانهم ، وبعث عثمان بنسخ منه إلى الأمصار ، وأمر أن تحرق المصاحف الأخرى .[1]

كان ذلك بين سنتى ٣٠ و ٣٢ أو ٣٣ هجرية على الأرجح »[2] .

وكانت هذه المصاحف الأولى على نوع من التجرد إلا من صور الحروف ، فلم يكن فيها نقط ولا إعجام ، وكان هذا أمراً مألوفا فى العصر الأول (حتى أيام عبد الملك بن مروان) لقرب الناس من زمان العلوم ، ومشافهة صاحب الوحى عليه الصلاة والسلام .[3]

ثم وضع **نقط الإعراب** على آيات القرآن الكريم على يد **أبى الأسود الدؤلى** ت ٦٨ هـ بتكليف من زياد بن أبيه والى البصرة (٤٥ - ٥٣ هـ) أو ابنه عبد الله الذى خلفه على ولاية البصرة (٥٥ - ٦٤ هـ) .

وهذا النقط كان يهدف إلى تمييز حركات الحروف من ضم وفتح وكسر ، وكان يوضع ذلك بالمداد الأحمر إما بين يدى الحرف أو تحته أو فوقه[4] .

ويقال : إن أبا الأسود اتخذ كاتبا فطنا حاذقا من بنى عبد القيس ، وقال له : إذا رأيتنى قد فتحت شفتىّ بالحرف ، فانقط نقطة فوقه على أعلاه ، وإن ضممت شفتى فانقط نقطة بين يدى الحرف ، وإن كسرت شفتى فاجعل النقطة من تحت الحرف ، فإن أتبعت شيئا من ذلك غنّة (تنوينا) فاجعل مكان النقطة نقطتين .[5]

---

(١) أصول هذه الروايات فى تفسير الطبرى حـ ١ ص ٣١ ، صحيح البخارى حـ ٩ ص ١٣ ، ١٧ .

(٢) بدران أبو العينين بدران : دراسات حول القرآن ص ٧٥ .

(٣) د / عبد الصبور شاهين : تاريخ القرآن ص ٦٩ .

(٤) د / المخزومى : مدرسة الكوفة ص ٣٦ ، ٢٨٢ ولتفصيل أكثر . انظر :شاهين ،تاريخ القرآن صفحات ٦٨ - ٧٣ .

(٥) د / شوقى ضيف : المدارس النحوية ص ١٦ عن الدانى : المحكم فى نقط المصاحف ط دمشق ص ٣ وما بعدها . وأيضا ، القفطى : إنباه الرواة ط دار الكتب المصرية حـ ١ ص ٥ .

ثم وضع **نقط الإعجام** على يد نصر بن عاصم (أحد تلاميذ أبى الأسود ، فى ولاية الحجاج بن يوسف الثقفى (٧٤ - ٩٥ هـ)

وكان هذا النقط يهدف إلى تمييز الحروف المتشابهة فى الصورة بعضها من بعض ، كتمييز الباء من التاء ومن الثاء ، وكتمييز الجيم من الحاء ومن الخاء وهكذا .

وقد توجت كل هذه الجهود بعمل **الخليل بن أحمد الفراهيدى** (ت ١٧٥ هـ) ، وذلك حين قام بوضع علامات خاصة للفتحة والضمة والكسرة قصد التمييز بين علامات الإعراب وعلامات الإعجام .

وقد جعل الخليل علامة **الفتحة** ألفا قصيرة توضع فوق الحرف ، وعلامة **الضمة** واوا صغيرة توضع فوق الحرف ، وعلامة **الكسرة** ياء صغيرة توضع تحت الحرف ، لأنه كان يرى « أن الفتحة من الألف ، والكسرة من الياء ، والضمة من الواو »[(١)] .

وهذا العمل قد أغنى المسلمين من اللجوء إلى استعمال لونين من المداد للتفرقة بين نقط الإعراب ونقط الإعجام .

علماء المسلمين - إذا - قد قاموا على مر العصور وبتكليف من أولى الأمر بجمع القرآن الكريم ، وكتابته ، وتوحيد نصه ، وإعرابه ، وإعجامه .

من كل هذا ندرك أن النحو قد نشأ وليد التفكير فى قراءة القرآن [(٢)] ويؤيد هذا أن أوائل الدارسين من النحاة كانوا من القراء فى البصرة والكوفة على حد سواء .

ففى البصرة كان هناك **عبد الله بن أبى إسحق الحضرمى** ت ١١٧ هـ .

---

(١) د / المخزومى : السابق ص ٣٥ .

(٢) يشير الدكتور السعيد بدوى إلى أن تقعيد قواعد اللغة والاهتمام بالنحو كان القصد به أساسا خدمة الأعاجم ومساعدتهم على تعلم العربية . انظر كتابه : مستويات العربية فى مصر ص ٣٥ . فى رأيي أن ذلك يصدق على الفترات المتأخرة وليس على مرحلة النشأة .

وعيسى بن عمر ت ١٤٩ هـ ، وأبو عمرو بن العلاء ت ١٥٤ هـ ، والخليل بن أحمد الفراهيدى ت ١٧٥ هـ .

وفى الكوفة ، كان هناك على بن حمزة الكسائى ت ١٨٩ هـ ، والفراء ت ٢٠٧ هـ[١] .

(١) د / المخزومى : مدرسة الكوفة ص ٣٦ ، ٣٧ ، أيضا د / شوقى ضيف : المدارس النحوية ١١ ، ١٨ .

القواعد النحوية

الفاعل مرفوع ، المفعول به منصوب ، المضاف إليه مجرور – هذه وأمثالها قواعد نحوية ، وقد يستهوى باحثا ما أن يختبر طريقة صوغ القواعد النحوية ومدى التطور الذى أصابها ، ولكنا هنا نعنى بسؤال يخطر لذهن الدارس : على أى الأسس ، وبأية مقاييس كانت ظواهر لغوية معينة تنضم بعضها إلى بعض عن طريق الملاحظة والتجريب لتكون قاعدة ملزمة من قواعد النحو ؟

هنا تجدر الإشارة إلى **ثلاثة** عناصر :

مادة القواعد أو مصادرها ، البحث فى المكان والقبائل ، البحث فى الزمان أو عصور الاحتجاج اللغوى .

(سنجد فى عرضنا خلطا بين عصور الاحتجاج اللغوى والأدبى) .

فيما يتعلق **بالمادة** التى أخذت لتحدد القاعدة النحوية ، وبطريقة موثقة كان لكل من البصريين والكوفيين منهج[٢] .

فالبصريون قد رأوا الاعتماد على القرآن الكريم ، والشعر الجاهلى

---

(١) تجدر الإشارة هنا إلى أن النحويين ما كادوا يقررون القواعد العامة حتى اصطدموا بأمثلة مخالفة لما ذكروه (ازدواج لغوى) انظر لتفصيل هذا : د / السعيد بدوى : مستويات العربية ص ٢١ .

والإسلامى ، والفصحاء من العرب سكان البادية ، والأمثال - أما الحديث فلم يجوزوا الاستشهاد به فى مجال النحو .

أما الكوفيون فقد اعتمدوا - إلى جانب المصادر التي اعتمد عليها البصريون - على لغات أخرى ، بالإضافة إلى لغات أعراب البادية ، وهى لهجات عرب الأرياف[1] .

وقد استرعى أنظار علماء العصور الوسطى مسألة تحديد القبائل التى اعتمد عليها فى هذا الصدد .

فالفارابى يذكر فى كتابه **الحروف** : أن الذين عنهم نقلت العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم : **قيس** ، **وتميم** ، **وأسد** . وأن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ معظمه وعليهم اتكل فى الغريب وفى الإعراب والتصريف ، ثم **هذيل** ، **وبعض كنانة** ، **وبعض الطائيين** ، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم[2] .

كذلك فإن **المقدسى** يذكر فى كتابه : أحسن التقاسيم أن أصح العربية فى جزيرة العرب عند هذيل ، ثم فى قسمىْ نجد ، ثم أخيرا بقية الحجاز ، على حين يصف لغة السواحل - الأحقاف - بأن لسانهم وحش[3] .

وبالمثل يشير **ابن خلدون** إلى نفس الظاهرة ، وذلك إذ يذكر أن لغة قريش أفصح اللغات العربية وأصرحها لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم ، ثم من اكتنفهم من ثقيف ، وهذيل ، وخزاعة ، وبنى كنانة ، وغطفان ، وبنى أسد ، وبنى تميم ، وأما من بعد عنهم من ربيعة ، ولخم ، وجذام ، وغسان ،

---

(١) د / المخزومى : مدرسة الكوفة ص ٧١ ، ٧٢ ، ٣٧٧ .

(٢) الفارابى : كتاب الحروف ص ١٤٧ وقد ردد السيوطى هذا بنصه فى كتابه : المزهر حـ ١ ص ٢١٠ ، ٢١١ .

(٣) يوهان فك : العربية ص ١٩٢.

وإياد ، وقضاعة ، وعرب اليمن المجاورين لأمم الفرس والروم والحبشة فلم تكن لغتهم تامة الملكة بمخالطة الأعاجم ، وعلى نسبة بعدهم من قريش كان الاحتجاج بلغاتهم فى الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية .[١]

كانت القبيلة وموقعها على خريطة الجزيرة العربية يؤثران على لهجتها ، كما أن السلوك الشخصى لصاحب النص كان يوضع فى الاعتبار[٢] .

كان البصريون يفتخرون بقولهم : نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء : يعنون الكوفيين فقد أخذوا اللغة عن أهل السواد أصحاب الكواميخ وأكلة الشواريز[٣] .

ربما جاءت هذه المقولة اعتمادا على ما فعله الكوفيون من الأخذ عن لهجات عرب الأرياف كأعراب سواد الكوفة من تميم ، وأسد ، وأعراب سواد بغداد من أعراب الحطمية الذين غلط البصريون لغتهم .

رأى الكوفيون أن هذا يمثل فصيحا من اللغات لا يصح إغفاله ، وخاصة حين وجدوها ممثلة فى القراءات السبع للقرآن الكريم[٤] .

أما الزمن أو عصر الاستشهاد أو الاحتجاج ، فأول سؤال يطرأ هنا :

من المسئول عن وضع زمن معين لهذا ؟ .

المسئول الأول عن تقنين عصور الاحتجاج هو **أبو عمرو بن العلاء** ت ١٥٤ هـ حيث وضع حدا لنهاية الاحتجاج فى اللغة والنحو منتصف

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٥٥ .
(٢) د / عبادة : عصور الاحتجاج ص ٢٢١ .
(٣) الجاحظ : البيان حـ ١ ص ٣٤٧ ، وأيضا : المخزومى : مدرسة الكوفة ص ١٧٦
(٤) د / عبادة : السابق ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، عن القراءات السبع انظر : السيوطى : الإتقان .

القرن الثانى الهجرى ، وجعل وفاة إبراهيم بن هرمة آخر الشعراء الذين يحتج بشعرهم ، وإبراهيم هذا قد توفى بعد سنة ١٥٠ هـ .[١]

ويؤيد هذا ما ذكره **ابن رشيق** ت ٤٦٣ هـ من أن أبا عمرو بن العلاء وأصحابه كالأصمعى ، وابن الأعرابى كانوا لا يثقون كثيرا فيما يأتى به المولدون .[٢]

ولكن هذا الرأى لم يلق قبولا لدى علماء العصور الوسطى ، فهذا ابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ ينقد مبدأ الوقوف عند حد زمنى للاحتجاج ، مشيرا إلى أن الله سبحانه وتعالى لم يقصر الشعر والعلم والبلاغة على زمن دون زمن .... بل جعل كل قديم منهم حديثا فى عصره . وربما كان هذا هو الدافع وراء استشهاده بشعر أبى تمام فى اللغة .[٣]

وكان **الزمخشرى** ت ٥٣٨ هـ يتبع نفس النهج ، وذلك إذ راح يحتج ببيت لأبى تمام قائلا :

« أجعل ما يقوله أبو تمام بمنزلة ما يرويه » مشيرا بهذا إلى أن أبا تمام قد جمع تراث العرب الأوائل فى كتابه الحماسة .

الأمر كما يتصوره الدكتور عبادة كان يحتاج من النحويين إلى وقفة لمراجعة المبدأ الذى بدأ به أبو عمرو بن العلاء ، والنظر فيه . ولكن ذلك لم يحدث ، فضاعت صيحات ابن قتيبة وابن رشيق والزمخشرى أدراج الرياح[٤] .

ولعبد القادر البغدادى (عاش زمن بشار و أبى نواس : أى فى القرن الثانى الهجرى) رأى مفصل فى هذه المسألة ، فقد قسّم العلماء لطبقات :

---

(١) د / عبادة : السابق ص ٢٠٠ .
(٢) د / عبادة : السابق ص ٢٠٠ ، ٢٠١ .
(٣) السابق ٢١٢ .
(٤) السابق ٢٠٠ - ٢٠٢ .

الجاهليون : امرؤ القيس والأعشى ، المخضرمون : لبيد وحسان وهاتان الطبقتان يستشهد بشعرهما إجماعا .

أما المتقدمون كجرير والفرزدق ، فالصحيح الاستشهاد بهما . أما المولدون وهم من بعدهما إلى زماننا - يقصد زمانه هو - كبشار وأبى نواس (ق ٢ هـ) فالصحيح ألا يستشهد بكلامهم مطلقًا .

ومقتضى ذلك أن يقف الاحتجاج عند منتصف القرن الثانى الهجرى ، ورغم هذا فإن العلماء ظلوا على صلة بالبادية ، يأخذون عنها الشعر والنثر إلى أواسط القرن الرابع الهجرى ، إن لم يكن إلى أواخره أيضا .

وقد أعلن ابن جنى أن نهاية الفصاحة بين البدو كانت فى عهده[1] ونحن نعرف أن ابن جنى توفى سنة ٣٩٢ هـ .

امتد الخلاف حول عصور الاحتجاج إلى العصر الحديث ، حيث نال قسطا كبيرا من مناقشات مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وذلك حين راح مجمع الخالدين يذكر - فى معرض تفسيره قرار التعريب الذى أصدره - أن الإطار الزمنى للاحتجاج فى الأمصار هو نهاية القرن الثانى الهجرى ، وعند البدو ، أوائل أو أواخر القرن الرابع الهجرى ومعنى ذلك أن المجمع يعتبر أن الصورة المثلى للصحة اللغوية لا تمتد حدودها إلى أبعد من هذه التواريخ . يقول المجمع :

والمراد بالعرب فى القرار : العرب الذين يوثق بعربيتهم ، ويستشهد بكلامهم ، وهم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثانى ، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى أواسط القرن الرابع الهجرى .

---

(١) د / عبادة : السابق ص ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ .

ويعلق الأستاذ عباس حسن على هذا بأنه راجع محاضر جلسات الانعقاد ، فوجد النصوص متمالئة على نهاية القرن الرابع لا أواسطه وهو يعلق على ذلك بقوله : إن الأخذ به أولى وأنسب .

وقرار المجمع إنما يسمح بأن يحتج بشعر بشار وأبى نواس والعباس بن الأحنف وأبى العتاهية .[1] وربما أستأنس المجمع فى هذا بما فعله كل من الخليل بن أحمد ، وسيبويه حين احتجا بأشعار من لم يقبلهم أبو عمرو بن العلاء .[2] .

يستقصى الدكتور عبادة أسباب تحديد عصور الاحتجاج ، ويحصرها أولا فى الإحساس الداخلى عند العرب بإعزاز اللغة القومية ، وثانيا : فى الانفتاح اللغوى وما استتبعه من تغير الألسنة .

قد يؤخذ على وضع حد زمنى للاحتجاج عدة ملاحظات أهمها : أن الأحكام التى وردت فى هذه السبيل كانت ذاتية إلى حد كبير ، بل وكانت نسبية لدرجة كبيرة أيضا ، وكذلك فقد كان بها شىء من التداخل بين اللغة والأدب . ولا أدل على هذا من النصوص الواردة فى هذا المجال .

فهذا **أبو عمرو بن العلاء** - المسئول الأول عن وضع حد زمنى للاحتجاج - يقول عن شعر جرير ، والفرزدق (القرن الأول الهجرى) :

« لقد حسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته » وفى معرض آخر ، يقول : « ختم الشعر بذى الرمّة ، والرجز برؤية » .

ويجىء الأصمعى بعد أبى عمرو بن العلاء فتكون سبيله هو الآخر إطلاق العديد من الأحكام التأثرية التى لا موضوعية فيها ، فمرة يقول : « بشار خاتمة الشعراء » ، وأخرى يقول : « ختم الشعر بالطرمّاح » ، ومرة ثالثة يقول :

---

(١) د / عبادة : السابق صفحات ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢١٥ .

(٢) السابق ص ٢٠٩ .

« ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة » ت ١٥٠ هـ وهذه المقولة الأخيرة هى ما رددها قبله أبو عمرو بن العلاء ، على نحو ما أشرنا من قبل .

ويجىء **ابن الأعرابى** فنجده فى معرض موازنة ما يسمع من شعر أبى نواس بالشعر القديم وينتهى إلى قرار « .. ولكن القديم أحب إلى[1] » .

ونحن مع الدكتور عبادة فيما ذهب إليه من أن اللغة ظاهرة اجتماعية ، والتغيير والتطور فيها أمران طبيعيان ، وليس لواحد أن يلزمنا بالتقييد بعصور احتجاج نلغى بعدها مساحة عريضة جدا من تراثنا القديم . وهذه الحدود التى وضعها القدماء للاحتجاج لا تمثل فى الحقيقة إلا مرحلة تاريخية من مراحل نمو اللغة الدائم والمستمر .[2]

---

(١) د / عبادة : السابق ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ١٩٧ ، ٢٠٠ على التوالى .

(٢) السابق ص ٢٨٢ .

أطوار النحو

قلنا فيما سبق إن النحو نشأ وليد محاولة صادقة لخدمة القرآن الكريم ، وقد حصر الأستاذ الطنطاوى أطوار النحو فى أربعة أطوار على النحو التالى :

١ - **طور الوضع والتكوين** (بصرى) من عصر أبى الأسود إلى عصر الخليل ابن أحمد .

٢ - **طور النشوء والنمو** (بصرى / كوفى) من الخليل (البصرى) وأبى جعفر الرؤاسى (الكوفى) إلى أول عصر المازنى (البصرى) وابن السكيت (الكوفى) .

٣ - **طور النضوج والكمال** (بصرى / كوفى) من المازنى (البصرى) وابن السكيت (الكوفى) إلى آخر عصر المبرد (البصرى) وثعلب (الكوفى) .

٤ - **طور الترجيح والبسط فى التصنيف (بغدادى وأندلس ومصرى وشامى) .**

وقد أشار الباحث إلى أنه ليس فى الاستطاعة وضع حد توقيتى ينفصل به كل طور عما يسبقه أويعقبه ، فالأطوار متداخلة[1] .

أما الدكتور شوقى ضيف فيتبع تقسيما آخر ، وذلك إذ يعرض التراث النحوى فى مدارس متعددة هى مدرسة البصرة ، الكوفة ، بغداد ، الأندلس ، مصر ، وهو يعرض لأعلام كل مدرسة مبينا دور كل منهم .

ويكفى هنا أن نشير إلى أهم أعلام كل مدرسة .

---

(١) الطنطاوى : نشأة النحو ص ٢٦ ، ٢٧ .

من أعلام مدرسة البصرة الخليل بن أحمد ت ١٧٥ هـ سيبويه ١٨٠ هـ ، الأخفش الأوسط ت ٢١١ هـ ، قطرب ت ٢٠٦ هـ ، أبو عمر الجرمى ت ٢٢٥ هـ ، أبو عثمان المازنى ت ٢٤٩ هـ على الراجح ، المبرد ت ٢٨٥ أو ٢٨٦ هـ ، الزجاج ت ٣١٠ هـ ، ابن السراج ت ٣١٦ ، السيرافى ت ٣٦٨ هـ .

ومن أعلام مدرسة الكوفة الكسائى ١٨٩ هـ ، هشام بن معاوية الضرير ت ٢٠٩ هـ ، الفراء ت ٢٠٧ هـ ، ثعلب ت ٢٩١ هـ ، أبو بكر بن الأنبارى ت ٣٢٨ هـ .

ومن أعلام المدرسة البغدادية : ابن كيسان ت ٢٩٩ هـ ، الزجاجى ت ٣٣٧ أو ٣٤٠ هـ ، أبو على الفارسى ت ٣٧٧ هـ ، ابن جنى ت ٣٩٢ هـ ، الزمخشرى ت ٥٣٨ هـ . أبو البركات ابن الأنبارى البغدادى ت ٥٧٧ هـ .

ومن أعلام المدرسة الأندلسية : ابن مضاء ت ٥٩٢ هـ ، ابن عصفور ت ٦٦٣ هـ ، ابن مالك ت ٦٧٢ هـ ، أبو حيان الغرناطى ت ٧٤٥ هـ .

ومن أعلام المدرسة المصرية ابن الحاجب ت ٦٤٦ هـ ، ابن هشام ت ٧٦١ هـ ، السيوطى ت ٩١١ هـ .

وقد يهمنا أن نشير إلى أصل الخلاف بين المدارس النحوية المختلفة أو على الأقل بين المدرستين الرائدتين وهما **مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة** ليس فقط لأنهما اللتان اضطلعتا بعبء التأليف النحوى منذ النشأة بل إن الأسس التى أرستها

هاتان المدرستان ظلت تتردد فى المدارس النحوية المختلفة كما تعكسها المؤلفات .

والخلاف بين المدرستين منشؤه راجع إلى منهج البحث عند كل من المدرستين . فالكوفيون قبلوا كل ما جاء عن العرب وجعلوه أصلا يقيسون عليه . أما البصريون فقد تحرجوا ولم يقبلوا كل ما سمعوه عن العرب . وقد وضعوا عدة احتياطات منها : أنهم اشترطوا صحة ما يروى وصدق ما ينقل ، ولم يأخذوا إلا ممن وثقوا بأنه من أفصح العرب وأقواهم لسانا .

السيوطى يلخص هذا فى قوله :

« اتفقوا على أن البصريين أصح قياسا لأنهم لا يلتفتون إلى كل مسموع ، ولا يقيسون على الشاذ ، والكوفيون أوسع رواية »[1] .

الكوفيون يحكمون القياس فى المسموع عن العرب ، أما البصريون فكانوا يؤثرون السماع الكثير والقياس الصحيح[2] .

احتدم الخلاف بين البصريين والكوفيين فكان ذلك مدعاة لعناية الدارسين فألفوا العديد من الكتب ، ومنهم نذكر : **ثعلب** ، **أبو الحسن بن كيسان** ، **أبو جعفر النحاس المصرى** ، **أبو البركات كمال الدين الأنبارى** ، **أبو البقاء العكبرى** ، **ابن درستويه** ، **والسيوطى**[3] . وإن كان أوفى كل المؤلفات هو كتاب **ابن الأنبارى** ت ٥٧٧ هـ « **الإنصاف فى مسائل الخلاف** » ذكر فيه

---

(١) السيوطى : الاقتراح ص ١٠٠ ، د / عبد الرحمن السيد : مدرسة البصرة ص ١٤٥ - ١٤٩ بتصرف .

(٢) د / عبد الرحمن السيد : مدرسة البصرة ص ١٥٤ ، ١٦٤ ، وما بعدهما .

(٣) د / عبد الرحمن السيد : مدرسة البصرة ص ١٠٨ ، ١١٢ ، وأيضا : الطنطاوى : نشأة النحو ص ١٢٤ . مع الأسف لم تصلنا كتب ثعلب ، وابن كيسان ، والنحاس ، وابن درستويه .

إحدى وعشرين ومائة مسألة ، كما كانت هذه الخلافات مدعاة لكتابة **الزبيدى** ت ٣٧٩ هـ كتابه « **طبقات النحويين واللغويين من البصريين والكوفيين** » .

الاختلافات بين البصريين والكوفيين كما يعكسها **الإنصاف لابن الأنبارى** إنما تنحصر فى ثلاث عشرة نقطة هى :

العامل ، الأداة ، ترتيب أجزاء الجملة ، ترتيب أجزاء الجملة والعامل ، إعراب بعض الكلمات ، تقدير الإعراب ، معنى الأداة ، ضبط الكلمة ، علة الحكم ، الصيغة ، بنية الكلمة ، الأسلوب ، نوع الكلمة ، ثلاث مسائل لا عنوان لها وهى : اشتقاق الفعل ، الفصل بين النعت والخبر ، العلم والمبهم[1] .

(١) لتفصيل هذا انظر كتاب عبد الرحمن السيد : مدرسة البصرة صفحات ١١٣ – ١٤٤ .

مباحث النحو العربى

كما يعكسها كتاب شذور الذهب لابن هشام ت ٧٦١ هـ

الباحث فى النحو العربى يصادفه مبحثان رئيسيان : مبحث الإعراب ومبحث البناء . وقبل أن نبين مسائلهما نعرّج تعريجة يسيرة على حالات الإعراب وعلاماته.قالوا عن الإعراب إنه أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل فى آخر الكلمة . ولقد حصر النحويون الإعراب فى أربع حالات هى :

حالة الرفع ، وحالة النصب ، وحالة الجر ، وحالة الجزم .

وجعلوا من الحركات ما يمكن أن يكون علامات أصلية وهى :

الضمة لحالة الرفع ، والفتحة لحالة النصب ، والكسرة لحالة الجر ، والسكون لحالة الجزم .

ونظرًا لأن حالة الرفع مثلا ليست علامتها الضمة فى كل مرة ، راح النحويون يقولون بوجود علامات فرعية تنوب عن هذه العلامات الأصلية . (والعلامات الفرعية قد تكون حركات كالعلامات الأصلية ، أو تكون حروفا) .

ينوب عن **الضمة** كعلامة رفع فى الأسماء . كل من الألف فى المثنى ، الواو فى جمع المذكر السالم ، والأسماء الخمسة . أما فى الأفعال فترفع الأفعال الخمسة (وهى تفعلان ، يفعلان ، تفعلون ،يفعلون ، تفعلين) بثبوت النون .

وينوب عن **الفتحة** كعلامة نصب : الياء فى المثنى ، وجمع المذكر السالم ، والألف فى الأسماء الخمسة ، والكسرة فى جمع المؤنث السالم . أما فى الأفعال المضارعة فتنصب بحذف النون .

وينوب عن **الكسرة** كعلامة جر : الياء فى المثنى ، وجمع المذكر السالم ، والأسماء الخمسة والفتحة فى الممنوع من الصرف .

أما **السكون** فهو علامة الجزم فى فعل الأمر والفعل المضارع المسبوق بإحدى أدوات الجزم (مثل إنْ الشرطية ، لم) وينوب عن هذا السكون فى المضارع المجزوم حذف النون (كما هو الحال فى نصب المضارع) .

ومن جانبنا ، لا نرتضى القول بما يسمى علامات أصلية ، وعلامات فرعية ، ذلك لأن العربى فى الجزيرة العربية قديما تحدث ولا شك بجمل فيها الفاعل مثلا اسما مفردا أو جمع تكسير أو جمع مؤنث سالما وفى كل هذه الحالات كان الفاعل مرفوعا بالضمة ، كذلك فقد يكون العربى تحدث أيضا بالفاعل مثنى مرفوعا بالألف ، أو جمع مذكر سالما مرفوعا بالواو ، كل ذلك جنبا إلى جنب .

ومن هنا فإن الدراسة المتعسفة هى التى تفرض هذا الفصل المصطنع بين ما هو أصلى وما هو فرعى من العلامات . ولو حالفهم التوفيق لجعلوها قاعدة واحدة وهى :

أن علامات الرفع مثلا هى **الضمة** فى المفرد وجمع التكسير وجمع المؤنث السالم **والألف** فى المثنى **والواو** فى جمع المذكر السالم والأسماء الخمسة هذا عن **المعرب**، وسنعود إليه بالتفصيل بعد عرض المبنيات .

أما فى **المبنى** فهناك ما يبنى على الضم ، وما يبنى على الفتح ، وما يبنى على الكسر ، وما يبنى على السكون .

وقد قالوا فى تعريف البناء : إنه لزوم آخر الكلمة حركة أو سكونا لغير عامل أو اعتلال ، وذلك مثل : حيثُ ، أينَ ، أمسِ ، منْ .

نعرض فيما يلى لأنواع المبنيات كما أوردها ابن هشام فى شذور الذهب .

المبنى على السكون :

١ - المضارع المتصل بنون الإناث كقوله تعالى : والمطلقات يتربصْن ،

وقوله : والوالدات يرضعن . فيتربص ويرضعن فعلان مضارعان فى موضع رفع لخلوهما من الناصب والجازم ، ولكنهما لما اتصلا بنون النسوة بُنيا على السكون .

٢ - الماضى المتصل بضمير رفع متحرك ، مثل : ضربْتُ ، ضربْتَ ، ضربْتِ ، ضربْنا .. والأصل فيه ضربَ بالفتح ، فاتصل الفعل بالضمير المرفوع المتحرك وهو « التاء » فى المثل الثلاثة الأولى لأنها فاعل ، و « نا » فى المثال الرابع وهما متحركان ، وأعنى بذلك أن التاء متحركة والحرف المتصل بالفعل من « نا » وهو « النون » متحرك ، فلذلك بنيت جميعها على السكون .[1]

المبنى على السكون أو نائبه :

وهو فعل الأمر ، وذلك لأنه يبنى على ما يجزم به مضارعه ، فيبنى على السكون فى نحو : اضرب ، وعلى حذف النون فى نحو : اضربا ، اضربوا ، اضربى ، وعلى حذف حرف العلة فى نحو : اغزُ ، اخشَ ، ارمِ[2] .

المبنى على الفتح :

وهو سبعة أنواع :

الماضى المجرد ، نحو : ضرب ،ودحرج .

المضارع الذى باشرته نون التوكيد ، مثل قوله تعالى : لينبذنَّ فى الحطمة .

ما ركب تركيب المزج من الأعداد ١١ - ١٩ للمذكر والمؤنث إلا ١٢ فيهما .

ما ركب تركيب المزج من الظروف : زمانية ، مثل : صباح مساء ، ومكانية ، مثل : بين بين .

ماركب تركيب خمسة عشر من الأحوال ، مثل : فلان جارى بيت بيت

---

(١) ابن هشام : شرح شذور الذهب ص ٦٩ .

(٢) السابق ص ٧٠ .

أى ملاصقا .

الزمن المبهم المضاف لجملة فعلية فعلها مبنى وذلك مثل ظروف : حين ، وقت ، ساعة ، زمان ، حين تضاف إلى الجملة المذكورة حيث يترجح بناؤها على الفتح .

المبهم المضاف لمبنى ، سواء كان زمانا أو غيره .والمبهم هنا مالا يتضح معناه إلا بما يضاف إليه ، وذلك نحو : مثل ، دون ، بين ، ونحوها . قال تعالى : ومنا دون ذلك . دون : متبدأ مؤخر من حقه الرفع ، ولكنه هنا بنى على الفتح ، نظرًا لإضافته إلى مبنى وهو اسم الإشارة : ذلك[1] .

المبنى على الفتح أو نائبه :

اسم « لا » النافية للجنس ، إذا كان مفردا نحو : لارجل ، ولارجال ، ولارجلين ، ولا قائمين ، ولا قائمات .

المفرد هنا معناه : ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف ، ولو كان مثنى أو مجموعا . وهذا النوع إما أنه يبنى على الفتح أو الياء أو الكسر[2] .

المبنى على الكسر :

وهو خمسة : العلم المختوم بـ « وَيْهِ » كسبيويه ، ونفطويه ، وعمرويه .

ما كان اسم فعل على وزن فعال : مثل ، نزال ، دراك ، تراك ، حذار ، بمعنى : انزل ، ادرك ، اترك ، احذر ، على الترتيب .

ما كان على وزن فعال وهو سب للمؤنث ، ولا يستعمل هذا النوع إلا فى النداء ، مثل : ياخباثِ ، ويالكاع أى لئيمة .

ما كان على وزن فَعال ، وهو علم على مؤنث ، مثل : حذام ، وقطام ، رقاش ، سجاح ، أمس ، إذا أردت به معينا ، وهو اليوم الذى قبل

---

(١) ابن هشام : شذور صفحات ٧١ – ٨٢ .

(٢) السابق صفحات ٨٢ – ٨٩ .

يومك .[1]

المبنى على الضم :

وهو أربعة أنواع :

ما قطع عن الإضافة لفظا لا معنى من الظروف المبهمة ، وذلك مثل : قبل ، وبعد ، أول ، وأسماء الجهات نحو : قدام ، أمام ، خلف ، وأخواتها . قال تعالى : لله الأمر من قبلُ ومن بعدُ .

ما ألحق بـ قبل ، بعد من قولهم : قبضت عشرة ليس غير ، أى ليس المقبوض غير ذلك ، فأضمر اسم ليس فيها ، وحذف ما أضيف إليه « غير » ، وبنيت « غير » على الضم تشبيها لها بـ قبل ، بعد لإبهامها .

ما ألحق بـ قبل ، بعد من علُ المراد به معين ، تقول أخذت هذا من علُ أى من فوق الدار .

ما ألحق بـ قبل ، بعد من « أى » الموصولة حين يجتمع فيها شرطان : أن تضاف ، أن يكون صدر صلتها ضميرا محذوفا ، كقولة تعالى : ثم لننزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا .[2]

المبنى على الضم أو نائبه : (وهو الألف والواو) :

المنادى المفرد المعرفة نحو : يازيد ، ياجبال ، يازيدان ، يازيدون (المفرد هنا معناه : ما ليس مضافا ولا شبيها بالمضاف ولو كان مثنى أو مجموعا)[3] .

كل ما مضى مبنيات مختصة ، أى أن كلا منها يختص بحركة بناء

---

(١) ابن هشام : شذور صفحات ٨٩ - ١٠٢ .
(٢) السابق ، صفحات ١٠٢ - ١١٠ .
(٣) السابق ص ١١٠ .

لا يتجاوزها ، وهناك **مبنيات غير مختصة** (بحركة واحدة للبناء) وذلك مثل : الحروف ، والأسماء غير المتمكنة .

مثال ما بنى على السكون من الحروف : هل ، بل ، قد ، لم .

ومثال ما بنى على الفتح : إن ، لعل ، ليت .

وعلى الكسر : جير بمعنى نعم ، اللام ، الباء .

وعلى الضم : منذ .

وما بنى على السكون من أسماء الأفعال مثل صه بمعنى اسكت ، مه بمعنى اكفف أو كفَّ .

وما بنى على الفتح : آمين بمعنى استجب .

وما بنى على الكسر : إيه بمعنى امض فى حديثك .

وما بنى على الضم : هيتُ بمعنى تهيأت .

ومثال ما بنى من المضمرات على السكون : قومى ، قوما ، قوموا .

وعلى الفتح : قمتَ للمخاطب المذكر .

وعلى الكسر : قمتِ للمخاطبة .

وعلى الضم : قمتُ للمتكلم .

ومثال ما بنى على السكون من أسماء الإشارة : ذا ، ذى . وعلى الفتح : ثَمَّ ، إشارة إلى المكان البعيد . قال تعالى : « وأزلفنا ثَمَّ الآخرين » أى : قربناهم هناك .

وعلى الكسر : هؤلاء ، وعلى الضم : هؤلاءُ ، حكاه قطرب .

ومثال ما بنى على السكون من الموصولات : الذى ، التى ، مَن ، ما .

وعلى الفتح : الذين ، وعلى الكسر : الأولاء ، وعلى الضم : ذات بمعنى التى وهى لغة طيء .

يستثنى من أسماء الإشارة والأسماء الموصولة : المثنى فى كل منهما حيث يعرب بالألف رفعا ، وبالياء نصبا وجرا ، مثل الأسماء المتمكنة .

مثال المبنى على السكون من أسماء الشرط والاستفهام : مَنْ ، ما . وعلى الفتح : أين ، أيان . وليس هنا ما يبنى على كسر أو ضم .

ومثال الظرف المبنى على السكون : إذ ، وعلى الضم : الآن ، وعلى الكسر : أمس ، وعلى الضم : حيث .[1] .

أما الإعراب ، فهو كما أشرنا من قبل : أثر ظاهر أو مقدر يجلبه العامل فى آخرِ الاسم المتمكن ، والفعل المضارع .

وذلك مثل الآثار الظاهرة من ضمة وفتحة وكسرة فى قولك : جاء زيدٌ ، رأيت زيدا ، مررت بزيدٍ .

ومثال الآثار المقدرة ما تعتقده مقدرا فى آخر « الفتى » من قولك : جاء الفتى ، رأيت الفتى ، مررت بالفتى ، حيث تقدر الضمة أو الفتحة للتعذر .

وقد تقدر الحركة للثقل كما فى قولك حضر القاضى ، أو مررت بالقاضى وقد تقدر لاشتغال المحل بحركة المناسبة كما فى قولك : حضر غلامى .

وتقدر الحركة أحيانا لاشتغال المحل بحركة الحكاية مثل : قرأت سورة « المؤمنون » .

وقد تقدر الحركة لاشتغال المحل بحركة المجاورة ، كما فى قول القدماء : هذا جحرضب خربِ بكسر « خرب » .

---

(١) ابن هشام : شذور ، صفحات ١١٥ - ١٣٠ .

هذا وأنواع الإعراب أربعة :

الرفع والنصب فى الاسم والفعل .

الجر فى الاسم فقط .

الجزم فى الفعل فقط .

والأصل أن يكون **الرفع بالضمة ، والنصب بالفتحة ، والجر بالكسرة والجزم بالسكون . وخرج عن هذا الأصل سبعة أنواع :**

الاسم الذى لا ينصرف يجر بالفتحة بدل الكسرة .

المثنى ، ويرفع بالألف ، ويجر وينصب بالياء .

الأسماء الخمسة ، ترفع بالواو ، وتنصب بالألف ، وتجر بالياء .

جمع المذكر السالم ، يرفع بالواو ، وينصب ويجر بالياء .

الأفعال الخمسة ، ترفع بثبوت النون ، وتنصب وتجزم بحذف النون .

المضارع المعتل الآخر : المعتل بالواو أو الياء أو الألف ، يرفع بضمة مقدرة مثل : يدعو ، يرمى ، يخشى .

المعتل بالواو أو الياء ، ينصب بالفتحة

المعتل بالألف ، ينصب بفتحة مقدرة .

كل الأفعال المعتلة تجزم بحذف حرف العلة[1] .

سبق أن قلنا إن للإعراب أربع حالات هى : حالة الرفع ، وحالة النصب ، وحالة الجر ، وحالة الجزم .

وتحت كل منها يندرج عدد من الموضوعات أو المسائل النحوية الأساسية . وإذا أحاط المتعلم بها وتدرّب عليها فلن يخطئ لا فى الكلام ولا فى الكتابة .

---

(١) ابن هشام : شذور ، صفحات ٣٣ - ٦٧ بتصرف .

حالة الرفع ، يندرج تحتها **عشرة** مرفوعات هى :

الفاعل ، نائب الفاعل ، المبتدأ ، خبر المبتدأ ، اسم كان وأخواتها ، أسماء أفعال المقاربة ، اسم الحروف العاملة عمل ليس (ما ، لا ، إن ، لات) ، خبر إن وأخواتها ، خبر « لا » النافية للجنس ، المضارع الذى لم يسبقه ناصب ولا جازم . يضاف لهذا تابع المرفوع من نعت وعطف وبدل وتوكيد .

حالة النصب ، ويندرج تحتها **عشرة** منصوبات هى :

المفعول به ، المفعول المطلق ، المفعول له ، المفعول فيه ، المفعول معه ، المنصوب بالصفة المشهبه ، الحال ، التمييز ، المستثنى ، خبر كان وأخواتها ، خبر كاد وأخواتها ، خبر الحروف النافية ، اسم إن وأخواتها ، اسم لا ، المضارع الذى سبقه ناصب . يضاف لهذا تابع المنصوب .

حالة **الجر** يندرج تحتها **ثلاثة أنواع** هى :

المجرور بحروف الجر ، المجرور بالإضافة ، والمجرور بالتبعية أو المجاورة .

حالة **الجزم** يندرج تحتها .

الأفعال المسبوقة بحروف الجزم . وحروف الجزم منها ما يجزم فعلا واحدا وهو أربعة : لم ، لما ، لام الأمر ، لا « الناهية » . وما يجزم فعلين وهو أحد عشر حرفا هى : إن ، إذ ، مَنْ ، ما ، مهما ، متى ، أيان ، أين ، أنَّى ، حيثما ، أى .[1]

---

(١) ابن هشام : شذور ، صفحات ١٧٩ - ٣٥٢ بتصرف .

التراث النحوى

أ - فى القديم :

أول من كتب فى علم النحو هو أبو الأسود الدؤلى من بنى كنانة ، ويقال إن ذلك تمّ بإشارة من على بن أبى طالب رضى الله عنه . ثم كتب الناس من بعده ، فهذا خلف الأحمر يكتب : « مقدمة فى النحو » يضع فيها أساليب النحو وقواعده[1] .

وفى أيام الرشيد ، يتربع الخليل بن أحمد الفراهيدى على كرسى العلم والمعرفة العربية بوجه عام ومنها النحو بالطبع ، ويجىء سيبويه فيأخذ عن الخليل ، ويضع للناس كتابه الشهير والذى صار إماما لكل ما كتب .

ويلخص لنا ابن خلدون تاريخ النحو والنحاة ، فيقول إنه بعد سيبويه يجىء كل من : أبو على الفارسىّ ، وأبو القاسم الزجاج حيث يكتب كل منهما كتبا مختصرة للمتعلمين . ويستطرد ابن خلدون قائلا :

ثم طال الكلام فى هذه الصناعة ، وحدث الخلاف بين أهلها فى الكوفة والبصرة ..... وجاء المتأخرون بمذاهبهم فى الاختصار ... مع استيعابهم لجميع ما نقل ، كما فعله ابن مالك فى كتابه التسهيل ... أو اقتصارهم على المبادىء للمتعلمين كما فعله الزمخشرى فى المفصل ، وابن الحاجب فى المقدمة له .

وجاء علماء استهوتهم فكرة نظم القواعد النحوية على غرار ما فعل ابن مالك فى الأرجوزتين : الكبرى والصغرى ، وابن معطٍ فى الأرجوزة الألفية .

وبالجملة فإن التآليف فى هذا الفن - كما يقول ابن خلدون - أكثر من أن

---

(١) نشرها وحققها الدكتور عز الدين التنوخى . دمشق ١٩٦١ ويذكر خلف فى المقدمة أنه كتبها ليجمع فيها الأصول والأدوات والعوامل على أصول المبتدئين ليستغنى بها المتعلم عن التطويل . انظر ص ٣٣ .

تحصى أو يحاط بها ، وطرق التعلم فيها مختلفة ، فطريقة المتقدمين مغايرة لطريقة المتأخرين ، والكوفيون والبصريون والبغداديون والأندلسيون مختلفة طرقهم .

ويعقب ابن خلدون بعد هذا العرض الموجز فيقول :

وقد وصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر منسوب إلى جمال الدين ابن هشام من علمائها ، استوفى فيه أحكام الإعراب : مجملة ومفصلة ، وتكلم على الحروف والمفردات والجمل ، وحذف ما فى الصناعة من المتكرر فى أكثر أبوابها ، وسماه بالمغنى فى الإعراب ، وأشار إلى نكت إعراب القرآن كلها ، وضبطها بأبواب وفصول وقواعد .[1]

وقد رأيت من المفيد أن أورد هنا ثبتا عن أشهر كتب النحو فى التراث القديم مقرونة بأسماء المؤلفين ومرتبة على تاريخ سنى وفاتهم ، وسيجىء هذا تحت عنوان : بيليوجرافيا النحو

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤٦ ، ٥٤٧ بتصرف .

ببليوجرافيا النحو

اسم المؤلف	تاريخ وفاته	المدرسة التى ينتمى إليها	أهم مؤلفاته أو مصادر آرائه النحوية
الخليل بن أحمد	١٧٥هـ	البصرية	كانت له رسائل فى : معنى الحروف ، آلات الإعراب ، العوامل ، الصرف . كان كنزا لكتاب سيبويه
خلف الأحمر	١٨٠ هـ	البصرية	مقدمة فى النحو ، نشرها محققة د/ عز الدين التنوخى ، دمشق ١٩٦١
سيبويه	١٨٠هـ	البصرية	الكتاب (كتاب سيبويه) نشر بتحقيق الأستاذ عبد السلام هارون فى خمسة أجزاء . القاهرة سنوات ١٩٦٦ — ١٩٧٧
الكسائى	١٨٩هـ	الكوفية	له آراء كثيرة فى كتب النحو وبخاصة : الهمع ، الإنصاف فى مسائل الخلاف .
قطرب	٢٠٦هـ	البصرية	كان له : العلل فى النحو ، الاشتقاق فى الصرف . آراؤه فى مجالس العلماء للزجاجى والمزهر ، والهمع ، والانصاف .
الفراء	٢٠٧هـ	الكوفية	معانى القرآن (آراء نحوية وصرفية كثيرة) ، وله : المذكر المؤنث .
هشام بن معاوية (الضرير)	٢٠٩هـ	الكوفيه	كان له فى النحو : الحدود ، المختصر ، القياس . آراؤه موجودة فى : الهمع ، شرح الرضى على الكافية .
الأخفش الأوسط	٢١١هـ	البصرية	كان له : كتاب المسائل الكبير ، الأوسط فى النحو ، المقاييس ، الاشتقاق ، كتاب المسائل الصغير . آراؤه فى الإيضاح للزجاجى ، همع الهوامع للسيوطى ، والمغنى لابن هشام .

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٤٦ ، ٥٤٧ بتصرف .

أبو عمر الجرمى	٢٢٥هـ	البصرية	كان له : المختصر فى النحو ، الأبنية ، آراؤه فى : الهمع والإنصاف .
أبو عثمان المازنى	٢٤٩هـ	البصرية	له تعليقات وشروح على كتاب سيبويه ، علل النحو ، التصريف ، شرحه ابن جنى تحت اسم : المنصف على التصريف للمازنى . مطبوع فى ٣ أجزاء
المبرد	٢٨٦/٢٨٥هـ	البصرية	المقتضب فى النحو . نشر بالقاهرة فى ٤ أجزاء بتحقيق الأستاذ محمد عضيمة
ثعلب	٢٩١هـ	الكوفية	له : المجالس (نحو ولغة) مطبوع ، الفصيح ، طبع بشرح الهروى ، آراؤه موجودة فى : الهمع ، الإيضاح ، الإنصاف
ابن كيسان	٢٩٩هـ	البغدادية	كان له : اختلاف البصريين والكوفيين ،الكافى فى النحو ، التصاريف ، المختار فى علل النحو ٣ مجلدات . آراؤه فى : الزجاجى ، الهمع ، مغنى اللبيب .
الزجاّج	٣١٠هـ	البصرية	له : شرح أبيات سيبويه ، مختصر فى النحو ، الاشتقاق ، كتاب فعلت وأفعلت ، ما ينصرف وما لا ينصرف ، آراؤه فى الهمع .
ابن السراج	٣١٦هـ	البصرية	له : الأصول الكبير فى علل النحو ومقاييسه . آراؤه فى الهمع .
أبو بكر بن الأنبارى	٣٢٨هـ	الكوفية	له : الأضداد (فى اللغة والنحو) منشور ، المقصور والممدود ، المذكر والمؤنث ،الكافى ، الموضح ، وكلاهما فى النحو

الزجاجى	٣٣٧/٣٤٠هـ	البغدادية	الأمالى الوسطى نشرت بتعليقات الشيخ الشنقيطى ، مجالس العلماء ، الإيضاح فى علل النحو ، حققه مازن المبارك ونشر ١٩٥٩ ، الجمل وهو مختصر فى قواعد النحو، نال شهرة مدوية فى العصور الوسطى . بلغت شروحه أكثر من ١٢٠ شرحا ، نشر حديثا مرتين : مرة بتحقيق العلامة ابن أبى شنب ط ثانية باريس ١٩٥٧ ثم نشر محققا على يد الدكتور على توفيق الحمد بالأردن وقد جاء على الكتاب طبعة (أولى) سنة ١٩٨٤
أبو جعفر النحاس	٣٣٨هـ	البغدادية	التفاحة فى ١٧ ورقة وقد نشرها كوركيس عواد بالعراق مؤخرا .
السيرافى	٣٦٨هـ	البصرية	شرح كتاب سيبويه ، شرح شواهد سيبويه ، المدخل إلى الكتاب ، أخبار النحاة البصريين .
أبو على الفارسىّ	٣٧٧هـ	البغدادية	له : الإيضاح والتكملة ، العوامل المائة ، المقصور والممدود ، الحجة فى القراءات السبع ، آراؤه فى : الخصائص لابن جنى .
ابن جنى	٣٩٢هـ	البغدادية	المنصف على تصريف المازنى (ط فى ٣ أجزاء) التصريف الملوكى (شرحه ابن يعيش ت ٦٤٣) الخصائص (فى ٣ أجزاء) وضع فيه القوانين الكلية للتصريف ، اللمع فى العربية ط ١٩٧٨ بتحقيق الدكتور حسين شرف

الحريرى	٥١٦ هـ	البغدادية	ملحة الإعراب ، نسخة بمكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، غفل من مكان الطبع وزمانه .
الزمخشرى	٥٣٨هـ	البغدادية	النموذج أو الأنموذج ، المفرد والمؤلف ، مختصر فى الصرف والنحو ، المفصل (صرف ونحو) شرحه ابن يعيش وطبع بالقاهرة فى عشرة مجلدات تحقيق مشيخة الأزهر . هذا الكتاب يعد دائرة معارف لآراء نحاة البصرة والكوفة وبغداد .
ابن الأنبارى	٥٧٧هـ	البغدادية	له : الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين ، الإغراب ، أسرار العربية
ابن مضاء القرطبى	٥٩٢هـ	الأندلسية	كتاب الرد على النحاة . طبع محققا بمقدمة ضافية للدكتور شوقى ضيف .
ابن يعيش	٦٤٣هـ	المصرية	شرح المفصل مطبوع فى ١٠ أجزاء
ابن الحاجب	٦٤٦هـ	المصرية	الكافية فى النحو ، طبعت مرارا بشرح الرضىّ الأستراباذى وغيره ، الشافية فى الصرف ، له : أمالى فى النحو ما تزال مخطوطة بدار الكتب المصرية فى ٦٥٠ صفحة .
ابن عصفور	٦٦٣هـ	الأندلسية	الممتع فى التصريف (مطبوع) ، المقرب ، مختصر المحتسب لابن جنى . كانت له ثلاثة شروح على الجمل للزجاجى .
ابن مالك	٦٧٢هـ	الأندلسية	الألفية فى النحو ، الكافية الشافية فى ثلاثة آلاف بيت ، المؤصل فى نظم المفصل للزمخشرى ، تحفة المودود فى المقصور والممدود . وله : شرح الكافية ، التسهيل وشرحه ، شرح الجزولية ، إعراب مشكل صحيح البخارى ، إيجاز التعريف فى علم التصريف ، الفوائد فى النحو .

أبو حيان	٧٤٥هـ	الأندلسية	له : ثلاثة شروح على التسهيل لابن مالك ، منهج السالك فى الكلام على ألفية ابن مالك ، الارتشاف فى ٦ مجلدات ، ومختصره فى مجلدين ، وهو الذى اعتمد عليه السيوطى فى كتابه : جمع الجوامع ، آراؤه فى الهمع .
ابن هشام	٧٦١هـ	المصرية	مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب ،طبع بشرح الأمير والدسوقى ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ط مرارا وشرحه الشيخ خالد الأزهرى باسم : التصريح على التوضيح ، وكتب عليه حاشية الشيخ يس العليمى الحمصىّ ، شذور الذهب فى معرفة كلام العرب ، قطر الندا وبل الصدا ، الإعراب عن قواعد الإعراب . وما تزال له كتب مخطوطة لم تنشر بعد .
ابن عقيل	٧٦٩هـ	المصرية	شرح الألفية ، شرح على التسهيل ، كتبت عليه حواش من حاشية الخضرى طبعت مرارا
السيوطى	٩١١هـ	المصرية	الأشباه والنظائر مطبوع فى ٤ أجزاء بتحقيق الأستاذ طه عبد الرءوف ، همع الهوامع شرح جمع الجوامع (موسوعة لقواعد النحويين جميعا من بصريين وكوفيين وبغداديين وأندلسيين ومصريين)

مضامين كتب التراث فى مجال النحو

أعرض فيما يلى لبعض كتب التراث النحوى ، وسأقتصر هنا على : **الكتاب** لسيبويه ، **المقتضب** للمبرد ، **الإيضاح** ، **الجمل** للزجاجى ، **التفاحة** لأبى جعفر النحاس ، **اللمع** لابن جنى ، **ملحة الإعراب** للحريرى ، **كتاب أسرار العربية** لابن يعيش ، **كتاب الكافية فى النحو** لابن الحاجب ، **الفية** ابن مالك ، **كتاب الأشباه والنظائر** للسيوطى .

أقتصر فى إيراد مضمون كل منها على العناوين فقط ، دون مناقشة الخطة أو الآراء ، لأن هدفى أن أضع أمام القارئ والدارس صورة صادقة لما فى هذه الكتب ، خاصة وأن الحصول على هذه الكتب أو بعضها ليس سهلا دائما . أنا هنا أريد أن أخلق نوعا من الألفة بين هذه الكتب والدارس للنحو العربى . فضلا عن أن هذا العرض قد يكون فيه غنية لطالب النظرة الإجمالية العاجلة

الكتاب : كتاب سيبويه

(أبى بشر عمرو بن عثمان بن قنَبر)

نشر محققا فى خمسة أجزاء ، حققه الأستاذ عبد السلام هارون وطبع بالقاهرة ، سنوات ١٩٦٦ - ١٩٧٧.

يذكر الأستاذ عبد السلام هارون محقق « الكتاب » أن الثابت تاريخيا أن سيبويه لم يسمه باسم معين . أسماه الناس قديما بـ « قرآن النحو » هذا رغم أن أسلوبه فيه الكثير من الغموض ، وذلك مثل أن يقول سيبويه: هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كل واحد منهما يفعل بفاعله مثل الذى يفعل به . (ومعناه : هذا باب التنازع)[١]

والكتاب به ألف شاهد معظمها ينسب إلى أبى عمر الجرمى ، وقد كان لهذا الكتاب أثره ليس فقط فى تلاميذ سيبويه من البصريين ، ولكنه أثر أيضا فى نحاة الكوفة والأندلس والمغرب .

كان للكتاب حظ كبير لدى العلماء ، فمنذ القرن الثالث الهجرى وحتى القرن التاسع ، توفرت طوائف عديدة على الكتاب ، فشرحوه أو علقوا عليه أو اختصروه أو فسروا بيانه أو تكلموا على أبنيته . ومن هؤلاء مشارقة ومغاربة وأندلسيون ومصريون على حد سواء .[٢]

أول من نشر هذا الكتاب هو المستشرق الفرنسى هرتويغ درنبرج Hartuig Derenbourg أستاذ اللغة العربية الفصحى بالمدرسة الخاصة للغات الشرقية بباريس ، وطبعه فى مجلدين مع مقدمة باللغة الفرنسية فى صفحتين .[٣]

---

(١) سيبويه : الكتاب ، تعليق المحقق جـ ١ ص ٢٣ ، ٣٠ ، ٣٢

(٢) السابق جـ ١ ص ٣٦

(٣) السابق جـ ١ ص ٤٢

ثم ترجم إلى الألمانية على يد جوستاف يان D. Gustave Jahn[1] تلميذ فلايشير ، ت ١٩١٧

ثم طبع الكتاب أخيرا فى طبعة الأستاذ هارون ، وزوّد بفهارس تحليلية غاية فى الأهمية . وهذه الفهارس وحدها هى التى تعين على التعرف على موضوعات ومضامين هذا الكتاب ، وهى :

شواهد القرآن الكريم ، الحديث ، الأمثال ، الأساليب والنماذج النحوية ، الأشعار ، الأرجاز ، اللغة ، الألفاظ المفسّرة فى الحواشى ، الأعلام ، القبائل والطوائف ونحوها ، البلدان والمواضع ونحوها ، المقدمة وأبواب الكتاب حسب ورودها (وهذه مفيدة جدا ، لأنها مرتبة أبجديا حسب الحرف الأول من المسألة النحوية المطروحة ، وتستطيع أن تجد تحت حرف الألف مثلا : كلا من الإضافة ، الإعراب ، أفعل التفضيل ، وهكذا ، باعتبار أنها تبدأ بألف) ، مسائل النحو والصرف ، المقابلة بين نسخة بولاق وطبعة هارون ، تصحيحات واستدراكات ، مراجع الشروح والتعليق .

باختصار شديد جدا نقول إن مضامين الكتاب لسيبويه تتركز حول المسند والمسند إليه باعتبارهما نواة الجملة العربية بنوعيها : الاسمية والفعلية . وتطرق سيبويه من هذا إلى بيان عدد من المرفوعات ، أتبعها بالحديث عن الفعل وعمله ، وكان ذلك مدخلا للمنصوبات . وتلا ذلك عرض حالات الجر ثم عاد فتحدث عن بقية حالات الرفع . وبين هذا وذاك اقتضاه الحديث عن الفعل إلى ذكر عدد من النواصب والجوازم وبالتالى المنصوبات والمجزومات من الأفعال .[2]

(١) هذا المستشرق هو الذى نشر أيضا : شرح المفصل لابن يعيش .

(٢) للأستاذ الدكتور عبد الصبور شاهين بحث ضاف وجيد عن الكتاب لسيبويه ، انظر : فى التطور اللغوى صفحات ١٢٩ ــ ٢٥٣ ط أولى ، ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م

كتاب المقتضب

صنعة أبى العباس محمد بن يزيد المبرد ت ٢٨٥هـ

تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة . القاهرة ١٣٩٩ (٤ أجزاء)

المقتضب أقدم ما وصل إلينا فى النحو بعد كتاب سيبويه ، تبلغ شواهد سيبويه فى المقتضب ٣٨٠ شاهدا .[١]

والمبرد يعد أول من تصدى للمادة النحوية ككل ، وتناولها فى شمول ، وصاغها بوضوح ، وقد رتبها فى منهج يختلف عن منهج سيبويه .[٢]

والمقتضب يأتى فى أربعة أجزاء :

فى الجزء الأول : كلام عام عن التحقيق ، وعن المقتضب ، وعن تأليفه ، وصلته بغيره من المؤلفات ، بالإضافة إلى كتب المبرد الأخرى وبيان مذهبه . ثم يتناول الجزء الأول أيضا : إعراب الأسماء والأفعال ، الفاعل ، الأبنية ، الهمز ، الإدغام ، المضمر المتصل.

فى الجزء الثانى : الحروف التى تنصب الأفعال ، ألفا الوصل والقطع ، أسماء الفاعلين ، التصغير والتحقير ، الظروف .

فى الجزء الثالث : إن ، أن ، أما ، مذ ، منذ ، الإمالة ، كم ، الفعل المتعدى الإضافة (النسب) ، الصلة والموصول ، النعت والحال أو ، باب أفعل (ما يسمى به من الأفعال) ، الجمع ، المؤنث ، الأسماء المعدولة .

---

(١) المبرد : المقتضب ، بتحقيق عضيمة جـ ١ ص ٨

(٢) حسن عون : تطور الدرس النحوى ، القاهرة ١٩٧٠ ص ٦٣

الجزء الرابع : أضخم جزء فى الكتاب ، وهو وحده يعادل حجمًا الأجزاء الثلاثة الأول ، وفيه نجد :

الألقاب ، أفعال وحروف وأسماء ، المعرفة والنكرة ، الإضافة ، النفى ، البدل ، الاستثناء .

الذى يضخم هذا الجزء الأخير تلك الفهارس الجيدة التى وضعها المحقق ، ولا شك أنه بذل فيها جهدا رائعا وهو جهد حميد مشكور ، ذلك لأنها تعين القارىء على معرفة طريقه بوضوح إلى هذا الكتاب . وحبذا لو نهض المهتمون بالدراسات النحوية ، وقاموا بنفس الصنيع فى وضع فهارس واضحة لكل كتب التراث .

تأتى الفهارس فى الجزء الرابع على النحو التالى :

فهرس أبواب المسائل (صفحات ٦ ــ ٨ من نهاية الجزء الرابع)

فهرس أبواب النحو (صفحات ١٠ ــ ١٤٥)

فهرس أبواب الصرف (صفحات ١٤٩ ــ ٢٠٠)

موضوعات عامة بعد صفحة ٢٠٠ وحتى آخر الجزء الرابع

فهرس أبواب المسائل ويشمل :

المبنى والمعرب ، المثنى ، التغليب ، جمع المذكر السالم ، جمع المؤنث السالم ، جمع الثلاثى الساكن الوسط ، الأسماء الستة ، النكرة والمعرفة ، الضمائر ، العلم ، الإشارة ، الموصول ، المبتدأ ، كان وأخواتها ، أفعال المقاربة ، إن ، ظن ، الفاعل ، نائب الفاعل ، الاشتغال ، التنازع ، المفعول به ، التحذير والإغراء والاختصاص ، المفعول المطلق ، الظروف ، المفعول معه ، الاستثناء ، الحال ، التمييز ، العدد ، النداء ، الترخيم والاستغاثة ، حروف الجر ، القسم ، الإضافة ، المصدر ، أبنية المصادر ، المصدر الميمى ، اسم المرة ، اسم الفاعل ، المبالغة ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة ، نعم وبئس ،

التعجب ،اسم التفضيل ، اسم الزمان والمكان ، النعت ، التوكيد ، العطف ، البدل ، أسماء الأفعال ، الممنوع من الصرف ، توكيد الفعل ، الحكاية ، المذكر والمؤنث ، نصب المضارع ، جزم المضارع ، أدوات الشرط ، الميزان الصرفى ، الاشتقاق ، الأبنية ، القلب المكانى ، الإلحاق ، حروف الزيادة ، تصريف الفعل ، صيغ الزوائد ، المضارع ، المطاوعة ، الأمر ، المهموز ، المضاعف ، المثال ، الأجوف ، الناقص ، اللفيف ، المقصور ، الممدود ، اسم الجنس الجمعى ، اسم الجمع ، جمع التكسير ، التصغير ، النسب ، تخفيف الهمزة ، التقاء الساكنين ، الإمالة ، الإبدال والإعلال ، مخارج الحروف وصفاتها ، الإدغام ، مسائل التمارين ، العوامل ، ليس فى كلام العرب ، الحذف ، التقديم والتأخير ، الضرائر الشعرية ، الاستغناء من علم البلاغة .

الإيضاح فى علل النحو

لأبى القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى ت ٣٣٧ / ٣٤٠هـ

نشره محققا الأستاذ مازن المبارك ، القاهرة ١٩٥٩

يتألف هذا الكتاب من مقدمة صغيرة وثلاثة وعشرين بابا يضاف إليها مسائل صغيرة متفرقة ألحقها الزجاجى بآخر الكتاب .

وموضوع هذا الكتاب : **العلل** ، ومعنى ذلك أنه لم يتعرض للأصول أو القواعد النحوية .[(١)]

ويذكر الأستاذ المحقق أن المؤلفين القدماء كانوا يراعون مستوى قرائهم فيخصون كل طبقة منهم بأسلوب يلائمها ، ومن أجل ذلك تعددت نسخ الكتاب الواحد ، وهو يضيف بأنه من الممكن التفرقة بين تأليف علمى عام ، وتأليف مدرسى تعليمى خاص .[(٢)]

ويجىء مضمون « **الإيضاح** » ليتضمن :

أقسام الكلام ، اختلاف النحويين فى تحديد الاسم والفعل والحرف ، معرفة حد الاسم والفعل والحرف ، الفعل والمصدر وأيهما مأخوذ من صاحبه ، علل النحو ، الإعراب والكلام وأيهما أسبق ، الإعراب لم دخل فى الكلام ، الإعراب أحركة هى أم حرف ؟ الإعراب لم وقع آخر الاسم دون أوله ووسطه ؟ المستحق للإعراب من الأسماء والأفعال والحروف ، الاسم والفعل والحرف ، الأفعال ، أيها أسبق فى التقدم ، فعل الحال وحقيقته ، العلة فى تسمية النحو ، الفرق بين النحو واللغة والإعراب والغريب ، معنى الرفع والنصب والجر ، الفائدة فى تعليم النحو ، علة ثقل الفعل وخفة الاسم ، علة امتناع الأسماء من الجزم ، علة امتناع الأفعال من الخفض ، التثنية والجمع ، علة امتناع الأسماء من الجزم ، علة امتناع الأفعال من الخفض ، التثنية والجمع ، الألف والواو والياء فى التثنية والجمع أهى إعراب أم حروف إعراب ، مسائل مختلفة .

---

(١) صفحة ٩

(٢) السابق ص ١٦

كتاب الجمل فى النحو

صنفه أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى ت ٣٤٠هـ

حققه وقدم له : الدكتور على توفيق الحَمَد . الأردن ١٩٨٤

هذا الكتاب يضم ١٤٥ بابا تناولت أبواب النحو والصرف والأصوات والتأريخ والضرورات الشعرية ، فهو كتاب جامع (٤ أجزاء فى مجلد واحد)

والزجاجى فى هذا الكتاب يحسن عرض موضوعاته بأسلوب سهل واضح خال من التعقيد والجفاف ، وهو يكثر من الشواهد القرآنية والشعرية والأمثلة ليصل إلى تقرير قواعد موضوعاته مع براعة فى التحليل والتعليل .

يبدو الأسلوب التعليمى واضحا فى هذا الكتاب ، إذ ينهى الزجاجى كل باب تقريبا بما يفيد ذلك كقوله : فافهم ، فقس عليه تصب إن شاء الله ، وغير ذلك .

وقد أورد ما يزيد على ١٢٠ شاهدا قرآنيا ، بالإضافة إلى ١٦١ بيتا من الشعر والرجز(١)

يُضمّن الزجاجى كتابه : الإعراب وعلاماته ، الأفعال ، التثنية والجمع ، الفاعل والمفعول به ، النعت ، العطف ، التوكيد ، البدل ، الفعل المتعدى ، الابتداء ، الأفعال الناقصة ، الحروف الناسخة ، القسم وحروفه ، اسم الفاعل وعمله ، الصفة المشبهة ، التعجب .

ويلاحظ هنا أن عرض مسائل النحو كان انتقائيا لا شموليا .

ومنهج الزجاجى فى ترتيب أبواب كتابه منهج فريد ، وليس بين أيدينا ما يمكن أن نعده نموذجا تأثر به . ولا أدل على ذلك من إيراده بعض الأبواب التى لم ترد لدى غيره من النحويين ، ومنها نذكر :

---

(١) صفحة ١٨ من المؤلف ، ولابن السيد البطليوسىّ ت ٥٢١ هـ كتاب بعنوان : الحلل فى شرح أبيات الجمل ، نشره محققا الدكتور مصطفى إمام مع دراسة له وطبع بالقاهرة ١٩٧٩

باب القسم وحروفه ، وباب الهجاء .

وقد بدأ الزجاجى ببعض التقسيمات الصرفية وتناول مجموعة من الأدوات النحوية . وقد اختفى كثيرا بالعامل .

وقد أورد عددا من الأبواب الصرفية كالتصغير والنسب وألف الوصل والقطع ، والمذكر والمؤنث ، والأفعال المهموزة .

كما عرض أبوابا نحوية تدور حول : الأدوات واستخداماتها ، أبواب الحكاية ، بالإضافة إلى عدد من الأبواب الصرفية .

كذلك يورد جمع التكسير ، وأبنية المصادر والأسماء ، ويخصص بابا للإمالة .

ثم يختم كتابه بأبواب فى الأصوات اللغوية كالإمالة والإدغام والإبدال والإعلال والحروف المجهورة والمهموسة .

ونرى من هذا العرض أن الزجاجى سار فى ترتيب كتابه على أساس تناول مجاميع أو طوائف نحوية وصرفية وصوتية ، وخلط بين المجاميع النحوية والصرفية ، وأخر الموضوعات الصوتية وجمعها فى آخر الكتاب .[1]

ومن هذا ندرك أنه كان لديه نظرة تكاملية فى معالجة المسائل اللغوية ، ولا أدل على هذا من أنه خلط الأصوات والصرف والنحو لتوضيح ما هو بصدده .

---

(١) د / كمال بشر : دراسات فى علم اللغة ص ٣١

التفاحة لأبى جعفر النحاس ت ٣٣٨هـ

نشرها بالعراق مؤخرا الدكتور كوركيس عواد

هذا الكتاب رغم صغر حجمه (١٧ ورقة فى مخطوطته الموجودة بجامعة الدول العربية بالقاهرة) جاء ليستوعب أساسيات النحو بأسلوب منظم وتقسيم فريد . وعدا بضعة أبواب تقليدية فى تقسيم الكلمة إلى اسم وفعل وحرف وأيضا أبواب عن الرفع والابتداء وأقسام الفعل ـــ نجد أن المؤلف قد جعل الحروف مدخله إلى تقسيم الأبواب .

وهو يذكر من هذه الحروف :

حروف الخفض ، الحروف التى تنصب الأسماء ، الحروف التى ترفع الأسماء وتنصب الأخبار ، الحروف التى تنصب الأفعال المستقبلة ، الحروف التى تجزم الأفعال المستقبلة ، حروف الرفع .

لم يعالج المؤلف أية مسائل صرفية أو صوتية كغيره من المؤلفات التى زاوجت بين هذه المسائل ودراسة النحو .

والملاحظ أنه لم يورد مسائل خلافية ، كما أنه لم يغرق كتابه بتعليلات فلسفية تتحدث عن اللغة .

اللمع فى العربية

صنعة أبى الفتح عثمان بن جنى ت ٣٩٢ هـ

تقديم وتحقيق وتعليق الدكتور حسين محمد محمد شرف

طبعة أولى بالقاهرة ١٩٧٨

كتاب **اللمع** فى النحو والصرف ، قصد به مؤلفه أن يأتى ليناسب الناشئة والمتعلمين ، فى عبارة ميسرة مبسطة موجزة ، وقد تجنب عرض آراء العلماء ، وواضح أنه لم يتعصب لمذهب .[١]

اشتمل هذا الكتاب على ستة وستين بابا ، منها ثلاثة وستون فى **النحو** ، وثلاثة فى **التصريف** وهى (النسب ، التصغير ، الإمالة) وقد جاءت هذه الأبواب الصرفية فى نهاية الكتاب .[٢]

يحتوى كتاب **اللمع لابن جنى** على الموضوعات التالية ، نوردها حسب ورودها فى الكتاب :

الكلام ، المعرب والمبنى ، الأسماء الستة ، التثنية ، الجمع ، معرفة الأسماء المرفوعة ، معرفة الأسماء المنصوبة ، معرفة الأسماء المجرورة ، معرفة ما يتبع الاسم فى إعرابه ، الحروف التى تنصب الفعل ، باب حروف الجزم ، باب الشرط وجوابه ، نعم وبئس وحبذا وعسى وكم وما ، العدد والجمع والقسم والموصول والصلة ، النسب والتصغير ، الحكاية ، الخطاب والإمالة .

يلفت النظر فى هذا الكتاب تلك المقدمة الضافية التى كتبها محققه الدكتور حسين شرف . وفيها أبان عن منهج ابن جنى فى تأليف كتابه . ونظرًا لأهميتها فإنى أوردها على النحو التالى :

---

(١) ص ٤٤ من مقدمة المحقق

(٢) السابق ص ٤٨

يقوم منهج ابن جنى على الأسس التالية :

١ ــ الاقتصار على علاج القضايا الهامة التى رآها أحق بالذكر فى أبواب النحو والتصريف .

٢ ــ الاقتصار على عرض الرأى الذى اقتنع بصوابه ، وإغفال تفصيل الآراء المختلفة والتعليل لها .

٣ــ الأخذ بما وافق القياس وترك الاهتمام بالتمثيل لما ليس بمقيس .

٤ ــ الاهتمام بدقة العبارة والحرص على أن يكون التعريف جامعا مانعا .

٥ ــ الطابع الغالب على تمثيل ابن جنى فى اللمع تمثيله بما لا يحتج به ، حتى إن الكتاب لم يحو غير ثمانين شاهدا من الشعر ، وأربعين شاهدا من القرآن ، والقليل النادر من كلام العرب .

٦ ــ نهج ابن جنى منهج غيره من المؤلفين ، فلم يتناول بالتفصيل مسألة سبق له أن تناولها أو رأى تأخير الحديث عنها إلى موضع من الكتاب أكثر مناسبة ، وذلك منعا للتكرار .

٧ ــ أخذ ابن جنى نفسه فى هذا الكتاب بمنهج أهل المنطق فى عرض بعض المسائل .

٨ ــ التزم فى ترتيب أبواب الكتاب نهج النحاة المتقدمين إلا قليلا .

٩ ــ جدّد ابن جنى فى عناوين بعض الأبواب .

ملحة الإعراب للحريرى ت ٥١٦ هـ

هذا الكتاب مطبوع فى ٨٢ صفحة فقط من القطع المتوسط[1] ، وفى النهاية تأتى عبارة : ثم طبع ملحة الإعراب لحاجة تعلم اللغة العربية لما فيها من جليل القواعد النحوية . سنة ١٢٩٢ هـ

وهذه **الملحة** تنظم **قواعد النحو** على النحو التالى :

....	....
وبعـــــده فأفضل السلام	على النبى سيد الأنــام
وآلــه الأطهـــار خير آل	فافهم كلامى واستمع مقالى
يا سائلى عن الكلام المنتظم	حدا ونوعا وإلى كم ينقسم
اسمع هديت الرشد ما أقول	وافهمه فهم من له معقول

بــاب الكــلام

حدّ الكلام ما أفاد المستمع	نحو سعى زيد وعمرو متَّبع
ونوعـه الـذى عليـه يبنـى	اسم وفعل ثم حرف معنى

بــاب الاســم

فالاسم ما يدخله من وإلى	أو كان مجرورا بحتى وعلى
مثالـه زيـد وخيـل وغنـــم	وذا وأنت والذى ومن وكم

بــاب الفعــل

والفعل ما يدخل قد والسين	عليـه مثـــل بان أو يبين
أو لحقته تاء من يُحدِّث	كقولهم فى ليس لست أنفث

---

(١) هذه النسخة موجودة فى مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة تحت رقم PJ 6101 H3X 1875

كتـــاب أســـرار العربيـــة

لكمال الدين أبى البركات عبد الرحمن محمد

ابن أبى سعيد **الأنبارى** النحوى ت ٥٧٧هـ

طبع هذا الكتاب فى ليدن بمطبعة بريل سنة ١٨٨٦

ذكر **ابن الأنبارى** فى هذا الكتاب كثيرا من مذاهب النحويين المتقدمين والمتأخرين من البصريين والكوفيين ، وصحح ما ذهب إليه منها وأوضح فساد ما عداه بتعليل واضح ، وقد أعفى كتابه من الإسهاب والتطويل .[1]

المهم هنا هو عبارة المؤلف إذ قال :

« وسهلته على المتعلم غاية التسهيل ، والله ينفع به وهو حسبى ونعم الوكيل »

ويجىء « **أسرار العربية** » ليتناول :

الكلم ، الإعراب والبناء ، إعراب الاسم ، المبتدأ والخبر ، الفاعل ، المفعول ، نعم وبئس ، حبذا ، التعجب ، عسى ، كان وأخواتها ، ما ، إن ، ظننت ، الإغراء ، التحذير ، المصدر ، المفعول فيه ، المفعول معه ، المفعول له ، الحال ، التمييز ، الاستثناء ، كم ، العدد ، النداء ، الترخيم ، الندبة ، لا ، حروف الجر ، حتى ، مذ ومنذ ، القسم ، الإضافة ، التوكيد ، الوصف ، عطف البيان ، البدل ، العطف ، ما لا ينصرف ، إعراب الأفعال وبنائها ، الحروف الناصبة ، الحروف الجازمة ، الشرط والجزاء ، المعرفة والنكرة ، جمع التكسير ، التصغير ، النسب ، أسماء الصلات ، حروف الاستفهام ، الحكاية ، الخطاب ، الالتفات ، الإمالة ، الوقف ، الإدغام .

---

(١) انظر ص ٢ من مقدمة الكتاب

شـرح المفصـل لابن يعيـش ت ٦٤٣ هـ (*)

متن هذا الكتاب كتبه **الزمخشرى** ت ٥٣٨ هـ ، وقد دعاه إلى تأليفه ما بالمسلمين من الأرب إلى معرفة كلام العرب ، وما به من الشفقة والحدب على أشياعه من حفدة الأدب .

وقد أسماه : **المفصل فى صنعة الإعراب** ، وقسمه أربعة أقسام :

القسم الأول : فى الأسماء ، **القسم الثانى** :فى الأفعال ، **القسم الثالث** : فى الحروف ، **القسم الرابع** : فى المشترك .

وذلك ليسهل على الطالب حفظه ، وعلى الناظر فيه وجدان ما يرومه على حد قول المؤلف[1]

والكتاب مطبوع فى مجلدين ، كل منهما يشتمل على خمسة أجزاء :

المجلد الأول : أجزاء ١ ــ ٥ كاملة ، وجزء يسير من بداية جزء ٦

المجلد الثانى : استكمال جزء ٦ ، وحتى نهاية جزء ١٠

ويلاحظ أن الأجزاء لا تأتى بقسمة عادلة فى الكتاب ، ذلك أن قسم الأسماء وحده يحتل أجزاء ١ ــ ٦ ، وقسم الأفعال : جزء ٧ فقط ، قسم الحروف : جزء ٨ ، وجزء ٩ ، أما المشترك فيشمل بقية جزء ١٠ كله .

وفيما يلى نورد الموضوعات النحوية كما ترد فى أجزاء الكتاب :

الجزء الأول :(القسـم الأول فى الأسمـاء) :

خطبةالكتاب ، خطبةالمفصل ، تعريف الكلمة ، الكلمة والكلم، علامات الاسم ، تقسيم العلم إلى أنواع، مبحث أنواع الاسم ، أقسام العلم، الاسم المعرب ،

(*) نشر هذا الكتاب بتحقيق مشيخة الأزهر ، د . ت .

(١) جزء ١ ص ١٧

المنوع من الصرف ، المرفوعات : الفاعل ، المبتدأ والخبر ، إن وأخواتها ، لا التى لنفى الجنس ، مبحث المنصوبات : المفعول المطلق ، المنادى

الجزء الثانى : توابع المنادى ، المندوب ، الاختصاص والترخيم والتحذير ، ما أضمر عامله على شريطة التفسير ، المفعول فيه ، المفعول معه ، المفعول له ، الحال ، الاستثناء ، الخبر والاسم فى بابىْ كان وإن ، المنصوبات بلا التى لنفى الجنس ، ما و لا المشبهتين بليس ، المجرورات ، الإضافة ، أيا وأى .

الجزء الثالث : إضافة كلا ، ما يضاف للفعل ، حذف المضاف ، المضاف لياء المتكلم ، التأكيد ، الصفة ، البدل ، عطف البيان ، العطف بالحرف ، الاسم المبنى ، المضمرات ، ضمير الفصل ، ضمير القصة والشأن ، الضمير الواقع بعد لولا وعسى ، نون الوقاية ، أسماء الإشارة ، الموصولات .

الجزء الرابع : تابع الموصولات ، أسماء الأفعال والأصوات ، الظروف ، المركبات ، الكنايات .

الجزء الخامس : تابع الكنايات ، إعراب ما يجمع بالواو والنون ، عودة للمركبات ، الجموع ، عودة للكنايات ، صيغ الجموع ، أسماء المعرفة ، المذكر والمؤنث ، الاسم المصغر ، تاء التأنيث ، النسب .

الجزء السادس : تابع النسب ، العدد ، المقصور والممدود ، المصدر ، الصفة المشبهة ، اسم التفضيل ، اسم الزمان والمكان ،

أوزان الثلاثى ومواضع الزيادة .

الجزء السابع : (القسم الثانى فى الأفعال) :

الأفعال ، الماضى ، المضارع : مرفوع ومنصوب ومجزوم ، الأمر ، المتعدى واللازم ، المبنى للمجهول ، أفعال القلوب ، الأفعال الناقصة ، نعم وبئس وما فى معناهما ، فعلا التعجب ، الفعل الثلاثى .

الجزء الثامن : (القسم الثالث فى الحروف) :

حروف الإضافة ، حروف الجر ، الحروف المشبهة بالفعل ، حروف العطف ، حروف النفى ، حروف التثنية ، حروف النداء ، حروف الجواب ، حروف الصلة والزيادة ، حروف التفسير ، حروف التخصيص ، حروف التقريب ، حروف الاستقبال ، حروف الشرط

الجزء التاسع : تابع حروف الشرط ، اللامات : التعريض ، الجواب ، الابتداء ، الفارقة ، تاء التأنيث ، التنوين ، نون التوكيد ، هاء السكت ، شين الوقف ، حرف التذكر .

(القسم الرابع فى المشترك) : الإمالة ، الوقف ، القسم ، تخفيف الهمزة ، التقاء الساكنين ، أوائل الكلم (همزة الوصل) ، زيادة الحروف

الجزء العاشر : تابع زيادة الحروف ، إبدال الحروف ، الإعلال ، الإبدال ، عود إلى الإعلال ، الإدغام ، مخارج الحروف ، عود إلى الأدغام .

كتـاب الكافيـة فى النحو

للإمام جمـال الـدين أبى عمرو عثمان بن عمر

المعروف بابن الحاجب النحـوى المالكى ت ٦٤٦ هـ(*)

هذا الكتاب شرحه رضى الدين الاستراباذى ت ٦٨٦هـ فى جزءين ، **الجزء الأول** يبدأ فيه بذكر الكلمة واشتقاقها ، والفرق بين القول والكلام واللفظ ، وبيان المفرد والمركب ، ثم الكلام ، وهو يفرق بين الجملة والكلام والإسناد والإخبار .

بعد ذلك يشرح الاسم ، والمعرب ، والمبنى ، وأنواع الإعراب ، ثم اختلافات علامة التثنية والجمع ونونهما ، ويعرض للإعراب المقدر للتعذر أو الاستثقال ، ثم يقدم غير المنصرف .

ويعرض المرفوعات على النسق التالى :

الفاعل ، مفعول مالم يسمّ فاعله ، المبتدأ و الخبر ، خبر إن وأخواتها ، خبر لا التى لنفى الجنس ، اسم « ما » و « لا » المشبهتين بليس (يلاحظ أنه لم يذكر بعض المرفوعات مثل اسم كان ولا الفعل المضارع المرفوع هنا . سيجىء ذلك فى الجزء الثانى حين يتعرض للفعل والأفعال الناقصة) .

ثم يعرض المنصوبات ويذكر منها بالترتيب :

المفعول المطلق ، المفعول به ، المنادى ، المفعول فيه ، المفعول له ، المفعول معه ، الحال ، التمييز ، المستثنى ، اسم إن وأخواتها ، خبر ما ولا المشبهتين بليس .

ويعرض المجرورات فيبين معنى الإضافة وأحكامها ، ثم يتحدث عن التوابع : النعت ، العطف ، التأكيد ، البدل ، عطف البيان .

(*) شرحها الشيخ رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى النحوى ت ٦٨٦هـ طبعت مرتين : الأولى فى الشركة الصحافية العثمانية سنة ١٣١٠ هـ أما الطبعة الثانية فصدرت عن دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩ م فى جزءين

في الجـزء الثانـى من الكافية :

يبدأ ابن الحاجب بذكر المبنى ، ثم المضمر ، اسم الإشارة ، الموصول ، أسماء الأفعال ، الأصوات ، المركبات (الأعلام المركبة) ، الكنايات (كم وأسماء الشرط) ، الظروف ، المعرفة والنكرة ، المضمرات والمعرف باللام والنداء ، العلم ، النكرة وأسماء العدد ، المذكر والمؤنث ، بحث المثنى ، المجموع ، المصدر ، اسم الفاعل ، اسم المفعول ، الصفة المشبهة ، اسم التفضيل ، الفعل (ماض ، مضارع ، أمر) .

ثم يعرض بعد ذلك لجملة مسائل هى :

فعل ما لم يسم فاعله ، أفعال القلوب ، الأفعال الناقصة ، أفعال المقاربة ، فعل التعجب ، أفعال المدح والذم ، الحرف ، حروف الجر ، الحروف المشبهة ، حروف العطف ، حروف التنبيه ، حروف النداء وحروف الإيجاب ، حروف الزيادة ، حروف التفسير ، حروف المصدر ، حروف التخصيص ، حروف التوقع ، حروف الاستفهام ، حروف الشرط ، حروف الردع ، تاء التأنيث الساكنة ، التنوين ونون التوكيد : خفيفة ومشددة ، أحكام هاء السكت ، حرف الإنكار ، حرف التذكير .

ألفية ابن مالك
فى النحو والصرف
للعلامة محمد بن عبد الله بن مالك الأندلسى ت ٦٧٢هـ

نظم ابن مالك قواعد النحو والصرف فى ١٠٠٣ من الأبيات . ومما قاله فى مقدمتها :

وأستعين الله فى ألفيه   مقاصد النحو بها محويه
تقرب الأقصى بلفظ موجز   وتبسط البذل بوعد منجز
وتقتضى رضا بغير سخط   فائقة ألفية ابن معطى

وتأتى عناوينها على النحو التالى :

الكلام ومايتألف منه ، المعرب والمبنى ، النكرة والمعرفة ، العلم ، اسم الإشارة ، الموصول ، المعرف بأداة التعريف ، الابتداء ، كان وأخواتها ، أفعال المقاربة ، إن وأخواتها ، لا التى لنفى الجنس ، ظن وأخواتها ، أعلم وأرى ، الفاعل ، النائب عن الفاعل ، اشتغال العامل عن المعمول ، تعدى الفعل ولزومه ، التنازع فى العمل ، المفعول المطلق ، المفعول له ، المفعول فيه وهو المسمى ظرفا ، المفعول معه ، الاستثناء ، الحال ، التمييز ، حروف الجر ، الإضافة ، المضاف إلى ياء المتكلم ، إعمال المصدر ، إعمال اسم الفاعل ، أبنية المصادر ، أبنية أسماء الفاعلين والمفعولين والصفات المشبهة بها ، الصفة المشبهة باسم الفاعل ، التعجب ، نعم وبئس وما جرى مجراهما ، أفعل التفضيل ، النعت ، التوكيد ، العطف ، عطف النسق ، البدل ، النداء ، فصل (فى التوابع) ، المنادى المضاف إلى ياء المتكلم ، أسماء لازمت النداء ، الاستغاثة ، الندبة ، الترخيم ، الاختصاص ، التحذير والإغراء ، أسماء الأفعال والأصوات ، نونا التوكيد ، مالا ينصرف ، إعراب الفعل ، عوامل الجزم ، فصل لو ، أما ولولا ولوما ، الإخبار بالذى والألف واللام ، العدد ، كم وكأين وكذا ،

الحكاية ، التأنيث ، المقصور والممدود ، جمع التكسير ، التصغير ، النسب ، الوقف ، الإمالة ، التصريف ، فصل فى زيادة همزة الوصل ، الإبدال ، فصول متفرقة فى الإبدال ، الإدغام ، وبه نهاية الألفية أو الخلاصة .

هذا وقد شرح الألفية عدد كبير من العلماء ، شرحها **ابن هشام** (ت ٧٦١هـ) مرتين ، إحداهما فى كتابه : **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك** ، والثانية فى كتاب سماه : **رفع الخصاصة عن قراء الخلاصة** .

كما شرحها **ابن الناظم** وهو محمد بدر الدين ت بدمشق ٦٨٦هـ وشرحها **المرادى المصرى** ت ٨٤٩هـ ، وكذا : **ابن العينى** ت ٨٤٩هـ ، **والمكودى** ت ٨٠١هـ **والأشمونى** (ت فى حدود ٩٠٠هـ)

وكذلك فقد شرحها **الأبناسىّ** ت ٨٠٢هـ ، **والسيوطى** ت ٩١١هـ **وابن الجزرى** ت ٨٣٣هـ

ومن شراح الألفية الذين ذاعت شهرتهم : قاضى القضاة عبد الله بهاء الدين ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله **ابن عقيل الهاشمى** المتوفى بمصر سنة ٦٩٨هـ

وقد قام الأستاذ **محمد محي الدين عبد الحميد** بتحقيق نسخ **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** (جمع اثنتىْ عشرة نسخة منها) ونشرها فى جزءين وطبعها عدة طبعات بالقاهرة أوفاها : الطبعة الرابعة عشرة سنة ١٩٦٤/ ٦٥ وقد وضع الأستاذ محي الدين تعليقاته وشروحه على الألفية فى الهامش وأطلق عليها : كتاب **منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل**

نماذج من **الألفية**

يقول **ابن مالك** عن **النكرة والمعرفة**

نكـرة قابـل أل مؤثـــرا أو واقع موقع ماقد ذكرا

وغيره معرفة كهــم وذى وهند وابنى والغلام والذى

وعن أسماء الإشارة :

بــذا لمفــرد مذكـــر أشر   بذى وذه تى تا على الأنثى اقتصر
وذان تــان للمثنــى المرتفــع   وفى سواه ذين تين اذكر تطع
وبـأولى أشر لجمــع مطلقــا   والمد أولى ولدى البعد انطقا
بالكاف حرفا دون لام أو معه   واللام إن قدمت « ها » ممتنعه

وعن المبتدأ والخبر :

مبتــدأ زيــد وعـــاذر خبر   إن قلت زيد عاذر من اعتذر
وأول مبتــــدأ والثـــــانى   فاعل اغنــى فى (أسارذان)

وعن كان وأخواتها :

ترفع كان المبتدأ اسما والخبر   تنصبــه ككــان سيــدا عمـــر
ككان ظل بات أضحى أصبحا   أمسى وصار ليس زال برحا
فتىء وانفك وهذى الأربعــة   لشبه نفــى أو لنفــى متبعــه
ومثل كان دام مسبوقا بـ «ما»   كأعط مادمت مصيبــا درهما

كتاب الأشباه والنظائر (*)

لأبى الفضل عبد الرحمن بن الكمال أبو بكر جلال الدين السيوطى ت ٩١١هـ

هذا الكتاب كما يشير محققه يجيء نسيجا وحده فى علم النحو ، إذ لم يؤلف أحد على مثاله ألبتة – فهو تأليف جديد فى هذا الفن يجمع بين القواعد المتشابهة ، ويضم الشبيه إلى شبيهه ، والنظير إلى نظيره .

والسيوطى يرتب كتابه على فنون ، نوردها حسب ورودها فى أجزاء الكتاب المطبوع على النحو التالى :

فى الجزء الأول : يبدأ السيوطى كتابه بما أسماه (فن القواعد والأصول العامة) ويورد تحته حروف الألفباء العربية ، وتحت كل حرف منها يضع كل الأبواب التى تبدأ بهذا الحرف .

مثلا ، الهمزة ، تأتى تحتها مناقشة كل المسائل النحوية التى تبدأ بهمزة مثل : الاتباع ، الاتساع ، اجتماع الأمثال ، إجراء اللازم مجرى غير اللازم والعكس ، إجراء المتصل مجرى المنفصل ، إجراء الأصل مجرى الزائد والعكس ، اختصار المختصر ، أسبق الأفعال ، الاستغناء ، الاسم أصل للفعل والحرف ، الاشتقاق ، الأصل ، إصلاح اللفظ ، الإضافة ، الإضمار ، الإعراب والكلام وأيهما أسبق ، الأفعال ، الإلغاء ، الأمثال لا تغير ، الإيجاب .

وينتقل من هذا الحرف إلى حرف الباء ، فالتاء ، فالثاء وهكذا .

ويلاحظ هنا أن السيوطى ترك حروف الدال ، والذال ، والهاء كأنه لم يجد مصطلحات تبدأ بأى من هذه الحروف . وقد حاولت أن أستجلى هذا الموقف من السيوطى وعما إذا كانت مصطلحات تبدأ بهذه الحروف غير موجودة فى التراث النحوى القديم .

(*) طبع هذا الكتاب طبعة جديدة مراجعة محققة معتنى بإخراجها على يد الأستاذ طه عبد الرءوف سعد ، القاهرة ١٩٧٥ (وذلك فى أربعة أجزاء) .

وجدت أن سيبويه فى الكتاب يورد عددا من المصطلحات التى تبدأ بالحروف التى أغفلها السيوطى . وفى كتاب سيبويه :

الدال : مخرجها وقلبها وإبدالها من الواو أو تاء الافتعال . والمصطلحات التى تبدأ بالدال هى : الدعاء (المصادر الدعائية) ، دون : للتقصير عن الغاية ، ملازمتها للظرفية .

الذال : مخرجها ، ثم المصطلحات التى تبدأ بالذال وهى : ذا الإشارية ، ذا الموصولة الواقعة بعد ما ، ومن ، ذات الشمال : من ظروف المكان ، ذات مرة : لازمة للظرفية الزمانية ، ذات اليمين وذات الشمال : من ظروف المكان ، الذم والمدح ، ذه ، ذو .

الهاء : هاء التأنيث ، هاء السكت ، هاء الضمير ، هل ، هلا ، هلم ، الهمز ، هو وهى ، وهيهات .[1]

فى الجزء الثانى : يتحدث السيوطى عن (الفن الثانى فى التدريب) ويورد تحت هذا الفن :

الألفاظ ، الكلمة ، الاسم والإسناد ، الفعل وأقسامة ، الحروف وأنواعها وتقسيماتها ، الكلام والجملة ، المعرب والمبنى ، المنصرف وغير المنصرف ، النكرة والمعرفة ، المضمر ، العلم ، الإشارة ، الموصول ، المعرف بالأداة .

المبتدأ والخبر ، كان وأخواتها ، إن وأخواتها ، لا ، ظن وأخواتها ، الفاعل ، المفعول به ، التعدى واللزوم ، الاشتغال ، المصدر ، المفعول له ، المفعول فيه ، الاستثناء ، الحال ، التمييز ، حروف الجر ، الإضافة ، المصدر ، اسم الفاعل ، التعجب ، أفعل التفضيل ، أسماء الأفعال ، النعت ، التوكيد ، العطف ، البدل ، النداء ، الندبة ، الترخيم ، الاختصاص ، العدد ، الإخبار بالذى

---

(١) سيبويه : الكتاب حـ ٥ ص ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥

والألف واللام ، التنوين ، نونا التوكيد ، نواصب المضارع ، الجوازم ، الأدوات ، المصدر ، الصفات ، أسماء الأفعال ، التأنيث ، المقصور والممدود ، جمع التكسير ، التصغير ، النسب ، التقاء الساكنيْن ، الإمالة ، التصريف ، الزيادة ، الحذف ، الخط .

كذلك فإن الجزء الثانى يتضمن الفن الثالث (فن بناء المسائل بعضها على بعض) ويشمل ذلك :

الإعراب والبناء ، العلم ، الموصول . كما يتضمن الفن الرابع (فن الجمع والفرق) وتحت هذا قسمان :

القسم الأول : ما اقترن فيه الكلام والجملة ، الفرق بين الإعراب التقديرى والمحلى ، الفرق بين لا و ليس ، الفرق بين المصدر واسم المصدر . أما القسم الثانى فيتضمن : الإعراب والبناء ، الفرق بين غد وأمس ، الفرق بين حروف الجر وبين الإضافة .

فى الجزء الثالث : يأتى الفن الخامس (الطراز فى الألغاز)

ويشمل هذا : اللغز النحوى ، ويورد السيوطى تحت هذا العنوان ألغازا للحريرى وابن هشام والزجاجى والزمخشرى والسخاوى ، وألغاز ابن الشجرى ، بالإضافة إلى ألغاز أخرى متفرقة .

هذا والجزء الثالث يشمل إلى فن الألغاز فنيْن آخرين هما الفن السادس فى الإفراد والغرائب ، والفن السابع فى المناظرات وغيرها .

الفن السادس (الإفراد والغرائب) ويشمل : الكلمة والكلام ، والإعراب ، والإشارة ، وأداة التعريف .

أما الفن السابع (فى المناظرات والمجالسات والمذاكرات والمراجعات والفتاوى والواقعات والمكاتبات والمراسلات) وذلك مثل مناظرة سيبويه

والكسائى فى المسألة الزنبورية ، مجلس الخليل بن أحمد مع سيبويه ، مجلس أبى إسحاق الزجاج مع جماعته ، مناظرة الكسائى واليزيدى ، مجلس بين ثعلب والمبرد ، وهكذا .

أما الجزء الرابع والأخير من الأشباه ، فيأتى تتمة للجزء الثالث ، بالإضافة إلى عدد من المسائل وإجاباتها ، وكذلك إعراب بعض الجمل أو التعبيرات المشكلة .

ملاحظات عامة على كتب التراث النحوى

ظلت كتب التراث النحوى تدرس فى معاهد متخصصة على مدى أجيال وذلك بالأزهر الشريف ، ودار العلوم ، وأقسام اللغة العربية بكليات الآداب . والقليل منها فقط هو الذى حظى بهذه العناية ، أما البقية وهى أكثر فقد ظلت فقط مصادر يستفتيها دارسو الماجستير أو الدكتوراه .

وعدم انتشار هذه الكتب فى التراث النحوى ربما مرده إلى عدة عوامل أو هى بالأحرى احتمالات .

لقد قالوا إن النحو القديم لم يراع نفسية الدارسين ، وأنه نحو معيارى ، يركز على قضايا ذهنية وفلسفية ، ليس له أسلوب وظيفى فى إيراد النماذج ، تنقصه التطبيقات والتمارين العملية ، لغته صعبة والاختلافات ترد لتغطى على الحقائق ، الشرح النظرى فيه مجرد إلى أبعد الحدود .

هذه فقط مجرد عنوانات لبعض ما أُخذ على النحو القديم ، وربما كان ذلك من بين الأسباب التى جعلت عالما مصريا كالسيوطى ت ٩١١هـ يطلق صيحته الجريئة والموضوعية بفتح باب الاجتهاد فى النحو وذلك فى كتابه « الاقتراح » . والسؤال الآن :

إلى أى مدى وجدت دعوة **السيوطى** استجابة ، وإلى أى مدى حاولت المؤلفات النحوية الحديثة تلافى عيوب النحو القديم ؟ هذا ما نحاول الإجابة عنه حين نتعرض للتراث النحوى فى العصر الحديث .

ب - كتب النحو فى العصر الحديث

١ - تعليم العربية لغير أبنائها :

قد يكمل صورة التراث النحوى فى القديم أن نضم إليه ملامح الذين شادوا صرح النحو العربى فى العصر الحديث ، سواء من المستشرقين أو من العرب وبخاصة من المصريين .

ولقد كان لحركة الاستشراق فى الغرب دورها الذى لاينكر فى إقبال غير الناطقين بالعربية على تعلم اللغة العربية . وعوامل ذلك متعددة منها :

أغراض عقائدية محضة أو استجابات لأعمال تبشيرية كما حدث فى أسبانيا فى العصور الوسطى ، وأيضا : الاهتمام باللغات السامية عموما ومن بينها العربية ، وكذلك نهضة الطباعة وازدهارها ، بالإضافة إلى محاولة البابوية توحيد الكنائس عن طريق الاتفاق مع المسيحيين الشرقيين ، وكذلك فإن التخوف من تصاعد قوة تركيا قد أدى إلى دراسة أوثق للإمبراطورية العثمانية والإسلام ولغة الإسلام وهى اللغة العربية . وقد يضاف إلى كل تلك العوامل بزوغ حركة الترجمة وتدريب المترجمين ، وحركة جمع المخطوطات وتصنيف فهارس المخطوطات العربية .

ونتيجة ذلك كله أن تأسس أول كرسى للعربية فى باريس عام ١٥٣٩ فى الكوليج دى فرانس ، وبعده كثرت كراسى الدراسات الشرقية لا فى باريس وحدها ، بل امتد ذلك إلى هولندا وإنجلترا وألمانيا وإيطاليا وغيرها من دول أوربا .[١]

المهم هنا ، أنه قبل القرن التاسع عشر بدأ اهتمام بعض المستشرقين بقواعد

---

(١) انظر ص ٧٩ ، ٨٠ من مقالتى : تعليم العربية ، المنشورة فى مجلة : دراسات عربية وإسلامية ، العدد ٢ ، القاهرة ١٩٨٤

اللغة العربية ، فألفوا فيها كتبا قصدوا منها إلى تعليم غير العرب ، وبالإضافة إلى سبقهم إلى ذلك فقد استمروا يؤلفون فى هذا الفرع الدقيق ، حتى بعد المحاولات العديدة التى قام بها الباحثون العرب فى تأليف كتب تخدم الناطقين باللغة العربية .

وفيما يلى سوف أورد مؤلفات المستشرقين (مما تيسر لى جمعه) مرتبة وفق سنوات الطبع :

- Von Arope , Thomas (Erpinius) 1584 - 1624

نشر أول كتاب لقواعد اللغة العربية

- Sacy , Silvester de : Grammre Arabe 2 vols , Paris 1810

وله أيضا بالعربية : **التحفة السنية فى علم العربية**

طبع فى جزءين سنة ١٧٩٩ ثم أعاد طبعه منقحا مزيدا سنة ١٨٠٤

- Ewald , George H . August :

Grammatica Critica linguae Arabicae lipsiae 1831

- Bresnier , Louis Jacques :

Cours practique et theorique de language arabe , Paris - Alger 1855

- Howell , Mortimer Sloper

A grammer of the classical Arabic language,7 vols . Allahabad 1833 - 1911

- Galliganis , Luigi

Il Nuovo erpenio cssia corso

Teorico - Pratico di lingua Araba

Torina (Tipografia derossi E . Dusso , 1863

- Palmer , Edward Henry

A grammer of the arabic language , London , 1874

- Reckendorf , Hermann

Die Syntaktischen Verhaltnisse des Arabischen , Leiden 1895

- Socin , Albert

Arabic grammer , ed by kennedy , London , 1895

- Caspari , Carl Paul

A grommer of the Arabic Language . Transleted form German of Caspari, ed by Wright 3rd ed , Cambridge Univ press , 1896 - 1898

- Nöldeke , Theodor

Zur grammatic des klassischen Arabisch , Wien , 1897

- Green , Arthur

Practical Arabic Grammer , 2 vols Oxford 1901 - 1909

- Sterling , Robert

A grammer of the Arabic Languge , London , 1904

- Socia , Albert

Socian ' s Arabische Gramatik , Beriin , 1909

- Weir , T . H .

Arabic prose Compositian , Cambridge 1910

- Sterling , Robert

Arabic and Enghich : idiom , Jerusalem 1912

- Van Ess , John

An aid to practical written Arabic , Landon 1920

- Reckendorf , Hermann

Arabische syntax , Heidelberg , 1921

- Athanasius , Atallah

A textbook of Arabic syntax , AVC , School oriental Studies , 2) Cairo 1922

- Thatcher , G . W

Arabic Gramer , Heidelberg , 1927

- Mainz , Ernst

Zur Gramatik des moderren Schr - ft arebisch , Hamburg , 1931

- Veccia Vaglier , Laura

Grammatice tecrico 3rd ed . Rome 1941

- Tritton , Arthur Stanley

Teach yourself Arabic , London 1943

- Wright . W : A Grammer of the Arabic Language 2 vols , 3rd ed , Cambridge , 1896 - 1898

- Ziyadeh . F & winder . B

An Introduction to Modern Arabic , Princeton , New Jessey , 1st ed 1957 , 5Th ed . 1964

- Abboud , Peter et al

Elementary Modern Standard Arabic 2 vols . Michigan , Ann Arbour , 1st ed 1968 , reprint 1976 , 1983

- Modern Literay Arabic

Compiled by The Middle East Center for Arabic Studies 2 vols , 2 nd ed , Shimlan , Lebanon , 1969

- Abboud , Peter et al

Intermediate Modern Stamdard Arabic 3 vols , Michigon , Ann Arbour 1971

يضاف إلى هذا للباحثين العرب (من مصر) :

- د/ قمر عبده ، د/أحمد حسنين ، د/محمد الكاشف ، الأستاذة ناهد رشاد :

تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

بتكليف من المركز القومى للبحوث التربوية . القاهرة ١٩٨٤

- د/ السعيد محمد بدوى ، د/ فتحى يونس :

الكتاب الأساسى لتعليم اللغة العربية . منظمة التربية والعلوم والثقافة . تونس ١٩٨٤

٢ - تعليم العربية لأبنائها :

أما المؤلفون العرب الذين كتبوا لتعليم اللغة العربية لأبنائها فقد اتجهت جهودهم فى حقل النحو العربى إلى مجالين : مجال البحوث النظرية ، بهدف إصلاح المسار وتجنب العيوب القديمة والاتجاه إلى عرض المسائل النحوية بمنهجية جديدة تراعى ما أمكن الاستخدامات الوظيفية للغة العربية ، بعيدا عن الاختلافات والفلسفات التى تعوق المتعلم وتقف به عن تحصيل القواعد العربية . وفى عبارة موجزة ، دعت هذه البحوث إلى « عصرنة » النحو .

والمجال الآخر هو مجال تأليف كتب تعليمية تعرض قواعد النحو وموضوعاته بالنماذج والأمثلة .

فى مجال البحوث ، يبرز عدد من الدراسات المهمة ، ونرتبها تاريخيا حسب سنوات النشر .

إبراهيم مصطفى : إحياء النحو القاهرة ١٩٣٧

يعقوب عبد النبى : إصلاح النحو (مخطوط بمجمع اللغة العربية) القاهرة ١٩٤١

محمد عرفة : النحو والنحاة القاهرة د . ت

شوقى ضيف(محقق) : الرد على النحاة لابن مضاء القرطبى - القاهرة ١٩٤٧

عبد الرحمن أيوب : دراسات نقدية فى النحو العربى - القاهرة ١٩٥٦/ ١٩٥٧

أمين الخولى : مناهج تجديد فى النحو والبلاغة والتفسير والأدب ط أولى القاهرة ١٩٦١

عباس حسن : اللغة والنحو بين القديم والحديث - القاهرة ١٩٦٦

شوقى ضيف : المدارس النحوية . القاهرة ١٩٦٨

إبراهيم السامرائى : النحو العربى : نقد وبناء . بيروت ١٩٦٨

حسن عون : تطور الدرس النحوى . القاهرة ١٩٧٠
داود عبده : نحو تعليم اللغة العربية وظيفيا . الكويت ١٩٧٠
تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها القاهرة ١٩٧٣
عفيف دمشقية : المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربى . بيروت ١٩٧٨
أحمد طاهر حسنين : نحو قراءة نحوية ميسرة (مقال نشر بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة) الجزء الرابع والأربعون ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩ صفحات ١٠٨ - ١١٧

والذى يتمعن فى هذه المحاولات يجد أنها تدور حول عدد من الموضوعات نجملها فيما يلى :

البعد عن التفريعات والتقسيمات ، إذ يكفى مثلا أن يقال مسند ومسند إليه بدلا من فاعل ، نائب فاعل ، مبتدأ .

إلقاء الضوء على الأساليب بدلا من إضاعة الوقت فى الحكم الإعرابى فقط ، ولهذا تأتى أهمية التركيز على أساليب التعجب ، والتفضيل ، والإغراء ، والتحذير ، وأساليب النفى ، الإثبات ، الاستفهام وما إلى ذلك .

الاستغناء كلية عن الإعراب المقدر ، والإعراب المحلى إذ فى ذلك مضيعة للوقت وشحذ ذهن الدارس بأمور غير عملية .

دار عدد من الاعتراضات حول الأمثلة النحوية ، وجاءت الدعوة إلى نبذ الأمثلة المصنوعة ، والتمثيل بالأمثلة المأثورة فقط داخل إطار الوظيفية والاستعمالات الحية .

طرح الآراء الخلافية ، وبلورة الحكم الإعرابى الأكثر تواردا وضبطه وتقديمه إلى الدارسين بدلا من متاهة الاختلافات .

وفى مجال **تأليف الكتب التعليمية** فى النحو بهدف تعليمه إلى الناطقين باللغة العربية ، هناك مؤلفات عديدة ، نذكر منها بالترتيب حسب سنوات النشر :

أحمد المرصفى : تقريب فن العربية لأبناء المدارس الابتدائية . القاهرة ١٨٦٨

رفاعة الطهطاوى : التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية . القاهرة ١٨٦٨

عبد الله باشا فكرى : الفصول الفكرية للمكاتب المصرية ط ٤ ، ١٨٧٧

حفنى ناصف وآخرون : الدروس النحوية لتلاميذ الابتدائى ، (٣ أجزاء) القاهرة ١٨٨٧

على مبارك (ت ١٨٩٣) : طريق الهجاء والتمرين على القراءة فى اللغة العربية (فى جزءين) د . ت

إبراهيم عبد الخالق : التطبيقات العربية على الكتاب الرابع من الدروس النحوية . القاهرة ١٩٠٦

إسماعيل منصور : النماذج التطبيقية للدروس النحوية . (فى جزءين) القاهرة ١٩١٣

عبد الوهاب الصبرى : تطبيق على الكتاب الثالث من الدروس النحوية . القاهرة ١٩٢٤

زكى المهندس وآخرون : النحو المصور . القاهرة ١٩٣١

على الجارم ومصطفى أمين : النحو الواضح . القاهرة ١٩٣٤

وزارة المعارف : تكوين الجمل للمرحلة الابتدائية . القاهرة ١٩٣٦

قواعد اللغة العربية للمرحلتين الابتدائية والثانوية . القاهرة ١٩٣٨

عبد المتعال الصعيدى : النحو الجديد . القاهرة ١٩٤٧

عبد العزيز القوصى : تيسير النحو للمرحلة الابتدائية . القاهرة ١٩٤٩

إبراهيم مصطفى وآخرون : تحرير النحو . القاهرة ١٩٥٨

محمد أحمد برانق : النحو المنهجى . القاهرة ١٩٥٨

عباس حسن : النحو الوافى (فى ٤ أجزاء) القاهرة ١٩٦٠ - ١٩٦٣

عبد الحميد طلب : تهذيب النحو . القاهرة ، د . ت

عبد العليم إبراهيم : النحو الوظيفى . القاهرة ١٩٧٠

محمد كامل حسين : النحو المعقول . أسيوط ١٩٧٢

محمد عيد : النحو المصفى . القاهرة ١٩٧١

شوقى ضيف : تجديد النحو . القاهرة ١٩٨٢

ملاحظات على كتب النحو
فى العصر الحديث

ما من كتاب نحوى حديث صدر إلا وكان مزدوج الخطة ، يحاول مؤلفه أن يطمئن القراء إلى أنه لن يغرقهم بالفلسفات والاختلافات ، وفى نفس الوقت يعدهم خيرا بأن ما يقدمه نحو جديد . ومعنى ذلك أن فكرة « البديل » قد سيطرت على المؤلفات النحوية الحديثة ، لدرجة أنها زلزلت الثقة فى كتب النحو التراثية ، وبالتالى قطعت الصلة بين الدارس الحديث والكتب القديمة (نستثنى من ذلك بحوث الماجستير والدكتوراه)

اتخذ التجديد فى النحو مسارات متعددة ، بعضها ينحو صوب تبسيط العبارة ، والبعض ينحو إلى إحلال نماذج وأمثلة رآها عصرية أكثر ، على حين اتجه بعض المفكرين إلى ترجيح تسميات ومسميات رأوها أيسر وأبسط ، وآخرون وجدوا فى مقارنة النحو العربى بغيره وسيلة من وسائل التحديث والتفرنج ، وآخرون وآخرون .. إلى غير ذلك من المحاولات التى لم تنجح – فى رأيى – إلا فى قطع الصلة بين الدارس الحديث وتراثه ، وأصبحت عنوانات الكتب النحوية تقرع الأسماع أو تتخذ تفكهة فى مجالس المتخصصين .

من أجل هذا كان إصرارى على عرض بعض التراث النحوى القديم كى أستأنف به الصلة التى أشرت إليها ، والتى أضحت فى حكم المفقودة .

ومن أجل هذا أيضا ساهمت بالقيام بمحاولتين نشرت إحداهما فى مقال لى بمجلة مجمع اللغة العربية ، ونشرت الثانية فى مجلة فصول القاهرية . ولابأس هنا من إيرادهما معا لأنهما يجيئان تتمة لما نحن فيه . المحاولة الأولى كان ميدانها النثر ، أما الثانية فمجالها الشعر أو شعر حافظ إبراهيم بوجه خاص .

أ ـ نحو قراءة نحوية ميسرة

كيف نقرأ النصوص العربية بطريقة تتناسب وقواعد النحو العربى ؟ بعبارة أخرى كيف نستطيع أن نقرأ اللغة العربية ومعنا فقط قدر يسير من المعلومات النحوية ؟

لقد شغلنى هذا السؤال طويلا ؛ إذ أن الطالب الذى يدرس قواعد النحو ربما يدرس كل القواعد ، ومع ذلك إذا طلب إليه أن يقرأ نصا مكتوبا فإنه يخطئ ، لماذا ؟ ربما لأن المعلومات النحوية التى حصلها تتغالب جميعها أمام الكلمة فلا يدرى ما إذا كانت هذه الكلمة أو تلك مرفوعة أو منصوبة أو مجرورة أو مجزومة ، ويظل الطالب يقلب هذه الأوجه الأربعة حتى يجيئه المدد فينطقها أخيرًا وبعناء منصوبة ، وقد تكون الحالة رفعا أو مرفوعة وقد تكون الحالة جرا وما إلى ذلك .

قديما قالوا : « **سكن تسلم** » وهو وإن كان حلا مؤقتا فإنه لا يرضى الراغبين فى قراءة نحوية سليمة .

ليست هذه مجرد ديباجة أستفتح بها هذا العرض ولكنها حقيقة نلمسها جميعا فى طلابنا سواء كانوا من المصريين أم ضيوفا علينا من الأجانب الذين قدموا لدراسة اللغة العربية .

وبرغم أن حالات الإعراب محدودة : رفع ونصب رجر وجزم ، وبرغم أن الحركات الأصلية لهذه الحالات منحصرة أساسا فى **الضمة والفتحة والكسرة والسكون** فإن المسألة كانت وما تزال تمثل حيرة كبيرة لقارئ اللغة العربية .

لقد أهتم السابقون بالحركات الثلاث : الضمة والفتحة والكسرة وكذلم بالسكون ؛ وذلك إذ راحوا يفرضون لها وجودا دائما وملحا فى أى تركيب عربى ، ولا أدل على هذا من قصة الإعراب وما نجده فيها من إعراب أصلى يكون فيه الرفع بالضمة والنصب بالفتحة والجر بالكسرة والجزم بالسكون ، أو إعراب

بنيابة حركة عن حركة أخرى أو حرف عن حركة ، أو إعراب يدل عليه بحذف أحد حروف الكلمة ، وأحيانا وفى حالة تعذر ظهور شئ من هذا كله نقرأ عن إعراب مقدر منع ظهوره التعذر حينا أو الثقل فى أحايين أخرى .

إن الناظر فى كتب التراث النحوى يجد ترتيبا يكاد يكون ثابتا وهو : المرفوعات فالمنصوبات والمجزومات ثم المجرورات .

لذلك كان على دارس النحو أن يبدأ رحلته مع المرفوعات أولا ثم يعرج بعدها على المنصوبات فالمجزومات وفى نهاية تطوافه يبدأ بدراسة المجرورات ؛ يبدؤها فى مرحلة متأخرة نسبيا وقد كل ذهنه وتبددت قواه بين أبواب النحو الأخرى .

وإن نظرة إلى كتب النحو المؤلفة منذ **سيبويه** حتى الآن تدعم ما نقول : فى كتاب سيبويه – وهو أقدم كتاب نحوى وصلنا – المجرور يأتى بعد المرفوع وبخاصة الفاعل .

وفى رسالة منسوبة إلى **خلف الأحمر** وهى **مقدمة فى النحو** نجد المؤلف يضع الأدوات التى ترفع أولا ثم يذكر الأدوات الناصبة لما بعدها ثم الأدوات التى تخفض تأتى بعد ذلك .

وفى **المقتضب للمبرد** نجد المؤلف يتكلم عن الفاعل والمفعول به عارضا بعض موضوعات صرفية كالأبنية والتصاريف ونحوها ثم التوابع من نعت وعطف وتوكيد وبدل ثم حروف الخفض والإضافة .

وفى **الإيضاح للفارسى** نجد تبويب الموضوعات النحوية على أساس العامل ، ولكنه يبدأ بذكر المبتدأ والخبر فالفاعل (أى بذكر المرفوعات) ثم المنصوبات تليها بعد ذلك الأسماء المجرورة .

وفى **اللمع لابن جنى** يبدأ المؤلف كذلك بذكر الأسماء المرفوعة : المبتدأ والخبر ، الفاعل ، نائب الفاعل ، اسم كان ، خبر إن ، ثم الأسماء المنصوبة تليها حروف الجر والإضافة .

وفى **ملحة الإعراب للحريرى** نجد مقدمة عامة عن الكلام فالنكرة والمعرفة ، ولعل ذلك هو الكتاب الوحيد الذى يقدم حروف الجر والإضافة قبل المبتدأ والخبر .

أما فى **أسرار العربية لابن الأنبارى** فاتباع للمذهب السائد من جديد أى أنه يعرض المبتدأ والخبر فالفاعل ونائبه ثم المجرورات .

وفى كتاب **المفصل فى صفة الإعراب** نجد **الزمخشرى** يبدأ أيضًا بالمرفوعات ثم المنصوبات تليها المجرورات .

هذا وتتردد نفس الظاهرة لدى كل من **ابن هشام وابن عقيل وابن مالك** مع تعديل يسير فى تقديم نقطة على نقطة داخل الباب الرئيسى : المرفوعات أو المنصوبات مثلا ، والحقيقة هنا هى وضع المجروات متأخرة فى الترتيب .

كما نرى : يحتل الأهتمام بالضمة والمضموم وحالة الرفع عموما مكان الصدارة فى كل هذه الكتب القديمة ، حتى إذا فرغ المؤلفون من ذلك ذكروا المنصوبات تليها المجرورات فالمجزومات .

وسر البدء بالمرفوع واضح إذ أن الأهتمام بكتابة جملة تامة قد سيطر على هذه المناهج جميعها . فكرة العمدة والفضلة كان لها أثرها فى ذلك : العمدة وهو الأصل فى الكلام يكون دائمًا مرفوعًا ولهذا فقد أعطوه أولوية خاصة ، أما الفضلة ومنه حالة الجر فكان عليه أن يخضع لرغبة القدماء وأن يجيء متأخرا فى الترتيب فى كل هذه الكتب تقريبا .

ومنذ أوائل القرن العشرين قامت صيحات جريئة وحرة تنادى بتجديد النحو : بطرح المناقشات منه أحيانا ، بحذف الأمثلة المتكلفة والتعسفية أحيانا ، بجعله وظيفيًا تارة أو منهجيا تارة أخرى ، بجعله وافيًا مرة أو وأضحا مرة ، بتصفيته ، بتنقيته ، بـ ... بـ ..... إلى آخره .

وكلها فى نظرى محاولات ما تزال شابة ومفيدة ، وإن كنت آخذ عليها أنها لم

تحاول أن تتخلص كلية من المنهج الذى فرضه الأقدمون ، بمعنى أن المرفوع ظل مقدسًا لدى كل الباحثين المحدثين ، وبالتالى تأخر المجرور دائما فى الترتيب وهى نفس الظاهرة التى نجدها فى كتب الأقدمين .

إن أحدا من هؤلاء الباحثين لم يحاول أن يمس جوهر تصنيف القدماء للنحو أو نقول جوهر جدولتهم لموضوعاته ؛ بمعنى أنه حتى الآن لم يصدر كتاب نحوى يقدم المجرور على المرفوع والمنصوب .

قد يقال إن البدء بالمرفوع هو الأهم لتأليف أو كتابة جملة تامة ، هذا صحيح ولكنى أرى أنه آن الأوان لأن تتخصص دراستنا فى النحو أكثر وأكثر ، يجب إذن أن نفصل بين شيئين :

النحو للكتابة ، والنحو للقراءة

بعبارة أخرى : إذا كان الغرض هو تعليم النحو لتدريب الطالب على الكتابة فقد لا نجد بديلا عن كل الكتب المؤلفة أو بعضها أو واحد منها لتساعد الطالب على كتابة جملة تامة (وأنا لا أناقش هذا الآن) .

أما إذا كان النحو للقراءة بمعنى أننا إذا أردنا توظيف النحو للحصول على قراءة نحوية سليمة فإن الأمر يختلف ، وعلينا أن نعيد النظر من جديد فى تصنيف السابقين وإيرادهم لأبواب النحو ومسائله .

الكتب القديمة فى رأيي – وكذا كل ما سار على خطتها من الكتب الحديثة – لا تخدم القارئ بطريقة سريعة ومباشرة – أقول بطريقة سريعة ومباشرة – فى أن يقرأ قراءة نحوية سليمة .

ذلك لأن المجرورات – وهى التى وضعها معظم النحاة من قدماء ومحدثين على السواء فى أواخر كتبهم – أقول : هذه المجرورات تحتل مكان الصدارة فى كثير من النصوص العربية .

بعبارة أخرى : من الناحية النظرية : المجرورات موضوعة فى أواخر الكتب

النحوية ربما لأنها لا تعين على كتابة جملة تامة ، أما من الناحية العملية فإنى أرى أنها أهم ، ويجب أن تجىء سابقة عن غيرها خاصة وأنها أكثر دورانا فى النصوص من غيرها وهذا هو الفرق بين النظرية والتطبيق فى مجال النحو . أنوه هنا بالبحث الذى قام به الأستاذ يعقوب م . لنداو Jacob M. Landau والمنشور بنيويورك سنة ١٩٥٩ تحت عنوان :

A word Count of modern Arabic Prose, N. Y. 1959

قام لنداو باستقراء المفردات المستعملة فى النثر الحديث سواء فى الكتب الأدبية أو لغة الصحافة وقد استقى مادته من ستين كتابا منها :

أحمد حسن الزيات : فى أصول الأدب ، طه حسين : الأيام جـ ١ ، المازنى : فى الطريق ، العقاد : مطالعات ، أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ ١ ، زكى مبارك : ليلى المريضة جـ ١ ، محمود تيمور : نداء المجهول ، محمد عبده : الإسلام والرد على منتقديه ، عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل ، مى زيادة : كلمات وإشارات ، فكرى أباظة : الضاحك الباكى ، وغير ذلك (انظر صفحات ٩ ، ١٥ ، ٣٣٣)

المهم أن إحصاءه وصل إلى ٢٧٢١٧٨ كلمة . وليسمح لى القارىء هنا أن أقتبس من بحث لنداو الجزء الذى يخدم غرضى فى هذه المقالة ، وهذا الجزء خاص بترداد حروف الجر .

لاحظ لنداو أن حرف الجر .

فى	تردد	١١٨٧١	مرة
من	»	٧١٢٧	»
على	»	٤٩٧٢	»
إلى	»	٤٦١٥	»
بـ	»	٤٣٤١	»
لـ	»	٣٤٥٨	»
عن	»	١٦١٧	»
مع	»	٦٣٩	»
	المجموع	٣٨٦١٠	

($\frac{1}{7}$ المجموع الكلى تقريبا)

وحيث إن حروف الجر هذه تستتبع وجود أسماء مجرورة بعدها فإننا نستطيع أن نتصور الحجم الهائل لكمية المجرورات بحروف الجر ، وبحسبنا أن نعرف أن هذا قسم واحد من المجرورات ، فماذا تكون عليه هذه الكمية لو أضفنا إليه المجرور بالإضافة والمجرور بالتبعية ؟

لقد قمت باستقراء عدة نصوص : قديمة وحديثة على السواء فوجدت أن حظ الكسرة أو الكلمات المجرورة عموما أكثر من غيرها ، فوضعت لذلك فرضا هو :

إننى إذا أعطيت نصًّا عربيًّا لطالب لا يعرف من اللغة إلا الاستهجاء الألفبائى فقط ، وطلبت إليه أن يقرأ كل كلمات النص بالجر فإن خطأه لن يتجاوز ٢٠ ٪ (بالطبع فإن إسقاط المبنيات من احتمال الخطأ يعيننا فى الحصول على هذه النسبة) .

نفرض أن معنا نصا عربيا وليكن فى أى موضوع ، كما نفرض جدلا أن هناك صعوبة مطلقة فى قراءة هذا النص قراءة نحوية سليمة — هنا تقدم محاولتى ثلاث خطوات :

الخطوة الأولى :

أن تستبعد من دائرة الصعوبة كل الكلمات التى تستحق الكسرة أو تكون فى حالة جر (وهنا تدخل الضمائر المتصلة فى العد رغم أن الإعراب لا يظهر عليها لاحتمال أن يكون ثمة بدائل لها من الأسماء الظاهرة أحيانا) .

الخطوة الثانية :

نرى أن هناك كلمات سهلة بطبيعتها وهذه يجب استبعادها أيضا من دائرة الصعوبة وذلك مثل حروف الجر ، حروف العطف ، الضمائر المتصلة أو المنفصلة ، أسماء الإشارة ، والأسماء الموصولة ، أو هذه الكلمات التى يكون آخرها

ألفا وتنوين فتحة .

بعد هاتين الخطوتين يكون قد تبقى من النص : القليل المشكل فى قراءته .

الخطوة الثالثة :

وبها حاولت أن أتعرف أولا على نوعية هذا القليل المشكل ثم أصنفه على أساس من كثرة دورانه فى النصوص المختلفة . وقد حاولت أن أجد بعض الطرق الميسرة لإسقاط بعضه من حساب الصعوبة وما تبقي بعد ذلك هو وحده ما يجب أن يستوقفنا ونحن بصدد وضع تخطيط واضح لنحو القراءة .

لقد اخترت سبعة نصوص هى :

- أخبار أبى نواس من كتاب « طبقات الشعراء » لابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) .
- فى التهديد واللوم لابن العميد (ت ٣٦٠ هـ) .
- فى وجه الصواب فى تعليم العلوم وطريق إفادته من مقدمة ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)
- تقديم الدكتور محمد النويهى لكتابه قضية الشعر الجديد .
- من العادات والأعياد فى البلاد العربية من كتاب العربية المعاصرة (المرحلة المتوسطة) تأليف الدكتور بيتر عبود وآخرين (وهو كتاب يستعمل لتدريس العربية للأجانب) .
- قطعتان مأخوذتان من المقالة الافتتاحية لجريدة الأهرام القاهرية من عددين صادرين بتاريخ ١٧ / ٢ ، ٩ / ٣ / ١٩٧٨ .

محاولتى فى كل هذا تقوم على عملية استقراء بسيطة ، رصدت فيها كلمات كل نص عن طريق عد حسابى مجرد ، أقمت على أساسه تحليلا مفصلا لكل نص من هذه النصوص على حدة ، يلى ذلك نظرة إجمالية للنصوص المدروسة كلها .

ونظرًا لطول هذه النصوص وكذا التحليل، فإنى أجتزئ هنا بذكر ثلاثة نماذج منها فقط :

النص الأول :

لابن المعتز من كتاب « طبقات الشعراء » (صفحتى ١٩٣ ، ١٩٤) عن أخبار أبى نواس :

« حدثنى على بن حرب أخو محمد بن حرب بن خالد ابن المهزم قال : حدثنى أخى محمد بن حرب ، وكان بين الأخوين قريب من خمسين سنة أن أبا نواس واسمه الحسن بن هانئ ويكنى أبا على ولد بالأهواز بالقرب من الجبل المقطوع المعروف براهان سنة تسع وثلاثين ومائة، ومات ببغداد سنة خمس وتسعين ومائة وكان عمره خمسا وخمسين سنة ، ودفن فى مقابر الشونيزى فى تل اليهود ، ومات فى بيت خمارة ، كان يألفها ، وكانت أمه أهوازية يقال لها جلبان من بعض مدن الأهواز يقال لها نهر تيرى ، وأبوه من جند مروان بن محمد من أهل دمشق مولى لآل الحكم بن الجراح من بنى سعد العشيرة وكان قدم الأهواز أيام مروان بن محمد الرباط الخليل فتزوج جلبان فأولدها عدة منهم أبو نواس وأخواه أبو محمد وأبو معاذ ، وكان أبو معاذ يؤدب ولد فرج الرخجى ، ومات والدهم هانئ وأبو نواس صغير فنقلته أمه إلى البصرة وهو ابن ست سنين فأسلمته إلى الكتاب ، فلما ترعرع خرج إلى الأهواز فانقطع إلى والبة بن الحباب الشاعر ، وكان والبة يومئذ مقيما بالأهواز عند ابن عمه النجاسى وهو واليها فأدبه وخرجه ، وكان أبو نواس وضيئًا صبيحًا فعشقه والبة وأعجب به وعنى بتأديبه حتى خرج منه ما خرج ، ولما مات والبة لزم خلفا الأحمر وكان خلف أشعر أهل وقته وأعلمهم فحمل عنه علما كثيرًا وأدبًا واسعًا فخرج واحد زمانه فى ذلك » .

التحليل :

عدد كلمات هذا النص ٢٩٠

عدد الكلمات التى تستحق الجر ٩٧

كلمات سهلة التشكيل (مثل الحروف والضمائر) ١٠٦

٩٧ + ١٠٦ = ٢٠٣

الكلمات المشكلة :

٢٩٠ – ٢٠٣ = ٨٧ كلمة تتوزع كالآتى : صور الفاعل ٧ منها صورتان سهلتان (أخى ، ما خرج) (الباقى الصعب إذن ٥) صور المبتدأ ٦ منها (أبو نواس ، أخواه) الباقى ٤

صور الخبر ٧ منها صورتان سهلتان (من جند ، فيهم) الباقى ٥

المفعول به ١٩ منها ١٢ سهلة مثل ضمائر (حدثنى ، يألفها) الباقى ٧

اسم كان ٨ منها (وكان أبو نواس) مكررة مرتين فالباق ٦

خبر كان ٨ منها ٥ (من الأخوين ، خمسا وخمسين ، مقيما .. إلخ) الباقى ٣

الفعل الماضى ٢٠ وهذا سهل التشكيل

المضارع ٥ = ٥

التمييز ٣ ولكنها مكررة : كلمة « سنة » فى إعطاء التاريخ فهى إذن صورة واحدة

الظرف ٣ منها حينئذ والباقى صورتان

نسبة الكلمات الصعبة إلى النص كله ٣٩ كلمة من ٢٩٠ كلمة أى حوالى $\frac{١}{٧}$ النص وهذه النسبة تتوزع أساسًا على أبواب :

الفاعل ، المبتدأ والخبر ، اسم كان وخبرها ، المضارع المرفوع .

النص الثانى :

لابن العميد (ت ٣٦٠) فى التهديد واللوم .

« كتابى وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك وإقبال عليك وإعراض عنك ، فإنك تدل بسابق حرمة وتمت بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ويقتضى محافظة وعناية ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة وتتبعهما بأنف خلاف ومعصية وأدنى ذلك يحبط أعمالك ويسحق كل ما يرعى لك . لا جرم أنى وقفت بين مثل

إليك وميل عنك أقدم رجلا لصدك وأُأَخّر أخرى عن قصدك ، وأبسط يدا لاصطلامك واجتياحك وأثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك وأتوقف عن امتثال بعض المأمور فيك ، ضنا بالنعمة عندك ومنافسة فى الصنيعة لديك وتأميلا لفيئتك وانصرافك ورجاء لمراجعتك وانعطافك » .

التحليل :

عدد كلمات هذا النص ١٦٣

عدد الكلمات المستحقة للجر ٥٤

عدد كلمات سهلة التشكيل ٧٣

المجموع = ١٢٧

الباقى المشكل إذن ١٦٣ – ١٢٧ = ٣٦ كلمة تتوزع كالآتى :

المبتدأ ٣ منها (كتابى ، أنا) الباقى الصعب إذن ١

الخبر ٤ منها صورتان (جملة فعلية) الباقى ٢

المضارع المرفوع ١٤ = ١٤

المفعول به ١٠ نصفها ضمائر متصلة أو كلمات مشكولة أساسا

مثل : تشفعهما ، نتبعهما ، رجلا ، يدا ، أخرى . الباقى ٥

المفعول لأجله ٤ منها (٣ آخرها ألف فلا صعوبة فى قراءتها) الباقى ١

كما نرى نسبة الكلمات الصعبة هنا ٢٣ فى نص عدد كلماته ١٦٣ كلمة .
وهذه الصور الصعبة تتوزع أساسا على أبواب :

المضارع المرفوع ، المفعول به ، الخبر .

النص الثالث :

تقديم (من كتاب قضية الشعر الجديد للدكتور محمد النويهى) :

« هذا الكتاب يتناول مسألتين نعدهما أهم مسائل الشعر العربى الجديد الذى يقوم على التفعيلة الواحدة ولا يتقيد بعدد محدد من التفاعيل فى كل بيت ، أولاهما مسألة اقترابه من لغة الكلام الحية التى يتكلمها الناس فى واقع حياتهم ، وثانيتهما مسألة شكله الجديد الذى خرج على عدد من القواعد العروضية القديمة والذى يبشر بابتكار نظام إيقاعى جديد يختلف عن الأساس الإيقاعى للشكل التقليدى .

وكلتاهما مسألة تثير الخواطر ويمتد فيها الجدل فى صحفنا وأنديتنا هذه الأيام فهما محتاجان إلى دراسة استقرائية متأنية ونقاش موضوعى هادئ ربما يكون خير مجال لهما فى قاعات الدرس والمحاضرة بين الأستاذ الجامعى وطلبته الناجحين من طلاب الدراسات العليا .

وقد عرضت الأفكار الأساسية التى يحتويها هذا الكتاب على طلبتى بمعهد الدراسات العربية العالية بجامعة الدول العربية فساعدنى نقاشهم لها وتقليبهم النظر فيها على تهذيبها ، فإذا كنت قد وضعتها الآن فى صيغة تلائم الكتاب المطبوع بعد أن كانت فى صيغة الحديث المسموع فإن القارئ سيلاحظ برغم ذلك بقايا عديدة من أسلوب المحاضرة والنقاش الشفوى » .

التحليل :

عدد كلمات هذا النص ١٩٨ كلمة

الكلمات التى تستحق الجر ٨٥

كلمات سهلة التشكيل ٦٧ مثل : هذا ، الذى ، على ، لا ، فى ، من ، قد ، إلخ ٨٥ + ٦٧ = ١٥٢

الكلمات الصعبة إذن ١٩٨ – ١٥٢ = ٤٦ كلمة

هذه الكلمات الصعبة تتوزع كالآتى :

المبتدأ ٥ منها كلمة (كلتاهما) الباقى الصعب إذن ٤

الخبر ٥ منها فعل مضارع واحد فالباقى ٤

المضارع المرفوع ١٣

المفعول به ١٢ منها ٥ ضمائر متصلة ، كلمة

(بقايا) يبقى ٦

اسم كان ٣ منها ١ ضمير مستتر فالباقى ٢

خبر كان ٢ جار ومجرور وجملة قد

الفعل الماضى ٦ منها (كانت) يبقى ٥ صور :

(اثنتان مبنيتان على الفتح)

(وثلاث مبنية على السكون)

وهذا سهل التشكيل

الكلمات الصعبة جدا هى ٢٩ كلمة فى نص عدد كلماته ١٩٨ كلمة وهذه الصور الصعبة تتوزع أساسًا على أبواب :

المضار المرفوع ، المفعول به ، المبتدأ والخبر

وخشية التطويل أقف بالإحصاء عند هذا الحد راجيا أن يلحظ القارىء أن النصيب الأكبر كان للفعل المضارع والمبتدأ والخبر والفاعل والمفعول به وذلك فيما يتعلق بهذه النصوص الثلاثة فقط .

وقد أرى من الضرورى هنا أن أضيف إلى ما سبق : هذه الإحصائية الشاملة التى توصلت إليها بعد إستقرائى للنصوص السبعة كلها .

عدد كلمات النصوص السبعة ١٢٧٢ كلمة

عدد الكلمات المستحقة للجر ٥٠٠ كلمة

عدد الكلمات سهلة التشكيل ٤٨٩ كلمة

ومجموع هاتين هو ٩٨٩ كلمة

الكلمات المشكلة إذن ١٢٧٢ ــ ٩٨٩ = ٢٨٣ كلمة ، ولكنى وجدت أن نصف هذا العدد تقريبا يمكن إسقاطه وذلك :

ــ حين كان هناك مثلا صورة « أبو » أو أخواه

ــ أو حين كان هناك فعل من الأفعال الخمسة التى ترفع بثبوت النون والنون كانت موجودة

ــ أو مثلا حين كان الخبر جملة فعلية ولم يكن ثمة داع للتشكيل .

النتيجة لهذا كله أن الكلمات الصعبة تنحصر فى حوالى ١٥٠ كلمة فقط من المجموع الكلى وهو ١٢٧٢ . وهذه الكلمات الصعبة تتوزع أساسا على أبواب :

المضارع المرفوع ، المبتدأ والخبر ، الفاعل ، المفعول به

وأتساءل : أين المضارع المجزوم فى كل هذا ؟

أين المنادى ؟ التحذير ؟ أسلوب التعجب ؟

المضار المنصوب ، المفعول معه ؟ نائب الفاعل ؟

كل ذلك على سبيل الأمثلة لا الحصر .

ليس هذا بمغمز أرجو من ورائه طرح هذه الأبواب جانبا لأنها لم ترد فى النصوص التي أجريت عليها إستقصائى ولكنها فقط مجرد ملاحظة تدفعنا إلى إستقراء نصوص أكثر وأكثر حتى نستطيع أن نحدد فى ثقة وإطمئنان أى الأبواب النحوية أكثر ورودًا ودورانًا . عندها تكون الكلمة لتصنيف جديد لنحو القراءة .

ب ـ الحركات الإعرابية فى قوافى حافظ إبرهيم

ناقشت هذا لأن حركات الإعراب هى فى الحقيقة أبرز علامات القافية ، ووجود إحداها ولا شك له دخل كبير فى النغم الشعرى الذى لا يتسبب فقط بمجرد اللفظ كلفظ بل أيضا بوجود أى من الحركة والسكون عليه كامتداد لهذا النغم الموسيقى والذى يفرق بين الشعر والنثر من زاوية ما .

وينبغى أن نسجل هنا أن ثمة العديد من القوافى التى لا تظهر عليها حركات الإعراب لأن هذه الحركات مقدرة وهى فى نفس الوقت ليست فى محل جزم . وذلك كأن تكون كلمة القافية فعلا معتلا أو إسما مقصورًا أو منقوصًا أو ضميرا ماتصلا أو حرفا مبنيا أو إسم إشارة أو ألف إطلاق .

عدد الأبيات التى تحتوى هذه النوعيات من القوافى يبلغ ٢٧٦ بيتا ، فى المدح ٢١ بيتا ، وفى الهجاء ٢ والإخوانيات ٨ والوصف ٧٧ والغزل ٩ والاجتماعيات ٣٦ والسياسيات ١٠٠ والشكوى ٧ والمراثى ١٨ ولا توجد أمثلة لهذا فى غرض الخمريات إذ كل القوافى هناك معربة بإعراب ظاهر .

ولنأخذ مثالا على هذا : **قصيدة « العمرية »** وهى معلقة فى مديح الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وتبلغ أبياتها ١٨٧ بيتا وهى تنتهى بـ « ها » وهى إما أن تكون :

(أ) ضميرا متصلا مبنيا على السكون :

فى محل جر لأنه مضاف إليه وذلك فى ١١٤ بيتا .

فى محل جر ولكن بحرف الجر (فى) وذلك فى بيتين فقط

فى محل نصب لأنه مفعول به فى ٥٨ بيتا .

(ب) جزء من كلمة وصورها تأتى على النحو التالى :

مفعولا به فى ٤ أبيات .

مفعولا مطلقا فى ٣ أبيات .

تمييزا فى بيتين .

حالا فى بيتين .

مفعولا لأجله فى بيت واحد .

خبرا لـ « كان » فى بيت واحد .

عدا هذا فإن « حافظا » قد استغل كل إمكانات حركات الإعراب ، بالإضافة إلى السكون ، فجعل كل هذا علامات لقوافيه . وانطلاقا من فكرة أن تأثير القافية لا يقف عند حد النظام الموسيقى الصوتى فحسب ، بل إنه وثيق الصلة بالنظم الصوتية والنحوية والأسلوبية بوجه عام وبمعجم الشعر وكلماته ، فقد رأيت أن أقوم بعملية إحصاء شامل لعدد الأبيات التى جاءت قافيتها تحمل حركة الكسرة أو الضمة أو الفتحة أو السكون . وقد حاولت فى كل مرة أن أستخلص النسبة المئوية لكل حركة إعرابية فى إطار المجموع الكلى لشعر « حافظ » وهو ٥٨٤٢ بيتا هى كل ما قاله « حافظ » أو على الأقل كل ما ورد إلينا فى ديوانه .

(القوافى المجرورة)

الغرض الشعرى	عدد الأبيات	عدد القصائد والمقطوعات
المدائح والتهانى	٧٨٦	٣٤
المراثى	٧٦٦	٣٢
الاجتماعيات	٣٢٦	١٠
السياسيات	٣١٩	١٠
الإخوانيات	٢٠٥	١٤
الوصف	١٣٣	٧
الشكوى	٥١	٥
الخمريات	٤١	٥
الأهاجى	٦	٣

عدد الأبيات المجرورة ٢٦٣٩ بيتًا

نلاحظ أنه لم يكتب فى الغزل بقافية مجرورة .

القوافى المرفوعة

الغرض الشعرى	عدد الأبيات	عدد القصائد والمقطوعات
السياسيات	٣٠٨	١٢
المدائح	٣٠١	١٤
المراثى	٢٠٣	٦
الوصف	١٩٧	١٤
الاجتماعيات	٨٩	٣
الشكوى	٢١	٢
الغزل	٢	١
الأهاجى	٢	١

عدد الأبيات المرفوعة ١١٢٣ بيتا

يلاحظ أنه لم يكتب بقافية مرفوعة لا فى الإخوانيات ولا فى الخمريات .

القوافى المنصوبة

الغرض الشعرى	عدد الأبيات	عدد القصائد والمقطوعات
السياسيات	٢٦٧	١٠
المدائح	١٩٧	١٠
الرثاء	١٧٥	٥
الاجتماعيات	١٦٩	٨
الشكوى	٣١	٣
الإخوانيات	٢٣	٣
الأهاجى	١٤	٢
الغزل	١١	٤
الوصف	١٥	١

عدد الأبيات المنصوبة ٨٩٢ بيتا

لم يكتب « حافظ » فى الخمريات بقافية منصوبة

القوافى المجزومة

الغرض الشعرى	عدد الأبيات	عدد القصائد والمقطوعات
الرثاء	٢٠٠	٥
السياسيات	١٨٥	٦
الاجتماعيات	١١٢	٣
الإخوانيات	٥٤	٥
الخمريات	٢٣	٢
المدائح	١٩	٤
الوصف	١٨	١
الغزل	١١	٤
الشكوى	٤	٢

عدد الأبيات المجزومة ٦٢٦ بيتا

لم يكتب بقافية مجزومة فى الأهاجى

إحصائية شاملة
بتوزّع الحركات الإعرابية فى شعر « حافظ »

القوافى المجرورة	القوافى المرفوعة	القوافى المنصوبة	القوافى المجزومة
٢٦٣٩ بيتا فى كل الأغراض عدا : الغزل	١١٢٣ بيتا فى كل الأغراض عدا:الإخوانيات والخمريات	٨٩٢ بيتا فى كل الأغراض عدا : الخمريات	٦٢٦ بيتا فى كل الأغراض عدا : الأهاجى

الخمريات

نسبة القوافى المجرورة إلى شعر « حافظ » كله ٠,٤٨٥ أقل من النصف بقليل .
نسبة القوافى المرفوعة إلى شعر « حافظ » كله ٠,٢١٢ أكثر من الـ $\frac{1}{5}$ بقليل .
نسبة القوافى المنصوبة إلى شعر « حافظ » كله ٠,١٨٧ أقل بقليل من الـ $\frac{1}{5}$
نسبة القوافى المجزومة إلى شعر « حافظ » كله ٠,١١٤ أكثر من الـ $\frac{1}{10}$ بقليل .

قد نفسر كثرة دوران المجرورات هنا بخاصية ترجع إلى طبيعة الكسرة نفسها كحركة إعراب تتوارد غالبا فى التراكيب العربية : نثرية وشعرية على حد سواء . والتلازم الحتمى بين المضاف والمضاف إليه يجعل المسألة أمرا لغويا يكاد يكمن فى معجم اللغة نفسه قبل أن يكون أمرا نحويا مردّه صنعة الإعراب ، هذا بالإضافة إلى أن إمكانات الكسرة عديدة ، ومن ثم فإن عدد الكلمات التى تجىء مشكولة بها أو تنتمى إليها عدد كبير أيضا . والدليل على ذلك أنك لو عددت كلمات هذه الفقرة التى تقرأها الآن وأحصيت عدد المجرورات بالنسبة لغيرها لتأكدت عندك هذه الحقيقة ، وقل مثل هذا فى أى نص عربى .

الكلمات المجرورة بالإعراب لدى « حافظ » تشمل كل نوعيات المجرور بحرف جر ، المجرور بالإضافة ، صفة المجرور ، جمع المؤنث السالم فى حالة الجر، المضاف لياء المتكلم . [هذه النوعيات هى التى شملها العد والإحصاء هنا] .

بالإضافة إلى هذه النوعيات فقد وجد « حافظ » فرصته سانحة لاستخدام نوعيات أخرى ليست حركتها الإعرابية الكسرة ومع ذلك كان مجيئها بالكسرة على نحو ما ، مشجعا له على استعمالها فى القصيدة ذات القافية المجرورة وذلك مثل : جمع المؤنث السالم فى حالة النصب ، فعل الأمر للمؤنثة ، المجزوم بـ « لم » وسهولة حريكه بالكسرة ، المضارع المعتل بالياء ، المضارع المجزوم بـ « لا » الناهية للمخاطبة ، الأمر للمخاطب المفرد الذى يحرك بالكسرة للضرورة ، المثنى ونهايته دائما نون مكسورة فى كل حالاته الإعرابية ، أحد الأفعال الخمسة مثل صيغتْى يفعلان أو تفعلان المنتهية دائما بنون مكسورة ، الاسم المنسوب إليه مثل يونانى ونصرانى حين تخفف ياء النسب فى الشعر .

كل هذا قد أعطى الشاعر حرية أكثر وجعل له متسعا فى استعمال القافية المكسورة (المجرورة) أكثر من غيرها .

وبعد إنى أدعو إلى كتابة « نحو للقراءة » بمعنى أن نكتب كتابا فى « قواعد النحو » يكون هدفه خدمة القراءة . وهذا الكتاب المؤمل فيه أتصوره فى مقدمة وفصلين .

المقدمة تكون صرفية ولغوية بحتة ويكون الغرض منها تمرين الطالب المبتدئ على نطق كلمات بأكملها كما هى فى اللغة وذلك مثل : الحروف ، الظروف ، المبنيات كالضمائر وأسماء الإشارة ، الموصول وهى جميعا مما لا يتغير شكله على الدوام .

ثم فى الفصل الأول نبدأ بعرض شامل للنسبة الراجحة فى الكلام ، وهى

تلك التى تشتمل على الكلمات المجرورة سواء بحروف جر أو عن طريق الإضافة أو لكونها من توابع المضاف إليه : أى مجرورة بصفة عامة وهذا فى رأيى جزء نستطيع جميعا أن نتفق عليه .

أما فى الفصل الثانى من الكتاب المقترح فينبغى أن يأتى ليشمل النسبة المرجوحة وهى تلك التى تشتمل على الكلمات المشكلة على القارىء ، وهنا أرى أن يقدم فى البحث الأبواب النحوية الأكثر دورانا فى النصوص أولا بأول وذلك طبقا لما توحى به النصوص المدروسة .

دعنا نبدأ من البداية : نقوم بعملية مسح أو جرد شامل لكتب المرحلة الابتدائية مثلا فى القراءة والنحو ، وأن نرى إلى أى مدى تستعمل الأبواب النحوية التى نعلمها لتلاميذنا فى مساعدتهم على قراءة نحوية سليمة .

إننى أتصور أن تفرغ كل الصور النحوية الواردة فى تراكيب موضوعات القراءة ونضعها على حدة : نرتبها ونصنفها على أساس من كثرة دورانها فى النصوص ، وأن تعطى الأولوية لما يتردد أكثر ، وبعد ذلك نقدم للطالب فقط مايعينه من أساسيات النحو التى تخدمه وتساعده على أن يقرأ قراءة نحوية سليمة ومضبوطة .

وبعد ، فهل آن لأساتذة النحو فى مدارسنا وجامعاتنا أن يمدوا أيديهم إلى هذه المحاولة ! أرجو أن يكون ذلك قريبا .

النحو على المستوى التطبيقى

نظرًا لأهمية القواعد النحوية ، وبصفة خاصة حالات الإعراب وحركاته فقد راح النحويون بما لهم من دراية وخبرة يفرضون سلطانهم على كل من يستخدم اللغة العربية فى النثر أو الشعر على حد سواء . وأى انحراف فيما يتعلق بالقواعد النحوية كان مظنة اتهام ولوم شديدين .

ولقد شهدت العصور الوسطى صراعا رهيبا بين نقاد الشعر (ممن اعتمدوا على اعتبارات نحوية) والشعراء .

والمسألة فى رأيى ليست مسألة صواب وخطأ ، بقدر ما هى أمر يرجع أو قل كامن فى طبيعة اللغة العربية نفسها .

يقول ابن جنى :

« اختلاف لغات العرب أنها أصلا موضوعة على خلاف . . . . كلها مسوق على صحة وقياس . »[1]

وقد يفهم هذا النص بطريقة أوضح فى ضوء ماجاء عن المازنى من أنه دخل بغداد ، فتصدى له بعض الدارسين والعلماء بعدة أسئلة . يقول إنه أجابهم - وكان على صواب - طبقا لمذهبه البصرى ، أما هم فكانوا يخطئونه على مذهبهم البغدادى .[2]

بذور هذا الموقف يمكن ردها إلى عصور الاستشهاد ، فالعلماء يقفون بالاستشهاد عند منتصف القرن الثانى الهجرى فى الأمصار ، وأواخر الرابع الهجرى فى البادية ، (على نحو ما أوضحنا فى بداية هذا الباب) .

---

(١) ابن جنى : الخصائص حـ ٢ ص ٢٩

(٢) العبيدى : أبو عثمان المازنى ص ٢٦

وأيضا فقد كان هناك تمييز بين من يؤخذ عنهم اللغة صحيحة ونقية . ونتيجة لهذا كله ، لم يطبق القياس النحوى بطريقة ثابتة ، كانت هناك اعتبارات تجلت أولا بين مدرستى البصرة والكوفة .

العربية النقية – مفردات وتراكيب – تؤخذ من **قريش** ، **قسي** ، **تميم** ، **أسد** ، **هذيل** ، **بعض بنى كنانة** .

وتعبير هذه القبائل هو الذى كان يشكل القاعدة النحوية العامة أو على الأقل يؤيدها وينتصر لها بالقدر الذى تتوفر فيه النصوص القرآنية والنثرية العامة والشعرية كذلك .

بذرة الخلاف بين المدرستين نبتت عندما تكون هناك أمثلة أو نماذج لاتتمشى مع القاعدة النحوية العامة . هنا اعتبر البصريون هذه الأمثلة شاذا يحفظ ولايقاس عليه ، ومن هنا لم يشغلوا أنفسهم به ، وذلك ليحفظوا للقاعدة العامة رسوخها وثباتها . **أبو عمرو بن العلاء** – على سبيل المثال – تمسك بالقياس إلى حد بعيد ، وعندما سئل : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر وأسمى ما خالفنى لغات .[1]

من وجهة نظر الكوفيين ، كل القبائل العربية سواء فى الحجية اللغوية حتى تلك القبائل التى امتزجت بغير عرب ، من أمثال ما انحدر من بكر وتغلب .

ومن هنا قبل الكوفيون تلك الأمثلة والنماذج التى اعتبرها البصريون شاذة . ومن هنا وضع الكوفيون لتلك الأمثلة قواعد شبيهة بتلك القواعد التى يراعى فيها الأكثر .[2]

---

(١)د/ شوقى ضيف : المدارس النحوية ص ٢٧ ، ٢٨ ، ١١٩

(٢) السيوطى : الاقتراح ص ٨٤ ، همع الهوامع ص ٤٥ ، د/ مهدى المخزومى : مدرسة الكوفة ص ٤٣٠ ، د/ شوقى ضيف : المدارس النحوية ص ١٦١ ، أما د/ عز الدين التنوخى فقد قرر أن كلا من البصريين والكوفيين لم يختلفوا . انظر مقدمته فى تحقيق كتاب : خلف الأحمر : مقدمة فى النحو ص ٨

موقف الكوفيين هذا قد أثر فى ابن جنى لدرجة جعلته ينحى منحى قبول كل ماورد من لهجات ، وألا يفضل واحدة على أخرى مادامت كل اللهجات قد جاءت عن العرب .[1]

فى ضوء هذا الموقف البصرى/ الكوفى نستطيع أن نفهم صراع النقاد والشعراء حول بعض مسائل نحوية ، معظمها كان محل خلاف بين المدرستين .

لام النقاد الشعراء لأنهم لم يطبقوا أحيانا القواعد العامة أو الرئيسية فى النحو والتى قدمها البصريون ، بينما كان الشعراء على حق لأنهم مارسوا فى هذه الأحيان ماورد إليهم عن الكوفيين . كانت مثل هذه القواعد صحيحة ولكنها ليست شائعة شيوع القاعدة العامة .

والذى يقرأ كتاب « الموازنة بين أبى تمام والبحترى » ، يجد الآمدى وقد حمل على أبى تمام وأحيانا على البحترى فى بعض مخالفات نحوية .

وعلى العكس ، كان موقف القاضى الجرجانى فى « الوساطة بين المتنبى وخصومه » وخذ على سبيل المثال :

استخدام المتنبى الفعل المضارع منصوبا فى بعض أبيات وكان من حقه أن يرفع ، وكذلك حذفه حرف النداء قبل اسم الإشارة : هذا ، وأيضا استخدامه « إلا » مع الضمير المتصل للمخاطب : إلاك .

برغم هذه المخالفات فإن القاضى الجرجانى حاول أن يجد مندوحة للدفاع عن المتنبى فى مثل هذه المسائل النحوية . وهذا عكس تشدد الآمدى ضد أبى تمام بصفة خاصة .

---

(١) ابن جنى : الخصائص حـ ٢ ص ١٠ ، لزيادة تفصيل انظر الكتاب القيم للدكتور محمد عيد : الرواية والاستشهاد ص ١٦٦

الحاتمى وابن جنى والعميدى حاولوا نقد المتنبى فى مسائل نحوية متبعين فى ذلك أسس المذهب البصرى ، على حين أن الشاعر كان يطبق مبادىء النحو الكوفى[1] ومن نماذج ذلك :

استخدام المتنبى لـ أنْ مشددة مع الضمير المتصل أنْكَ بدلا من أنَّك .

الفصل بين المبتدأ وخبره فى قوله :

وأبوك والثقلان أنت محمد

حذف بعض حروف من المضاف إليه-عمر حابى بدلا من عمر حابس .

تقدم الضمير على الاسم فى قوله : أعيذها نظرات ، لدرجة جعلت ابن جنى يتساءل إلام يعود الضمير ؟ !

فى محاولة متواضعة أردت بها أن أتثبت مما قاله المتنبى وعما إذا كان يستحق لوم النقاد على مافعل وجدت الموقف فى صفّه .

فاستخدام أن دون شدة مع الضمير كان رأى الكوفيين ، وقد استدلوا بقول الشاعر :

فلو أنْكِ فى يوم الرخاء سألتنى

طلاقك ، لم أبخل وأنت صديق[2]

كذلك فقد قبل الكوفيون الإضافة المحذوف من آخرها حرف ، وقد قبلوا التمثيل بـ « ورق الحما » بدلا من « ورق الحمام »[3]

---

(١) الحاتمى : الرسالة الموضحة ص ٥٨ ، ٤٧ ، ابن جنى : الفتح ص ٥٣ ، العميدى : الإبانة عن سرقات المتنبى ص ٥٩

(٢) ابن هشام : مغنى اللبيب حـ ١ ص ٢٨ ، ٢٩ ، أيضا الأستاذ عباس حسن : النحو الوافى حـ حـ ١ ص ٦١٩

(٣) ابن الأنبارى : الإنصاف حـ ١ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٦

والذى يقرأ دفاع **القاضى الجرجانى** عن المتنبى فى مسائل النحو ، يجد أن **الجرجانى** اتبع المنهج الكوفى فى دفاعه ، نظرًا لأنه يؤيد الشاعر أكثر .

والصراع بين النقاد والشعراء لم ينشأ فجأة فى العصر العباسى ، ذلك أن جذوره تعود إلى العصر الأموى . ومواقف **عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى** ت ١١٧هـ الحضرمى من **الفرزدق** لاتنسى .

يقول **الفرزدق** :

مستقبلين شمال الشام تضربنا   بحاصب كنديف القطن منثورِ
على عمائمنا يلقى وأرحلنا   على زواحف تزجى مخها ريرِ

قال **ابن أبى إسحاق** : كلمة « رير » كان يجب رفعها[1] ويقال إن يونس ابن حبيب ت ١٨٣هـ فيما بعد قد وجَّه تعبير الفرزدق واعتبره صحيحا .

ومن هنا نستطيع أن نقول إنه أحيانا لم يكن كل البصريين على وفاق فيما يختص ببعض المسائل النحوية .

مثال آخر ، بيت **الفرزدق** :

وعض زمان يابن مروان لم يدع   من المال إلا مسحتا أو مجلفُ

ابن أبى اسحاق اعترض على رفع « مجلف » وحين سأل الفرزدق . علام رفعت « مجلف » ؟ فرد الفرزدق عليه هذا الرد التهكمى الساخر واللاذع : على مايسوءك وينوءك ، علينا أن نقول (كشعراء) وعليكم أن تتأولوا (كنحويين) .

ومع ذلك فإن **أبا عمرو بن العلاء** ت ١٥٤هـ ، ومثله يونس بن حبيب

---

(١)ابن سلام : طبقات ص ١٦ يقال إن الفرزدق غيّر الشطرة كلها لتصبح : على زواحف تزجيها محاسير . والبيتان فى ديوان الفرزدق جـ ١ ص ٢١٣

بررا ما قاله الفرزدق كما هو .[1]

ولمزيد من مثل هذه المسائل يمكننا الرجوع إلى كتاب **الكامل للمبرد** ففيه الكثير من هذا النوع .[2]

لم تكن حركات الإعراب وحدها هى ما يشغل بال النحويين (أو النقاد تجوزا) بل إن الأمر تعدى ذلك إلى مظاهر أخرى ، منها – على سبيل المثال – حوشى الكلام (وهذا فى التركيب وليس فى كلمة مفردة هذه المرة)

وحوشى الكلام معناه ببساطة عيب فى وضع الكلمات بعضها إلى جوار بعض بطريقة لم تكن لتروق لدى الذوق العربى المتخصص لتلك الفترة . مثال ذلك قول أبى تمام :

وإن بجُيْرية بانت حأرتُ لها   إلى ذرى جَلَدى ، فاستُأْهِل الجَلَدُ

قال **الآمدى** إن الكلمتين بجيرية ، حأرت كلمتان مألوفتان ولاغبار عليهما فى الاستخدام . ولكن العيب فيهما أنهما اجتمعتا فى بيت واحد مما جعلهما ثقيلتين .[3]

مظهر آخر عابه النقاد وهو ما أسموه بـ « **المعاظلة** » وهى : « شدة تعليق الشاعر ألفاظ البيت بعضها ببعض ، وأن يُداخل لفظة من أجل لفظة تشابهها وتجانسها ، وإن أخلّ بالمعنى بعض الإخلال »[4]

---

(١) ابن سلام : طبقات ص ١٩ ، ٢٠ ، البيت فى ديوان الفرزدق حـ ٢ ص ٢٦

(٢) المبرد : الكامل حـ ١ ص ٨٩ ، ١٣٣ ، حـ ٣ ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ . وأيضا انظر العسكرى : كتاب الصناعتين ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٨٧ – ١٩٥ ، ابن فارس : الصاحبى ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ابن رشيق : العمدة حـ ١ ص ٢٦٠

(٣) الآمدى : الموازنة حـ ١ ص ٢٨٣

(٤) الآمدى : الموازنة حـ ١ ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، وأيضا الحاتمى : الرسالة ص ١٧٤ ، ٢٧٨ ، الثعالبى : أبو الطيب ص ٥٥ – ٥٧ ، الصاحبى : الكشف ص ٤٥ ، ٦٨

المظهر الثالث تجسد فى **التعقيد** ، ويمثله بيت المتنبى الشهير :

أنّى يكون أبا البرايا آدم وأبوك والثقلان أنت محمد[1]

الفصل بين المبتدأ والخبر هنا وأيضا التقديم والتأخير فى بعض الكلمات هو الذى سبب لوم النقاد للمتنبى .

ولكن هذه المظاهر كانت أقل من حيث الكم إذا ما قيست باعتراض النحويين واللغويين والنقاد عموما على حركات الإعراب والتشكيل الإعرابى الخاطىء .[2]

---

(١) الثعالبى : أبو الطيب ص ٤٧ والبيت فى ديوان المتنبى حـ ٢ ص ٦٢

(٢) للتفصيل والنماذج انظر : المرزبانى : الموشح ، تحقيق الأستاذ البجاوى القاهرة ١٩٦٥

النحو علم إعراب ومعان

إلى هنا اهتم النحويون بالإعراب ، واحتلت الحركات الإعرابية مكانة كبيرة على خارطة التعامل الوظيفى للغة العربية . ولكن هذا جانب واحد من القضية .

الجانب الآخر أهملته كتب النحو ، ولكن الحديث عنه قد ورد مسهبا فى علم آخر هو علم المعانى (أحد فروع علوم البلاغة)[1]

أرى أن المبادىء التى وضعها علم المعانى إنما تأتى لتكمل من رسالة علم النحو بمعناه التقليدى المنحصر فى ضبط أواخر الكلمات .

إنها تجتاز بالنحو إلى آفاق أرحب يجعل التعبير مناسبا ، ومتسقا مع الغرض الذى أنشىء من أجله . وذلك فى الحقيقة وجهان لشىء واحد .

الفصل بين علم النحو والبلاغة ، وبخاصة علم المعانى ، إنما حدث لأسباب خارجة عن إرادتنا ، ولكن الإبقاء على هذا الفصل قصور نحاسب عليه ، ونلام بسببه .

وسنجعل مدخلنا إلى كل هذا : نظرية النظم لدى عبد القاهر الجرجانى .

نبتت فكرة النظم دليلا يثبت به عبد القاهر إعجاز القرآن من الناحية البلاغية ، إذ للإعجاز وجوه شتى ، ولكن عبد القاهر – عن طريق نظريته فى النظم – يحاول البرهنة على الإعجاز اللغوى الذى للقرآن ، وأنه قائم فى ضم مفردات القرآن على نسق خاص .

وهنا تتبلور المعجزة فى أسمى صورها ، ذلك أن القرآن الكريم يتألف من حروف وكلمات لها معان : هى هى نفس الحروف والكلمات والمعانى التى

---

(١) نستثنى هنا بعض إشارات النقاد من مثل : حوشى الكلام ، المعاظلة ، التعقيد نظرا لقلتها

يستخدمها العرب فى شعرهم ونثرهم ، ولكن الطريقة أو الكيفية أو قل الأداء القرآنى فى استخدام هذه الحروف والكلمات بمعانيها التى تدل عليها إنما يسمو بها إلى مكانة أعلى من شعر العرب ونثرهم . وهنا جوهر البلاغة والفصاحة ، والأساس السليم لإعجاز القرآن الكريم .

وضع الألفاظ بطريقة خاصة لتعنى فكرا أو أفكارا معينة إنما تمثل عناصر رئيسية فى نظرية النظم أو قل نظرية بناء الكلام وتأليفه على نسق خاص ، أو بالأخرى : نظرية النحو بمعناه العام وهو ما أراده عبد القاهر .

والتأليف على النسق الخاص هنا ليس أحجية أولغزا . إن عبد القاهر لا يتركنا حيارى ، بل يوضح فكرته بأن يقارب بين فن القول ، وغيره من الفنون الأخرى .

يقول عبد القاهر :

« وأما نظم الكلم فإنك تقتفى فى نظمها آثار المعانى وترتيبها على حسب ترتيب المعانى فى النفس ، فهو إذًا نظم يعتبر فيه حال المتقدم بعضه مع بعض ، وكذلك كان عندهم نظيرا للنسج والتأليف والصباغة والبناء والوشى والتحبير ، وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضى كونه هناك ، وحتى لو وضع فى مكان غيره لم يصلح » .[1]

الأمر إذًا كامن فى **التخير والتدبر والمقدار والكيفية والترتيب** . وكل هذه المسائل هى التى تميز بين نسج ونسج أو نقش وآخر ، وبالتالى بين أسلوب وأسلوب ، بل وتصل بالأسلوب البليغ إلى درجة محكمة من السبك وترتيب الأجزاء ، ويكون سبيله سبيل التمثال المتقن أو الخاتم الجميل .

---

(١) عبد القاهر الجرجانى : دلائل الإعجاز ص ٩٣

الإتقان والجمال لا يأتيان من الجزئيات ، وإنما كل منهما يأتى حصيلة الشكل العام . وهكذا تماما يكون الأسلوب : يحكم على كل كلمة أو أداة فيه بمقدار استخدامها فى الجملة أو العبارة ، وبمدى مجيئها مترابطة مع غيرها من كلمات وأدوات فى تماسك حى ، وتنسيق جميل .(١)

وسيلة الأديب – أى أديب – إلى تحقيق هذا النوع من التماسك والتآلف إنما يأتى عن طريق **توخى معانى النحو** ، على حد تعبير **عبد القاهر** . والنحو هنا يأتى ليشمل أساسيات الصرف أيضا .

مراعاة أساسيات الصرف فى اختيار المشتقات الدقيقة التى تناسب الحال والمقام على حد سواء ، بل وتتمشى مع الحالة النفسية والذهنية التى يكون عليها مؤلف النص ، وكذلك مراعاة المعانى النحوية من فاعلية ومفعولية وحالية وظرفية وغيرها ، كل ذلك يسمو بالتعبير كله إلى استيفاء النظم الذى أراده عبد القاهر .

وفى هذا النظم نوع من الدقة التى قد لاتتحقق بدونه.إن مراعاة مبادىء النحو بمعناه العام (إعراب ومعان) إنما تمد الأسلوب بدقة تعبيرية تشهد بقدرة اللغة العربية وخاصية امتلاكها لأدوات ووسائل ترتفع بها إلى مصاف أكثر اللغات العالمية من حيث دقة التعبير .

هنا ونجتزىء بإيراد نص عبد القاهر فى هذاالمجال ،وأستميح الدارس عذرا فأ إيراده بطريقة خاصة من ناحية توزيعه على الصفحة : يقول عبد القاهر :

« واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذى يقتضيه علم

---

(١) لقد قمت بالاشتراك مع إحدى زميلاتى بالجامعة هى الأستاذة ناريمان الوراق بتأليف كتاب عن أدوات الربط فى العربية المعاصرة . وهو كتاب مدرسىّ رجونا منه أن يحقق الغرض لدى غير العرب من الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة . وقد طبع عدة مرات.

النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله ، وتعرف مناهجه التى نهجت فلاتزيغ عنها ، وتحفظ الرسوم التى رسمت لك فلاتخل بشىء منها .

وذلك أنك لاتعلم شيئا يستبعه النظام بنظمه ، غير أن ينظر فى وجوه كل باب وفروقه :

فينظر فى « الخبر » إلى الوجوه التى تراها فى قولك :

زيد منطلق ،

زيد ينطلق ،

زيد المنطلق ،

المنطلق زيد ،

زيد هو المنطلق ،

زيد هو منطلق .

وفى الشرط والجزاء إلى الوجوه التى تراها فى قولك :

إن تخرج أخرج ،

إن خرجت خرجت ،

إن تخرج فأنا خارج ،

أنا خارج إن خرجت ،

أنا إن خرجت خارج .

وفى الحال ، إلى الوجوه التى تراها فى قولك :

جاءنى زيد مسرعا ،

جاءنى يسرع ،

جاءنى وهو مسرع أو وهو يسرع ،

جاءنى قد أسرع ،

جاءنى وقد أسرع .

فيعرف لكل من ذلك موضعه ، ويجىء به حيث ينبغى له ، وينظر فى الحروف التى تشترك فى معنى ، ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية فى ذلك المعنى ، فيضع كلا من ذلك فى خاص معناه ، نحو أن يجىء بـ

ما : فى نفى الحال ،
لا : إذا أراد نفى الاستقبال ،
أن : فيما يتأرجح أن يكون وألا يكون ،
إذا : فيما علم أنه كائن .

وينظر فى الجملة التى تسرد ، فيعرف :

موضع الفصل فيها من موضع الوصل ، ثم يعرف :
فيما حقه الوصل موضع الواو من موضع الفاء ،
وموضع الفاء من موضع ثم ،
وموضع لو من موضع لم ،
وموضع لكن من موضع بل .

ويتصرف فى :
التعريف والتنكير ،
والتقديم والتأخير فى الكلام كله ،
وفى الحذف والتكرار ،
والإضمار والإظهار .

فيضع كلا من ذلك مكانه ، ويستعمله على الصحة ، وعلى ماينبغى له »[1]

---

(١) عبد القاهر : دلائل الإعجاز ص ١١٧ ، ١١٨

مع الأسف ، يذهب العديد من الباحثين إلى أن مراعاة ذلك إنما يرقى بالأسلوب إلى مستوى الجمال البلاغى .

وأنا أرى غير ذلك تماما - قد لايوافقنى البعض - إن الأديب بمراعاة كل ذلك لايكون قد تخطى حدود **نظرية الاكتمال اللغوى** ، إنه مايزال يدور فى فلكها .

وهبنا نتصور أنها درجات ، مجرد المراعاة للحالات الإعرابية فى الكلام ، وكذا التوافق فى التذكير والتأنيث ، والإفراد والتثنية والجمع ، والتعريف والتنكير - أقصد كل ماتمليه فكرة التوافق أو التطابق صرفيا ونحويا - كل ذلك يمثل **الدرجة قبل الأخيرة على مخبار الصحة اللغوية** .

فإذا حقق المنشئ (أديبا وغير أديب) توافقا واتزانا بين مايأتى به من مشتقات لها دلالات يقصدها ، وكذا بين نوعيات التراكيب وسياقاتها ، مقرونًا بها الحالة النفسية والذهنية له ، فإنه يكون قد وقف على **الدرجة « القمة »** **وهى أعلى درجة فى المخبار** ، وبها يكون قد حقق كل شىء من أساسيات الاكتمال اللغوى . قد يقال عنه إنه نتيجة مقولات علميْن هما **النحو** ، **وعلم المعانى** (من علوم البلاغة) .

ولكنا نقول : إنه نتيجة علم واحد هو **علم النحو بمعناه العام** الذى لاينفصل فيه الضبط الإعرابى عن وضع الكلمات فى نسق خاص ، حسبما توحى به المعانى المختلفة ، وطبقا لما يحدده « النظم » كما شرحه **عبد القاهر** .

إننى لا ألوم كل الذين فصلوا النحو عن علم المعانى ، فقد يكون التخصص أو حدود العلوم نفسها هى التى فرضت هذا التقليد . ولكنى مع ذلك أقول إن ذلك قد خلق نوعا من القصور يتمثل - تطبيقيا - فى مظهرين :

الأول : قصر دراسة النحو ومسائله على الإعراب ليس غير ، وهى نظرة

محدودة إلى حد كبير . ومع الأسف كان سلطان هذه النظرة كبيرا ، ليس فقط على القدماء ، بل وعلى المعاصرين كذلك ، ممن حاولوا التجديد فى علم النحو . لم أر كتابا واحدا جرؤ مؤلفة على ضم مسائل علم المعانى إليه ، ربما لأنها جاءت تحت عنوان مختلف وفى فرع آخر من فروع علم البلاغة .

الثانى : وهو نتيجة المظهر الأول . ظل النحو يدرس بهدف تحقيق الكمال للأسلوب ، وظل علم المعانى يدرس على أنه من مقومات الجمال فى الأسلوب . ومن هنا اقتصر النحو على الإعراب ، وظل علم المعانى يدرس كمقدمة لعلمى البيان والبديع . وظلت – تبعا لذلك – فكرة المثلث : المعانى ، والبيان ، والبديع طاغية على التفكير العربى وعلى مناهج البحث فيه ، ربما ظنا أن اجتذاب علم المعانى إلى ساحة النحو سيشوه المثلث باقتطاع أحد أضلاعه .

لقد آن الأوان أن يرد الحق إلى نصابه ، وأن نرى فى القريب العاجل مؤلفات نحوية تتجرأ فتقدم النحو لا على أنه فقط علم الإعراب (رغم أهمية ذلك فى نظرى) بل وأيضا على أنه علم التراكيب والأسلوب بوجه عام .

وهنا ستمتزج مسائل تقديم المبتدأ أو الخبر أو الفاعل أو غيرها ، ليس فقط عن طريق ماتعطيه كتب النحو من تعليلات مبررة ، بل وأيضا ماتضيفه مسائل علم المعانى فى سبيل دقة التعبير .

وبهذا كله ، أى عن طريق النحو بمعناه الشامل (كعلم إعراب ومعان) يصبح ممكنا أن نتصور كل أبعاد **نظرية الاكتمال اللغوى** ، وهى التى حام حولها القدماء ، وأرادها المحدثون ، إلى أن قدمها بصوت عال – وفى تواضع شديد – هذا الكتاب .

المصادر والمراجع

إبراهيم بن الأجدابى : **كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ** (منشورة مع كتاب فقه اللغة للثعالبى) . ط رابعة ، تصحيح الأب لويس شيخو اليسوعى . بيروت ١٩٠٣

ابن أبى الأصبع : **تحرير التحبير** ، تحقيق د / حفنى محمد شرف – القاهرة ١٩٦٣

ابن الأثير : **المثل السائر** ، تحقيق د / أحمد الحوفى ، د / بدوى طبانة ، (فى جزءين) طبعة أولى . القاهرة ١٩٥٩

ابن الأنبارى : **كتاب أسرار العربية** ، تحقيق الأستاذ محمد البيطار ، دمشق ١٩٥٧ ط أولى ليدن ١٨٨٦

ابن الأنبارى : **الإنصاف فى مسائل الخلاف** ، تحقيق الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد (فى جزءين) القاهرة ١٩٦١

ابن الأنبارى : **نزهة الألباء فى طبقات الأدباء** ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم . القاهرة ١٩٦٧

ابن الجزرى : **النشر فى القراءات العشر** . نشره محمد أحمد دهمان (فى جزءين) طبعة أولى . دمشق ١٣٤٥ هـ

ابن جنى : **التمام فى تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد السكرى** ، تحقيق د/ أحمد مطلوب وآخرين . طبعة أولى . بغداد ١٩٦٢

: **الخصائص** ، تحقيق الأستاذ على النجار (فى ٣ أجزاء) طبعة ثانية ، القاهرة ١٩٥٢ – ١٩٥٥

: **الفتح الوهبى على مشكلات المتنبى** ، بغداد ١٩٧٣

: **اللمع فى العربية** (صنعة أبى الفتح عثمان بن جنى) ، تحقيق د / حسين محمد شرف . طبعة أولى القاهرة ١٩٧٨

: **المنصف على التصريف للمازنى** (فى جزءين) تحقيق الأستاذين إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين ، طبعة أولى ، ١٩٥٤ – ١٩٦٠

ابن الحاجب : **الشافية** (٤ أجزاء) تحقيق الأساتذة محمد نور الحسن ، محمد الزفزاف ، محمد محيى الدين عبد الحميد . بيروت ١٩٧٥

الكافية (فى جزءين) ، بشرح رضى الدين الاستراباذى ، طبعة ثانية . بيروت ١٩٧٩

ابن خلدون : **المقدمة** (مقدمة ابن خلدون) بيروت ١٩٧٨

ابن دريد : **الاشتقاق** ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٨

: **كتاب جمهرة اللغة** (٤ أجزاء) نشرت فى بيروت د . ت عن الطبعة الأولى بحيدرآباد ١٣٤٤ هـ

ابن رشيق : **العمدة** (فى جزءين) ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، طبعة رابعة . بيروت ١٩٧٢

: **القلب والإبدال** ، تحقيق د / حسين محمد شرف القاهرة ١٩٧٨

ابن سلام الجمحى : **طبقات فحول الشعراء** : تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر – القاهرة ١٩٥٢

ابن سنان الخفاجى : **سر الفصاحة** ، تحقيق الأستاذ عبد المتعال الصعيدى . القاهرة ١٩٦٩

ابن السيد البطليوسى : **الحُلل فى شرح أبيات الجمل** ، تحقيق د / مصطفى

إمام . القاهرة ١٩٧٩

ابن سيده : **المحكم والمحيط الأعظم فى اللغة** ، تحقيق الأستاذين مصطفى السقا ، حسين نصار وآخرين . القاهرة (٥ أجزاء)

: **المخصص** ، ١٧ جزءا فى ٩ مجلدات ــ القاهرة ١٨٩٨

ابن سينا : **أسباب حدوث الحروف** ، تصحيح وطبع الأستاذ محب الدين الخطيب . القاهرة ١٩١٣

ابن عصفور الأشبيلى : **الممتع فى التصريف** ، تحقيق د / فخر الدين قباوة ، طبعة ثالثة . بيروت ١٩٧٨

ابن عقيل : **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك** (فى جزءين) تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد . طبعة ١٤ ، القاهرة ١٩٦٤

ابن فارس : **المجمل** حـ ١ مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٣١ هـ [لم أعثر عليه ، جمعت معلوماتى عنه من الأساتذة : هارون ، حسين نصار ، عبد الله درويش] .

: **المذكر والمؤنث** ، تحقيق د / رمضان عبد التواب ، طبعة أولى . القاهرة ١٩٦٩

ابن قتيبة : **أدب الكاتب** ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، طبعة ٤ ، القاهرة ١٩٦٣

: **تأويل مشكل القرآن** ، طبعة أولى ، بغداد ١٩٧٠

: **الشعر والشعراء** ، تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر (فى جزءين) طبعة ثانية ، القاهرة ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧

ابن مالك : **الألفية** . مكتبة القاهرة ، د . ت

ابن منظور : **لسان العرب** (٢٠ جزءا) عن طبعة بولاق ،

القاهرة د . ت

ابن النديم : **كتاب الفهرست** ، تحقيق المستشرق جوستاف فلوجل ، طبعة أولى ، ١٩٧١ عن طبعة بيروت د . ت.

ابن هشام : **شذور الذهب** ، تحقيق الأستاذ محمد محيى الدين عبد الحميد ، القاهرة د . ت

ابن يعيش : **شرح المفصل** (١٠ أجزاء فى مجلدين) تحقيق مشيخة الأزهر د . ت

أبو بكر الصولى : **أخبار أبى تمام** ، تحقيق الأستاذ خليل عساكر وآخرين ، القاهرة ١٩٣٧

: **أخبار البحترى** ، تحقيق د / صالح الأشتر ، طبعة ثانية ، دمشق ١٩٦٤

أبو جعفر النحاس : **التفاحة فى النحو** ، تحقيق د / كوركيس عواد ، العراق ١٩٧٦

أبو الطيب الوشاء **الممدود والمقصور** ، تحقيق د / رمضان عبد التواب ، القاهرة ١٩٧٩

أبو عمرو الشيبانى : **كتاب الجيم** ، تحقيق الأستاذ إبراهيم الإبيارى وآخرين (٣ أجزاء) القاهرة ١٩٧٤ - ١٩٧٥

أبو هلال العسكرى : **كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر** ، تحقيق الأستاذين على محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم . طبعة ثانية . القاهرة ١٩٧١

أبو عمرو عثمان الدانى : **المحكم فى نقط المصاحف** ، تحقيق الأستاذ عزة حسن ط دمشق ١٩٦٠

الأزهرى : **تهذيب اللغة** ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون وآخرين . (١٥ جزءا) القاهرة ١٩٦٤ – ١٩٦٧

الأشناندانى : **كتاب معانى الشعر** ، تحقيق د / عز الدين التنوخى ، دمشق ١٩٦٩

الأصمعى : **كتاب الاشتقاق** ، تحقيق الدكتورين : رمضان عبد التواب ، وصلاح الهادى . القاهرة ١٩٥٨

: **الأصمعيات** ، تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر ، طبعة ثانية القاهرة ١٩٦٤

محمد شكرى الألوسى : **الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر** ، شرحه الأستاذ محمد بهجة الأثرى البغدادى . القاهرة ١٩٢٢ / ١٩٢٣

الآمدى : **الموازنة بين شعر أبى تمام والبحترى** ، تحقيق الأستاذ السيد صقر (فى جزءين) . القاهرة ١٩٦١

البخارى : **صحيح البخارى (عمدة القارى شرح صحيح البخارى)** (فى ٢٥ جزءا) مصر ، د . ت (استخدمت الجزء التاسع فقط)

البرقوقى : **شرح ديوان المتنبى** (٤ أجزاء) ط ثانية . القاهرة ١٩٣٨

التبريزى : **شرح ديوان أبى تمام** (٤ أجزاء) تحقيق الأستاذ محمد عزام، ، القاهرة ١٩٦٤ ، ١٩٦٥

الثعالبى : **أبو الطيب المتنبى ماله وما عليه** ، طبعة أولى . القاهرة ١٩١٥

: **فقه اللغة** ، ط رابعة ، تصحيح الأب لويس شيخو

اليسوعى . بيروت ١٩٠٣

: **يتيمة الدهر** ، تحقيق الأستاذ محمد الصاوى (٤ أجزاء) القاهرة ١٩٣٤

ثعلب : **فصيح ثعلب والشروح التى عليه** ، تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة أولى . القاهرة ١٩٤٩

: **قواعد الشعر** ، تحقيق د / رمضان عبد التواب . طبعة أولى . القاهرة ١٩٦٦

الجاحظ : **البيان والتبيين** ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ، (٤ أجزاء) القاهرة . أجزاء : ١ ، ٢ طبعة ثالثة ، القاهرة ١٩٦٨ ، أجزاء ٣ ، ٤ طبعة أولى ، القاهرة ١٩٤٩

الجواليقى : **المعرب من الكلام الأعجمى** ، تحقيق الأستاذ أحمد شاكر ، طبعة ثانية ــ القاهرة ١٩٦٩

الجوهرى : **الصحاح** ، تحقيق الأستاذ أحمد عطار (٣ أجزاء) القاهرة ١٩٥٦

الحاتمى : **الرسالة الموضحة** ، تحقيق د / محمد يوسف نجم . بيروت ١٩٦٥

الحريرى : **ملحة الإعراب** . ط القاهرة ١٢٩٢ هـ

خلف الأحمر : **مقدمة فى النحو** ، تحقيق د / عز الدين التنوخى .

دمشق ١٩٦١

الزجاجى : **الإيضاح فى النحو** ، تحقيق د / مازن المبارك . القاهرة ١٩٥٩

: **الجمل** ، تحقيق د / على توفيق الحمد ، الأردن ١٩٨٤

الزمخشرى : **أساس البلاغة** . طبع بمطبعة دار الكتب فى جزءين ، القاهرة ١٣٤١ هـ / ١٩٢٢ م

السبكى : **عروس الأفراح** (فى مجموعة شروح التلخيص) ، (٤ أجزاء) القاهرة . د . ت

السرقسطى : **كتاب الأفعال** ، تحقيق د / حسين محمد شرف (٤ أجزاء) القاهرة ١٩٧٥

سيبويه : **الكتاب** (كتاب سيبويه) تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام هارون (٥ أجزاء) القاهرة

السيوطى : **الإتقان فى علوم القرآن** . طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب (سلسلة التراث للجميع) القاهرة ١٩٧٥ حـ ١ أعداد مختلفة .

: **كتاب الأشباه والنظائر** ، تحقيق الأستاذ طه عبد الرءوف ، (٤ أجزاء) القاهرة ١٩٧٥

: **الاقتراح فى أصول النحو** ، القاهرة ١٩٧٦

: **المزهر فى علوم اللغة وأنواعها** ، تحقيق الأستاذ محمد أحمد جاد المولى وآخرين (فى جزءين) القاهرة ١٩٥٨

الشنتمرى : **أشعار الشعراء الستة الجاهليين** ، تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجى (فى جزءين) طبعة أولى ، القاهرة ١٩٥٤

الصاحب بن عباد : **الكشف عن مساوئ شعر المتنبى** ، تحقيق الشيخ محمد آل ياسين . طبعة أولى ، بغداد ١٩٦٥

الطبرى : **جامع البيان عن تأويل آى القرآن** . القاهرة د . ت

عبد القاهر الجرجانى **دلائل الإعجاز** ، تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجى . طبعة أولى . القاهرة ١٩٦٩

: **أسرار البلاغة** . تحقيق هـ . ريتر . استانبول ١٩٥٤

العميدى : **الإبانة عن سرقات المتنبى** ؛ تحقيق الأستاذ إبراهيم البساطى . القاهرة ١٩٦١

الفارابى : **كتاب الحروف** ، تحقيق د / محسن مهدى . بيروت ١٩٦٩

: **ديوان الأدب** ، تحقيق د / أحمد مختار عمر (٤ أجزاء) القاهرة ١٩٧٤ ــ ١٩٧٩

الفراء : **المنقوص والممدود** ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى . القاهرة ١٩٦٧

الفرزدق : **ديوان الفرزدق** (فى جزءين) بيروت ١٩٦٦

الفيروزابادى **القاموس المحيط** (٤ أجزاء) تصحيح الشيخ الشنقيطى ، المطبعة الأميرية بالقاهرة د . ت

القارى : **المنح الفكرية على متن الجزرية** . ط بمصر . د ــ ت

القاضى الجرجانى : **الوساطة بين المتنبى وخصومه** ، تحقيق الأستاذ أحمد الزين . القاهرة د . ت

قدامة بن جعفر : **كتاب نقد الشعر** ، تحقيق المستشرق بونباكر . ليدن . بريل ، ١٩٥٦

القزوينى : **الإيضاح فى علوم البلاغة** ، تحقيق د / محمد عبد المنعم خفاجى ، طبعة ثالثة . بيروت ١٩٧١

القفطى : **إنباه الرواة على أنباه النحاة** ، تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم (٤ أجزاء) القاهرة ١٩٥٠ — ١٩٥٣

المبرد : **كتاب البلاغة** ، تحقيق د / رمضان عبد التواب . القاهرة ١٩٦٥

: **الكامل** ، تحقيق الأستاذين محمد أبو الفضل إبراهيم ، والسيد شحاته (٤ أجزاء) . القاهرة ١٩٥٦

: **كتاب المقتضب** ، تحقيق الأستاذ محمد عضيمه (٤ أجزاء) القاهرة ١٣٨٥ هـ

المرزبانى : **الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء** ، تحقيق الأستاذ على البجاوى . القاهرة ١٩٦٥

المعرى : **رسالة الغفران** ، تحقيق د / عائشة عبد الرحمن ، ط ثالثة . القاهرة ١٩٦٣

: **عبث الوليد** ، تحقيق الأستاذ محمد المدنى ، ط ٨ ، القاهرة ١٩٧٠

ياقوت الحموى : **معجم الأدباء** ، طبعة أخيرة ، نشره الأستاذ أحمد فريد الرفاعى (٢٠ جزءا) القاهرة ١٩٣٦ — ١٩٣٨

المراجع

إبراهيم أنيس (دكتور) : من أسرار اللغة ، طـ ٣ ، القاهرة ١٩٦٦
: موسيقى الشعر ، طـ ٤ ، القاهرة ١٩٧٢
: الأصوات اللغوية ، طـ ٦ ، القاهرة ١٩٨٤

إبراهيم محمد نجا (دكتور) : المعاجم اللغوية ، طـ ٣ ، القاهرة ١٩٧٤

Edward Lane : On Arabic - English Lexicon
2 Vols . Edinburgh , London 1863 - 1874

أحمد طاهر حسنين (دكتور) : الغريب فى الشعر ، مقال منشور بمجلة الشعر ، العدد ١٢ ، القاهرة ١٩٧٨
: نحو قراءة نحوية ميسرة ، مقال منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة . جزء ٤٤ ، القاهرة ١٩٧٩
: المعجم الشعرى وصراع النقاد والشعراء ، مقال منشور بمجلة ألف (تصدرها الجامعة الأمريكية بالقاهرة ، قسم الأدب الإنجليزى والمقارن) العدد ٣ ، القاهرة ١٩٨٣
: المعجم الشعرى عند حافظ إبراهيم ، مقال منشور بمجلة فصول ، العدد ٣ ، القاهرة ١٩٨٣
: اللغة العربية فى عصر التكنولوجيا ، مقال منشور بمجلة التعليم والتدريب فى الشرق الأوسط ، سنة ٦٠ ، العدد ٣ ، لندن ١٩٨٤

: تعليم العربية لغير الناطقين بها (بانوراما تاريخية) مقال منشور بمجلة « دراسات عربية وإسلامية » يشرف على إصدارها د/حامد طاهر أستاذ الفلسفة بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة . العدد ٢ ، القاهرة ١٩٨٤

: تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها (كتاب مدرسى) ألف بالاشتراك مع د/قمر عبده ، د/ محمد الكاشف ، والأستاذة ناهد . وذلك بتكليف من مركز البحوث التربوية بالقاهرة ، ١٩٨٤

: رسالة **الدكتوراه** من قسم دراسات الشرق الأدنى ، بجامعة برنستون (ولاية نيوجرسى) الولايات المتحدة الأمريكية . والرسالة بعنوان : **المقاييس اللغوية فى نقد الشعر فى العصور الوسطى** ، مايو ١٩٧٧ (ماتزال مخطوطة) إشراف د/ هامورى

أحمد مختار عمر (دكتور) : **البحث اللغوى عند العرب** . القاهرة ١٩٧٦

Arberry . A . J Poems of Mutanabbi, Cambridge 1967

إسحاق الحسينى (دكتور) : **اللغة الصامتة** ، مقال منشور بمجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة جـ ٤٥ ، ١٩٨٠

بدران أبو العينين بدران (دكتور) : **دارسات حول القرآن** . ط أولى ، القاهرة ١٩٦١

تمام حسان (دكتور) : اللغة العربية معناها ومبناها ، القاهرة ، ١٩٧٩

: مناهج البحث فى اللغة . القاهرة ١٩٥٥

حسن عون : تطور الدرس النحوى . القاهرة ١٩٧٠

الحملاوى (الشيخ) : شذا العرف فى فن الصرف . ط ١٢ ، القاهرة ١٩٥٧

خديجة الحديثى (دكتورة) : أبنية الصرف فى كتاب سيبويه . ط أولى ، بغداد ١٩٦٥

داود سلوم (دكتور) : شعر الكميت (فى جزءين) بغداد ١٩٦٩

السعيد محمد بدوى (دكتور) : مستويات العربية المعاصرة فى مصر – القاهرة ١٩٧٣

» : الكتاب الأساسى ، تونس ١٩٨٤

السيد محمد صديق خان بهادر : العلم الخفاق فى علم الاشتقاق . استانبول ١٢٩٦هـ

شوقى ضيف (دكتور) : تجديد النحو ، القاهرة ١٩٨٢

: المدارس النحوية . القاهرة ١٩٦٨

عباس حسن : النحو الوافى (٤ أجزاء) القاهرة . ١٩٦٠ – ١٩٦٣

عبد الحميد الشلقانى (دكتور) : الأعراب الرواة . القاهرة ١٩٧٧

عبد الحميد طلب (دكتور) : تهذيب النحو – د . ت

عبد الرحمن السيد (دكتور) : مدرسة البصرة ، نشأتها وتطورها ، القاهرة ١٩٦٨

عبد الصبور شاهين (دكتور) : دراسات حول القرآن . ط أولى القاهرة ١٩٦٦ .
: فى التطور اللغوى . طبعة أولى . القاهرة ١٩٧٥
عبد العزيز القوصى (دكتور) : (بالاشتراك) : التقرير النهائى عن تجربة تيسير الكتابة العربية . القاهرة ١٩٧٦
عبد المجيد نافع (دكتور) : الصرف القياسى وأثره فى نمو اللغة حـ ١ طبعة ثانية . القاهرة ، ١٩٧٥
عبد الله دوريش (دكتور) : المعاجم العربية . القاهرة ١٩٥٦
عفيف دمشقية (دكتور) المنطلقات التأسيسية والفنية إلى النحو العربى . ط أولى . بيروت ١٩٧٨
على الجندى (الشاعر) : الشعراء وإنشاد الشعر ، القاهرة ١٩٦٩
فؤاد نعمة : ملخص قواعد اللغة العربية . ط ٨ ، القاهرة د . ت
كمال بشر (دكتور) : علم اللغة العام : الأصوات . دار المعارف ١٩٧٥
لبيب السعيد (دكتور) : الجمع الصوتى الأول للقرآن الكريم . القاهرة ، ١٩٦٧
مجمع اللغة العربية : المعجم الكبير ، القاهرة ١٩٨١
محمد حماسه عبد اللطيف (دكتور) : فى بناء الجملة العربية . ط أولى ، الكويت ١٩٨٢
محمد الصادق قمحاوى : البرهان فى تجويد القرآن ، القاهرة ١٩٧٢
محمد الطنطاوى : نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة ، طبعة ثانية . القاهرة ١٩٤٧
محمد إبراهيم عبادة (دكتور) : عصور الاحتجاج فى النحو العربى . القاهرة ١٩٨٠

محمد عيد (دكتور) : **النحو المصفى** ، القاهرة، ١٩٧٠

محمد محى الدين عبد الحميد : **تكملة فى تصريف الأفعال** ، منشورة بآخر **كتاب شرح ابن عقيل** . ط ١٤ ، القاهرة ١٩٦٥

مكاريوس ، رامونى (دكاترة) : **مجموعة دروس مبرمجة لتعليم الأصوات والكتابة العربية المعاصرة** جامعة ميشفان . ١٩٧٠

مهدى المخزومى(دكتور) : **مدرسة الكوفة ومنهجها فى دراسة اللغة والنحو** . بغداد ١٩٥٥

نايف خرما (دكتور) : **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة** ، سلسلة عالم المعرفة . الكويت ١٩٧٨

وجيهة السطل (دكتورة) : **التأليف فى خلق الإنسان** . منشورات دار الحكمة . دمشق ، د . ت

يوهان فك : **العربية** ، ترجمة وتحقيق د/ رمضان عبد التواب . القاهرة ١٩٨٠الترجمة الأولى كانت للأستاذ النجار سنة ١٩٥١

رقم الإيداع ١٧٢١ / ٨٧